صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

تشرين أول
١٩٧٧

دمشق – ص٠ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا العدد

بداية عهد باذن الله جديد ، ولقاء أول كريم مع نخبة طالما اشتاقت النفوس التعرف عليها ، واللقاء بها ، هذه النخبة التي عملت وتعمل بصمت ، واضعة كل طاقاتها وامكاناتها في خدمة عقيدتها ولغتها وامتها ، فيها الاديب المفكر ، وفيها القاص النابه ، وفيها الشاعر المحلق ، يدعم هؤلاء كلهم شرف العقيدة وأصالة المنبت ٠

وبعد ، فلا ندعي باننا ، في هذا العدد ، وقد اجتهدنا فيه ما وسعنا الاجتهاد ، ان يكون صفحة اولى من سجل هؤلاء الادباء الكبار ٠ اجل ، لا ندعي اننا قد بلغنا فيه الكمال او بعض الكمال ٠ الا اننا نستطيع ان نقول : بأنه اشارة اولى ، وومضة حب ، وفاتحة عهد ، منتظرين من ادباء المملكة الكثير الكثير بعد ٠

وفي هذه البداية الخيرة ماكنا لنعير الموضوعات كبير الاهمية ، من حيث حداثتها او قدمها ، ذلك لاننا – وبكل تواضع – نهدف الى ما هو اسمى من ذلك ٠ اجل ، نهدف الى ازالة هذا التعتيم المطبق الذي أحاط ادب المملكة وادباءها – بسبب او دون سبب – وتقديم هذا الادب الى قراء العربية في كل صقع من اصقاعهم ، وليس لنا في ذلك منة او فضل ، فان نظرة عجلى على موضوعات هذا العدد ، ورغم قلتها ، شفيع لنا فيما اقدمنا عليه ٠ فأدب هؤلاء الاخوة لا يقل جودة ورصانة

عن كل ما ينشر في مجلاتنا وصحفنا العربية ، ان لم يفقه ، يضاف الى هذا ، ذلك الصفاء الفكري الذي نلمحه في كل حرف خطته اقلام هؤلاء الادباء ، الاخوة ٠

واذا كان لنا من امل نعقده على ادباء المملكة العربية السعودية ، فلا يتعدى ان يكونوا ـ مشكورين ـ حريصين على موافاتنا بانتاجهم ، لاننا ، كما اسلفنا ، نعتبر هذا العدد فاتحة عهد جديد ، ولهم علينا ان يحاط هذا الانتاج بالرعاية التي يستحقها باذن الله ٠

وثمة عذر نستميح به اصحاب الاقلام الخيرة ، من كتاب هذا العدد ، فقد لاقينا في اخراجه ـ ونحن راضون ـ من العناء ما يقدره اصحاب هذه المهنة ٠ ولذلك ، فلم يكن تقديم مقال على مقال دليلا على فضل الاول وضعف الثاني ، فظروف الطباعة والاخراج فرضت علينا امورا ، كنا نريد ان نتحاشاها ، ولكننا لم نجد الى ذلك سبيلا ٠

واذا كان لنا في آخر المطاف من حديث ، فليس لنا الا ان نقف موقف الشاكر من معالي وزير الاعلام السيد الدكتور محمد عبده يماني ، والسادة معاونيه في الوزارة ، وهيئة الاعلام ، والزملاء رؤساء تحرير الصحف والمجلات ، واعزائنا الادباء والشعراء ، اعترافا بمساهمتهم الكريمة في اصدار هذا العدد ، وتزويدنا بمواده ، اذ بمساعدتهم هذه قد حققت مجلة « الثقافة » قسطا كبيرا من هدفها الكبير في لقاء الاخوة الادباء العرب على صفحاتها ، وتعزيز هذه العلاقات على امتداد وطننا العربي الكبير ٠

دمشق ١ ـ ١٠ ـ ١٩٧٧

مدحة عكاش

رئيس التحرير

صناجة العرب

شعر : سمو الأمير عبدالله الفيصل

رائعة سمو الامير عبد الله الفيصل التي شارك بها سموه في الامسية الشعرية الكبيرة التي أقيمت في كرمة ابن هانيء حيث ولد أمير الشعراء أحمد شوقي .

أسدرة المنتهى أم كرمة العنب ... قد كان شوقي بها صناجة العرب

شدا بها الشعر ألحانا معطرة ... لسالف الدهر أو مستقبل الحقب

وكان من قبس الالهام مقتبسا ... نورا يضيء به محلولك الكرب

أهدى الى الشرق من مكنون حكمته ... جواهر الحكمة الوهاجة اللهب

اني لاحسبه حيا فما برحت ... أنغامه بيننا شوقية النسب

يا رحمة الله حيي قبر صاحبها ... بالغيث منهمرا من صيب السحب

يا مصر يا زينة الدنيا وفتنتها ... ما كنت الا ملاذ العلم والادب

النيل يمرح في واديك منعطفا ... على الخصيب ويروي غير مختصب

والحسن والفن والاغصان وارفة ... على المرابع من ناء ومقترب

كأنها صورة الفردوس ماثلة ... لكل مستوطن فيها ومغترب

أم الحضارة والتاريخ من قدم ... كم سطرت مجدها في رائع الكتب

وكم أقامت حصون المجد شامخة ... وحطمت من حصون الافك والحرب

في عـين جالوت أو حطـين مقبرة ... لكـل مغتصـب بالاثم محتقـب

ويوم تشرين قـام الحـق مرتفعـا ... على الذرى وخصوم الحق في صبب

دكت حصون بني صهيون وانطمرت ... في خط بارليف أكداس من الكـذب

عدت عليهم ليوث الغـاب فاحترقوا ... ولاذ من لاذ بالافـلات والهـرب

كأنهم بين أبطـال الوغى جـرذ ... مذعـورة وقعـت في كف مختـلب

دارت عليهم دواعـي الشر فانقلبوا ... عـلى عـواتقهم في شـر منقلب

والجيش يرهبهم والهـول يرعبهـم ... والمـوت يرقبهم في كـل مـرتقب

يقوده أنور السـادات مقتحمـا ... صعب المسالك بين العسـكر اللجب

وصنـوه فيصل بالحـزم يفعلـه ... والعـزم يبذله .. والمال والنشب

عقلان كانا وراء النصر والتقيـا ... على الندى والهدى والمجد والحسب

يا للرجـال اذا طـارت عزائمهم ... للثأر أمطرت الاعـداء بالشـهب

في أرض سيناء منهـا شاهد عجب ... وكم تحـدثت الجـولان بالعجب

وما وردنا الوغى بغيا ولا عبثـا ... لكـن لندفع عنـا بغي مغتصب

الفضـل آيتنـا في كـل معترك ... والعدل غايتنـا في كـل مطلب

وليس ننشـد من قـول ولا عمـل ... الا لنكسـب حقـا غـير مكتسب

من الجـزيرة أهديهـا مغلغلـة ... الى الكنانـة في تاريخهـا الذهبي

أودعتها كل أشـواقي ومدخـري ... من العواطف والاخـلاص والادب

كأنها من بنـات النيـل غانيـة ... تختال بين مغـاني الانس والطـرب

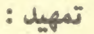
من شـاعر عـربي كل غايتـه ... أن يظفـر العرب بالآمـال والغلب

وما قصدت بهـا تبرا ولا ذهبـا ... فالحب أرفـع من تبر ومن ذهب

المرأة .. كيف عاملها الإسلام

● حسن عبد الله آل الشيخ

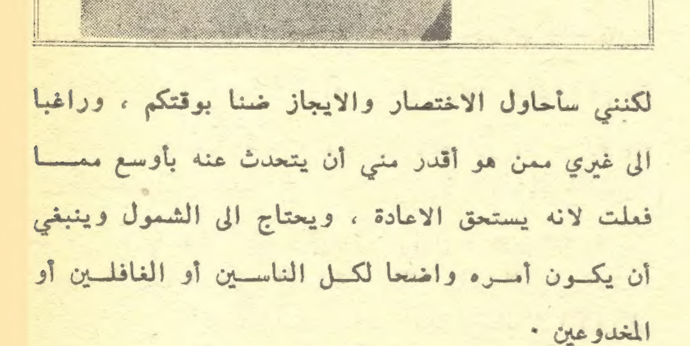
معالي وزير التعليم العالي(١)
ورئيس المجلس الاعلى للآداب والعلوم والفنون



تمهيد :

٠٠ موضوع حديثي هذا هو التعرف على كيفية معاملة ديننا الاسلامي العظيم للمرأة ٠٠ هل هو ظالم لها ؟ ومحطم لطموحها ؟ وحاجز لها من الاسهام في حياتها والتأثير فيها ؟ أم هو معل لمنزلتها ، وحافظ لكرامتها ، وصائن لها عن الابتذال والتردي.؟٠

وهذا الموضوع كما تعلمون واسع الابعاد طويلها٠٠



لكنني سأحاول الاختصار والايجاز ضنا بوقتكم ، وراغبا الى غيري ممن هو أقدر مني أن يتحدث عنه بأوسع ممـــا فعلت لانه يستحق الاعادة ، ويحتاج الى الشمول وينبغي أن يكـون أمـره واضحا لكـل الناسـين أو الغافلـين أو المخدوعين ٠

المرأة في العصور القديمة

لم تكن المرأة في عصر من عصور التاريخ السحيقة

---

(١) كان معالي الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ وزير المعارف السابق ، ووزير التعليم العالي حاليا ، ورئيس المجلس الاعلى للآداب والعلوم والفنون ـ كان أول من استجاب لدعوة النادي الادبي في جدة التي وجهها الى البارزين والقادرين على التوجيه الى القاء محاضرات في النادي ٠ ويسر « الثقافة » أن تنشر هذه المحاضرة القيمة ، على صفحات عددها الخاص ٠

في المكانة التي تليق بها ، وكانت الامم تتفاوت في درجة تجاهلها لها واهدارها حقوقها وآخرها أمة العرب قبل الاسلام حيث كانوا يئدون البنات خشية العار ، ولئلا يطعمن معهم ، وذلك أمر شديد القسوة ، أن يعمد الاب الى دفن ابنته حية حيث تقضي نحبها تحت أنقاض الرمال المتداعية بفعل أقرب الناس اليها .

قال تعالى عن ذلك : « واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ؟ ألا ساء ما يحكمون » .

وبعث الله سيدنا محمدا عليه أفضل الصلاةوالسلام بدعوته العظيمة الاصلاحية فأوقف سلسلة المظالم التي تواجهها المرأة ، وحدد لها مكانها الطبيعي ، وأعلن أنها والرجل في دين الله سواء ، وأنزل الله عليه كتابه العظيم الذي يعلن في وضوح وفي أكثر من موضع هذه الحقيقة المشرقة ، قال تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث فيها رجالا كثيرا ونساء » . والخطاب للناس « خطاب » لذكورهم واناثهم .

وقال تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ويوم القيامة ينادي الرجال وزوجاتهم من الصالحين « ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون » . وبعد أن كانت سنة العرب قبل الاسلام أن لا يؤول الى النساء من ميراث الرجال شيء وكانوا يقولون « لا يرثنا الا من يحمل السيف ويحمي البيضة » فاذا مات الرجل ورثه ابنه ، فان لم يكن فأقرب من وجد من أوليائه أبا كان أو أخا أو عما .

جاء الاسلام فرفع هذا الظلم عن النساء ، قال تعالى: « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » .

ثم تتالت المواقف الانسانية الراحمة من نبي الامة بالمرأة في كل مراحلها .. حدث الامام البخاري عن سعد ابن أبي وقاص قوله « مرضت بمكة مرضا أشفيت منه على الموت فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم يعودني فقلت : يا رسول الله ، ان لي مالا كثيرا وليس يرثني الا ابنتي فأتصدق بثلثي مالي ؟ قال : الثلث والثلث كثير ، انك ان تركت ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس . وانك لن تنفق نفقة الا أجرت عليها ، حتى اللقمة ترفعها الى فم امرأتك » .

وقال تعالى : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » . وهي درجة الرعاية والقوامة والحماية . لا يتجاوز بها جحود حقها أو اهدار كرامتها وفي حديث مسلم عن أسماء بنت يزيد الانصارية : أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت : بأبي وأمي أنت يا رسول الله . أنا وافدة النساء اليك ، ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء كافة . فآمنا بك وبالهك . انا معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم ، وانكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل ، وان أحدكم اذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، أفنشارككم في هذا الاجر والخير ؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى أصحابه بوجهه كله ثم قال : هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه ؟ فقالوا يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي الى مثل هذا . فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم اليها فقال :

« افهمي أيتها المرأة واعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله » . فانصرفت المرأة وهي تهلل حتى وصلت الى نساء قومها من العرب وعرضت عليهن ما

قاله لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحن وآمن جميعهن .

وسئلت عائشة رضي الله عنها ما كان عمل النبي صلى الله عليه وسلم في بيته ؟ فقالت « كان في مهنة أهله حتى يخرج الى الصلاة » . تريد انه يعاونهن ويعمل معهن.

وكانت فضليات الصحابة يخرجن في رفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزواتـــه يداوين المرضى ، ويأسون الجرحى ويسقين الماء ، منهن أمية بنت قيس الغفارية قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسـلم في نسوة من بني غفار فقلنا : يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك الى وجهك هذا وهو يسـير الى خيبر فنداوي الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا فقال « على بركة الله » . وأم سنان الاسلمية جاءت الى رسول الله وهـو خارج الى خيبر فقالت يا رسول الله : أخرج معـك في وجهك هذا ، أخرز السقاء ، وأداري المريض والجريح ، ان كانت جراح ـ ولا تكون ـ وأبصر الرحل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . اخرجي على بركة الله . فان لك صواحب قد كلمنني وأذنت لهن من قومك ومـــن غيرهم . فان شئت فمع قومك . وان شئت فمعنا . قلت: معك . قال فكوني مع ام سلمة زوجتي فكنت معها وكثير غيرهن .

وكانت المرأة في الاسلام ـ كما كانت في الجاهلية ـ تجير الخائف وتفك العاني فقد أجارت أم هانيء بنت أبي طالب رجلين من احمائها كتب عليهم القتل .. وفي ذلك تقول :

« لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر الي رجلان من أحمائي من بني مخزوم فدخل عليّ علي بن أبي طالب أخي فقال : والله لاقتلنهما . فأغلقت عليهما باب بيتي . ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال : مرحبا وأهلا يا أم هانيء ما جاء بك ؟.. فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي . فقال عليه الصلاة والسلام : فقد أجرنا من أجرت يا أم هانيء ».

وصان الاسلام سيرة المرأة ، وحمى عرضها كأكمل ما تكون الصيانة والحماية ، حيث قال تعالى في حق قاذفي المحصنات : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » . فجعل جل شأنه للقاذف عقوبات ثلاثا : « الجلد » ثم اطراح شهادته وعدم قبولها أبدا ، والثالثة هي الحاق صفة الفسق به وهي شر الصفات وأبشعها . وفي الآية يقول تعالى : « ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بماكانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين » وجعل لها الحرية في أمرين هما أهم أمورها لديها وهو الزواج والمال . ليس لاحد أن يجبرها علـى زواج من تكره .. ولها أن ترفض ما لا ترضى وقد أشار الى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا تنكح الايم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن » وأبطل النبي صلى الله عليه وسلم زواجا أكرهت فيه فتاة بكر على الزواج بأمر أبيها لمصلحة له في زواجها بابن أخيه . حدثت عائشة رضي الله عنها فيما رواه النسائي : « أن فتـاة دخلت عليها فقالت : ان أبي زوجني من ابن أخيه يرفع بي خسيسته وأنا كارهة . فقالت : اجلسي حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبرته . فأرسل الى أبيها فدعاه . فجعل الامر اليها . فقالت يا رسول الله : قد أجزت ما صنع أبي . ولكني أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الامر شيء » ! وقصة (بريرة) وهي جارية من جواري الحبشة ملكها عتبة بن أبي لهب وزوجها عبدا من عبيد المغيرة ما كانت لترضاه لو كان لها أمرها ، فأشفقت عليها عائشة أم المؤمنين فاشترتها وأعتقتها . فقال لها رسول الله : ملكت نفسك فاختاري ، وكان زوجها يمشي خلفها ويبكي وهي تأباه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه :

الا تعجبون من شدة حبه لها وبغضها له • ثم قال لها :
اتقي الله فانه زوجك وأبو ولدك •

فقالت : أتأمرني ؟ قال : لا انما أنا شافع : فقالت :
اذا فلا حاجة لي اليه • ولها مطلق الحرية في مالها دون نزاع أو تسلط • وكان من شأن العرب في جاهليتهم أن الرجل اذا مات عمد أخص أوليائه وأقرب ورثته فوضع ثوبه على امرأته ، وقال : أنا أحق بها• ثم ان شاء تزوجها وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها، وان شاء عضلها لتفتدي نفسها بما ورثت عن زوجها • فجاء الاسلام محرما لذلك، ومنصفا للمرأة ومطلقا لحريتها في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها » • وقال تعالى مخاطبا الازواج في معرض منحه حرية المرأة لها : « ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة » • فأصبح حراما على الرجل أن يستبقيها على كره منها ، وأعنات منه لتفتدي نفسها بما بقي مـن صداقها الا اذا أتت بفاحشة مبينة فتلك ليس لها حق تطالب به أو لا تتنازل عنه •

مفهوم العناية الصادقة بالمرأة

ان الحديث عن عناية الاسلام بالمرأة وانزالهـا مكانتها التي تليق بها حديث لا ينتهي أبدا ، ولا يمكن أن يتجاهله من له أدنى بصيرة بكتاب الله تعالى وسـنة رسوله عليه الصلاة والسلام ولو أردت المضي في ايضاح الدلائل والشواهد لشققت عليكم لكنني سأعود فيما يشبه الايجاز الى جمع شتات الامر الذي يحتاج الى طرقه من جميع جوانبه ، عناية بدين الله المحتوي على الفضائل ، ودفعا لابنائنا وأحفادنا على الثقة بدينهم ، والفخر بالانتساب اليه ، والقدرة على الدفاع عنه ، فهو قد احتفى بالمرأة وحمى واقعها في كل أدوار حياتها •• احتفى بها في بداية حياتها وهي (ابنة) فعاب وحرم الوأد للبنات في قولـه تعالى : « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين » •

وكان قيس بن عاصم النقري يتحدث بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم عن ضحاياه من الموؤدات وأنـه ذهب باثنتي عشرة منهن فقال عليه الصلاة والسلام « من لا يرحم لا يرحم » وأمره أن يعتق بكل واحدة جاريـة مؤمنة ، وكان العرب يأنفون أن يداعب الرجل وليدته أو يسمح لها أن تمرح بين يديه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يداعب الولائد من بناته وبنات أصحابه • فقد حدث البخاري عن أبي قتادة قال : « خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم وامامة بنت أبي العاص على عاتقه فصلى فاذا ركع وضعها ، واذا رفع رفعها » •

وقالت عائشة رضي الله عنها : جاءتني امرأة معها ابنتاها تسألني •• فلم تجد عندي غير تمرة واحـدة فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال : « من ابتلى من هذه البنات بشيء كن له سترا من النار » •

وقال عن ابنته فاطمة رضي الله عنها • « فاطمة بضعة مني يسوءني ما يسوؤها ويسرني ما يسرها » وقال الزهري « كانوا ــ يريد أصحاب رسول الله ــ لا يرون على صاحب ثلاث بنات صدقة ولا جهادا لحاجتهن اليـه وشغله بهن ، والعناية بتربيتهن » • واحتفى بها وأكرمها زوجة • •قال تعالى : « ومن آياته ، أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » • وأوضح نوعية التلاقي بين الزوجين حيث يقول : « وعاشروهن بالمعروف » وقال: عليه الصلاة والسلام « خيركم خيركم لاهله وأنا خـيركم لاهلي » • وأذن عليه الصلاة والسلام لفتيان الحبشـة فلعبوا بحرابهم بين يديه في المسجد ، ودعا عائشة رضي الله عنا فوطأ لها عاتقه ، وحاط وجهها بيده ، ومكنها من مشاهدتهم حتى سئمت » • وروى ابن عبد ربه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فقال: أهديتم الفتاة الى بعلها ؟ قالت نعم • قال فبعثتم معها من يغني ؟ قالت لا • قال أوما علمت أن الانصار قـوم

يعجبهم الغزل ألا بعثتم معها من يقول :

أتيناكـم أتيناكــم

فحييونـــا نحييكم

ولولا الحبة السمراء

لم نحلل بواديكم ؟

وحدث البخاري عن الربيع بنت معوذ قالت : « جاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حين بني علي .. فجلس على فراشي ، فجعلت جويريات لنا يضربن الدف حتى قالت احداهن ، وفينا نبي يعلم ما في غد .. فقال : دعي هذا وقولي بالذي تقولين » .

ونظم الخالق تعالى الصلة بين الزوجين في قوله عز شأنه « وعاشروهن بالمعروف فـان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » وهي كما ترون تحدد في جلاء الاطار الرائع الذي يجب أن يحتوي واقـع الزوجين في الاسلام ومدى التزام كل منهما بالاخر ، وان الحب وحده ليس هو مبرر استمرار الزوجية .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل طلق امرأته . لم طلقتها ؟ قال : لا احبها . فقال : « أكل البيوت بنيت على الحب ؟ أين الرعاية والذمم ؟ .

واعتنى الاسلام بها « أما » فقرن القرآن الكريم بين حق الله تعالى وحق الوالدين في قوله تعالى « ان اشكر لي ولوالديك الي المصير » وقال تعالى : « وبالوالدين احسانا »

وقوله صلى الله عليه وسلم : « لرجل جاء اليه فقال : يا رسول الله من أحق بحسن صحبتي ؟ قال أمك . قال : ثم من ؟ قال أمك . قال ثم من ؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال : أبوك » .. وكان صحابة رسول الله والتابعون لهم باحسان لا ينفكون مطيعين لامهاتهم ، محسنين اليهم اتباعا لاوامر الله ورسوله ومن ذلك حديث عبد الله بن الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما . وذلــك بعد أن دان لعبد الله بن الزبير العراق والحجاز واليمن .

ثم أخذ عبد الملك بن مروان يقاومه . فغلبه على العراق ثم جهز له الحجاج بن يوسف الثقفي الذي أخذ يغلبه على أمره حتى انتهى الى مكة المكرمة فطوقهاو نصب المجانيق على الكعبة المشرفة وأهوى بالحجارة عليها . وفي الكعبة يومئذ أسماء بنت أبي بكر . وكان عبد الله يقاتل جند الحجاج مسندا ظهره الى الكعبة وليس حوله الا القليل من رجاله ، والحجاج يرسل له من يمنيه الخير ويعده بالامان لو بسط يده بالبيعة .

ودخل عبد الله بن الزبير في أثر ذلك على أمه : فقال يا أماه خذلني الناس حتى أهلي وولدي ولم يبق معي الا اليسير ، ومن لا دفع له أكثر من صبر ساعة من النهار . وقد أعطاني القوم ما أردت من الدنيا فما رأيك ؟ قالت : الله الله يا بني ان كنت تعلم أنك على حق تدعو اليه فامض فيه ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أمية فيلعبوا بك . وان كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك ومن معك وان قلت اني كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت نيتي فليس هذا فعل الاحرار ولا من فيه خير ، كم خلودك في الدنيا ؟ القتل أحسن ما يقـع لك يا ابن الزبير .والله لضربة بالسيف في عز أحب الي من ضربة بالسوط في ذل ، فقال : يا أماه أخاف ان قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني . قالت : يا بني ان الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح فامض على بصيرتك واستعن بالله . فقبل رأسها وقال لها :

هذا والله رأيي ، والذي قمت به داعيا الى الله ، والله ما دعاني الى الخروج الا الغضب لله عز وجل أن تهتك محارمه ، ولكني أحببت أن أطلع على رأيك فيزيدني قوة وبصيرة مع قوتي وبصيرتي . والله ما تعمدت اتيــان منكر ، ولا عملا بفاحشة ، ولم أجر في حكم ، ولم أغدر في أمان ولم يبلغني عن عمالي حيف فرضيت به ، بل أنكرت ذلك ، ولم يكن شيء عندي آثر من رضاء ربي، اللهم اني لا أقول ذلك تزكية لنفسي ولكني أقوله تعزية لامي لتسلو عني ، فقالت : والله اني لارجو أن يكون عزائي فيك جميلا ، أن تقدمتني احتسبتك ، وان ظفرت ســررت بظفرك ، اخرج حتى أنظر الام يصير أمرك . ثــم قالت :

اللهم ارحم طول ذلك القيام بالليل الطويل ، وذاك النحيب والظمأ في هواجر مكة والمدينة ، وبره بأمه ، اللهم اني قد سلمت فيه لامرك ورضيت فيه بقضائك فأثبني في عبد الله ثواب الشاكرين • قال : يا أماه لا تدعي الدعاء لي قبل قتلي ولا بعده ؟ فقالت : لن أدعه فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق ، فتناول يدها ليقبلها وقال : جئت مودعا لاني أرى هذا آخر أيامي من الدنيا • قالت امض على بصيرتك • وادن مني حتى أودعك • فدنا منها فعانقته وقبلته ، فوقعت يدها على الدرع ، فقالت ما هذا صنيع من يريد ما تريد فقال ما لبستها الا لاشد متنك • قالت انها لا تشد متني فنزعها ثم درج لمته ، وشد قميصه وجبته ، وخرج فقال لاصحابه : احملوا على بركة الله وليشغل كل منكم رجلا ، ولا يلهينكم السؤال علي فاني على الرعيل الاول ، ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون• وهناك رماه رجل من أهل الشام بحجر فأصاب وجهه، فأخذته منه رعدة فدخل شعبا من شعاب مكة يستدمي، فبصرت به مولاة له • فقالت : وا أمير المؤمنين • فتكاثر عليه أعداؤه عند ذلك وقتلوه وصلبه الحجاج وأقام جثمانه على الجذع، حتى اذا أمر عبد الملك بانزاله أخذته أمه فغسلته بعد أن ذهبوا برأسه ثم كفنته وصلت عليه ••

رحمه الله ورحمنا •

المساواة كما يراها الاسلام

لا تزال هناك أمور يحسن بحثها وربما كان في لقاء اخر باذن الله لكنني سأتعرض وبسرعة لامر طالما تحدث عنه الناس ، وطالما خدع بعضهم البعض الاخر بتمويه وجه الحقيقة فيه ، ذلكم المبدأ الازلي العظيم الذي يقتضي توزيع الحقوق والواجبات بين الرجال والنساء » على سبيل التكافؤ • أو المماثلة الواضحة في قوله تعالى : « ولهن مثل الذي عليهن » • وما أوضحه القرآن الكريم من تقرير أن الرجل من المرأة والمرأة من الرجل في قوله تعالى : «فاستجاب لهم ربهم انني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض » •• أما حينما تتخذ المطالبة بالمساواة المزعومة مظهر التجاهل التام للفروق الواضحة بين الجنسين في الخلق ، والتكوين ، والموهبة ، والاستعداد فهي الخداع الواضح ، والقول المردود ، فالله تعالى أعلم وأحكم بخلقه من خلقه ، ساوى بينهم في عقيدتهم اذا أخلصوها لله ، وساوى بينهم في الثواب على أعمالهم الصالحة اذا تساووا في حجم الطاعة والايمان بالله ، لكنه تعالى اختص كل جنس بمواهب خاصة وقدرات معينة لا يقدر عليها غيره ، لتتم عمارة الكون ويمضي أمر الله في خلقه كما أراد ويريد • وكانت الاجابة القاطعة في ذلك فيما روى أن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ومعها نسوة قالت : ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم • فنزل قوله سبحانه « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما » وختام هذه الآية تأكيد واضح لما هو متقرر وراسخ من شمول علم الله بكل شيء ، فهو العالم بعباده ، والمطلع على قدراتهم ونوازع نفوسهم ، وهو بعلمه الشامل الذي لا يشذ عنه شيء خلق الرجال ومنحهم ما يتلاءم مع دورهم في الحياة وخلق النساء ومنحهن ما يتلاءم مع دورهن • وكلا الدورين يمضيان قدما بالانسانية الى مسيرتها في نظام بديع متقن ، ولا تستقيم حياة الناس بدون الاعتراف بالحكمة الواضحة في كل ما تقع عليه العين من مخلوقات الله بشرا أو جمادا أو حيوانا •• « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ؟ بلى فهو يعلم من خلق قبل خلقه وبعد خلقه •• يعلمه ويعلم ما يقيم حياته ، وما توسوس به نفسه •• والقائلون أن المساواة يجب أن تتم بين الجنسين في كل أمر •• حتى في القدرات والاعمال •• انما يقولون ما لا دليل عليه في تكوين الفطرة ولا حتى من تجارب الامم ولا من حكم المشاهدة والبداهة ، بل قام الدليل على نقيضه في جميع هذه الاعتبارات ، ولم تتجاهل الامم فوارق الجنسين الا كان تجاهلها لها من قبيل تجاهل الطبيعة التي تضطر من يتجاهلها الى الاعتراف بها بعد حين ، ولو من قبيل الاعتراف بتقييم العمل بين

جنسين لم يخلقا مختلفين عبثا بعد أن غبرت عليهما ألوف السنين ، وأحرى أن يكون طول الزمن مع تطور الاحوال الاجتماعية سببا لاختصاص كل منهما بوظيفة غير وظيفة الجنس الاخر ، ولا سيما في الخصائص التي تفترق فيها لغاية الحياة البيئية ، وكفاية الحياة الخارجة ، فان طول الزمن لا يلغي الفوارق بل يزيدها ، ويجعل لكل منهما موضعا لا يشابه سواه والامثلة لا تحصى منها احتفاظ الرجل بالقدرة على بقاء وظيفة النسل به ، طليقة ما صلحت بنيته حتى المراحل الاخيرة من عمره حينما هي غير ذلك في المرأة ، حيث يندر أن تبقى لها تلك القدرة على التناسل بعد سن الخمسين ، وحتى في الاعمال التي انقطعت المرأة لها في غالب الاحوال كالطبخ ، وعمل الازياء وصناعة التجميل ورثاء العزيز من الموتى . وهي أمور ، يبدو أنها مما تختص به المرأة لكن الرجل تغلب عليها من حيث القدرة على أدائها — والبراعة في ذلك والقوامة التي وهبها الله للرجل على المرأة في قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض » .

لا نعني تفضيل معدن الرجل على معدن المرأة فهما شقيقان ينحدران من نفس واحدة وهو تفضيل لا يغض من قدر انسانية المرأة ، لانه ناشيء من تفرقة عضوية بينها وبين الرجل لا من تفرقة في الجوهر والمعدن .. ومثل هذه التفرقة لا تستوجب الاسى عليها فان فضل الله معقود بتزكية النفوس ، لا بتفرقة عضوية اقتضتها حكمة الله لضمان استدامة حياة البشر وتكاملها وفي الشبيه من ذلك قول الله تعالى : « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق » فهل هذا التفضيل الالهي النابع من الحكمة — التي قد يجهلها الكثيرون — هل هذا التفضيل يؤدي الى انتقاص قدر المفضول في الرزق عند الله اذا أخلص له وعمل من أجله ؟ اللهم لا لكن من حكمته أن يخدم الناس بعضهم بعضا وهكذا فالرجل يذهب في المجتمع ليحقق ماأراد الله له من انجازات ومهام .. والمرأة تذهب في المجتمع لتحقق ما أراده الله لها من أعمال ومهام وهل هناك أعظم أو أسمى من دور المرأة في تربية أطفالها واعدادهم اعدادا متكاملا لخوض معركة الحياة ، فالاطفال هم الشباب غدا وهم الرجال بعد غد .. اذا لم يجدوا بجوارهم أما تحنو عليهم وتسبغ عليهم من عطفها وحمايتها ورعايتها مما هم بحاجة اليه .. فانهم يتحولون الى ما يشبه الدمى وتتكون عاداتهم وطبائعهم بعيدا عن القلوب التي تخفق بحبهم . وتعمل من أجل تكوينهم والمتناقضات التي يحياها شباب اليوم في كل مكان أليس من المعتقد أن من الاسباب وراءها أن أولئك عاشوا حياتهم بعيدين عن أحضان أمهاتهم وصدورهن المليئة بالحب .. قضوها في دور الحضانة ، أو لدى مربيات يمارسن عملهن كمايمارس المنظف عملا يعتبره وسيلة لكسب عيشه دون أن يشعر بمتعة ممارسته له ..

وكثيرا ما كنت أسأل نفسي : هل احتياج الاطفال ينحصر في اعطائهم أقدارا من الحليب ، ووضع الملابس على أجسامهم ؟ وهل يكفي ذلك ليكون الطفل سويا متكامل المشاعر ؟ وأجد الاجابة واضحة ، في السلوك الماثل في واقع الاطفال الذين يحيون بين أحضان أمهاتهم وأباتهم وينعمون بحنانهم وحبهم .. وأولئك الذين حرموا من تلك النعمة وبالتالي لا يصعب على المرء أن يلحظ ما يكتنفهم من اضطراب ، وما يشمل حياتهم من شذوذ .

ان رسالة المرأة هي بناء الاسرة وادارة المنزل حتى تعيش مع أسرتها في جو هادىء مريح يبعث على النشاط المطلوب لاستمرار عمل الحياة ولا يمنع من ذلك أن تعمل في حال احتياجها أو رغبتها في المجالات التي يمكنها أن تؤديها بلا مخالفة لطبيعة تكوينها ، وواقع استعدادها والتي يمكنها أن تنجح في أدائها لاتفاقها مع امكانياتها .

ان أي خروج على الطبيعة التي خلقها الله لنا وأودع فينا الاستجابة لانطلاقتها يعتبر تعطيلا لحكمة الله في الخلق . وسببا للكثير من الآلام النفسية والحسية ومؤديا للكثير من المتاعب التي يعيشها الناس ، ولا سبيل الى عودة السعادة وهناء الحياة وسكينتها ، الا بالاذعان لحكمة الله وبديع خلقه ، وممارسة الحياة كما أرادها الله ويسرها .

جعلنا الله جميعا من العاملين من أجله المحققين لرسالته . ولا حرمنا من التعرف على جليل حكمته ، وبديع صنعه .

الرياض — حسن عبد الله آل الشيخ

انت .. الرياض

د. غازي القصيبي



أحبك حبي عيون « الرياض »
يغالب فيها الحنين الرجاء
أحبك حبي جبين « الرياض »
يطل تلفعه الكبرياء

★ ★ ★

أحبك حبي دروب « الرياض »
عناء « الرياض » صغار
« الرياض »
وحين تغيب « الرياض »
أحدق في ناظريك قليلا
فأسرح في « الوشم »
« والناصرية »
وأطرح عند « خريص » الهموم

★ ★ ★

وحين تغيبين أنت
أطالع ليل « الرياض » الوديع
فيبرق وجهك بين النجوم

★ ★ ★

وفاتنة أنت مثل « الرياض »
ترق ملامحها في المطر
وقاسية أنت مثل « الرياض »
تعذب عشاقها بالضجر
ونائية أنت مثل « الرياض »
يطول اليها .. اليك السفر

★ ★ ★

وفي آخر الليل يأتي المخاض
وأحلم أنا امتزجنا
فصرتُ « الرياض »
وصرتِ « الرياض »
وصرنا « الرياض »

محمد حسين زيدان

رحلات الأوربيين
إلى نجد وشبه الجزيرة العربية

جزيرة العرب العريقة في التاريخ أم الانسان الحضاري هي المعلوم في كل ثبت وبكل الاثبات ، وهي المجهول فيما بعد . كانت في علم الانسان وضعت طابعها على الدنيا كلها ، بحضارة قوم عاد وثمود والانباط وامبراطورية ذي القرنين وبالفتح المبين ، والفتح العظيم. تهدي الانسان الى الخير .. تشرع لهذا الانسان شريعة القرآن صالحة لكل زمان ومكان . لا تضيق باصلاح وترفض كل فساد حتى اذا عرفت بالرسالة والخلافة وحتى اذا أعطت من بينها الاباطرة في أمبراطورية أمية في دمشق وامبراطورية العباسيين في بغداد والدولة العظيمة في الاندلس .. أشرقت بكل ذلك على أوروبا شمس المعرفة تأخذها أوروبا من الاستاذ والكتاب بينما الاصل الاصيل الممد من جزيرة العرب قد ساهم في أن تكون هذه الجزيرة مجهولة أبناؤها أمويون .. انصرفوا عنها .. وعباسيون أسرفوا عليها ، فاذا أوروبا تأخذ علمها بينما هي تجهله كأنها لم تكن المصدر الاول الذي أمدها بالمعرفة ، لكن رجالا من الغرب أرادوا أن يعرفوا مصدر المعرفة في هذه الجزيرة .. حجازها ونجدها ويمنها .. فأرسلوا أنفسهم باحثين عن معرفة لهم جديدة عن تعريف لهذه الارض كانوا به حريصين على أن يعرفوا وكانوا به أكثر حرصا على أن نعرف .. فقد عشنا جهلا لهذه الجزيرة حتى أن الذين كتبوا الامهات عن الاماكن قد أخذنا منهم العلم بالمكان ولم نأخذ منهم العلم بالامكان ، ولان قدسنا المكانة بالمعرفة للحرم .. القبلة والمسجد .. في دار الهجرة ، فانا قد جهلنا أن نذوق ما مكن لهذه الارض من الاصالة تبقى راسخة رغم كوارث الغزو لها وكوارث الطبيعة عليها ، وشظف الصحراء فيها ، والرجعة الى البداوة .. وكل هذا أعطاني فكرة عن موضوع كمحاضرة أشرح فيها جهد المستشرقين .. أرفض هذه التسمية فأسميهم المستعربين ،

وقد نتحايل على القول والرفض فنسميهم الرحالة . أضع بعض التوضيح عنهم في ملامح كدليل .. لعلي أجد من هو أكثر علما مني أو تعمقا .. أن يعطي هذا الامر حقه .. ولم يفتني أن هؤلاء الرحالة ، مع قصدهم الى المعرفة ، كانوا رسلا للسياسة ، يعطون الامبراطوريات المستعمرة كل التفاصيل ، فالرحلات كانت ذات وجهين : رحلة للعلم هي التي بقيت ننتفع منها ، ورحلة للسياسة انتفعوا بها زمنا طويلا .. وكان من تمام المعرفة لنا عرفاننا لهذا الغرض ، ثم زال ما أعطوا للسياسة وبقي ما منحوه للعلم .

لانجرحهم بما أخذوه منا للسياسة ، ومن حق العلم أن نحترم النتيجة العلمية ، فقد ذهب مفعول السياسة وبقي فعل العلم ٠

كانت شبه الجزيرة العربية مكانا مجهولا بالنسبة للاوروبيين حتى مطلع القرن التاسع عشر ، تحيط بها الاساطير وأفكار العصور الوسطى ٠٠ ولم تكن هنـــاك معلومات جغرافية الا ما هو مستمد من كتب الجغرافيين والرحالة القدامى ، وكان قد مضى عليهم أربعة قرون من الزمان ٠٠

ولذلك فانه لما نشطت حركة الاكتشافات الجغرافية في أوروبا منذ القرن السادس عشر ، أخذ عدد من الرحالة الاوروبيين يتطلع الى ارتياد شبه الجزيرة لاكتشافهاوالكتابة عنها ، ففي سنة ١٧٥٩ فكر جماعة من الاوروبيين فيارسال بعثة علمية لاكتشاف شبه الجزيرة ، ويبدو أن صاحب الفكرة كان هو ميكايليس جوتنجن الذي عرض الفكرة على فريدريك الخامس ملك الدانيمرك ٠ فجهزت سفينة حربية عليها خمسة أشخاص كل واحد منهم متخصص في فرع علمي معين ٠

ورحلت السفينة الى اتجاه الشرق في ٧ يناير ١٧٦١ وكانت تحمل الاشخاص الاتية أسماؤهم :

ــ بيتر فورسكال ــ طبيب سويدي ولـــه معرفة متخصصة بالنبات ٠

ــ كريستيان شارلس كرامر ــ جراح وعالم بالحيوان ٠

ــ فريدريك كريستيان فون هافن ــ عالم باللغات ومستشرق ٠

ــ وليم بورنفيد ــ فنان ٠

ــ كارستن نيبوهر ــ مهندس ورياضي ٠

ولقد شاءت الاقدار ألا يعود من هؤلاء الرجالالذين نزلوا الى البر العربي في اليوم الاول من أكتوبـر سـنة ١٧٦٢ الا رجل واحد هو نيبوهر رغم أنه لم تكن هناك أية فاجعة ٠ وقد كان رأي نيبوهر الذي بقي على قيد الحياة أن الاجهاد الذي سبب الموت لرفاقه كان ناتجا عن تحملهم المشاق في زيارة البلاد دون أن يحسبوا حساب الحرارة المحرقة ٠

وقد وصف لنا نيبوهر في كتابه الذي أخرجه تحت عنوان « رحلات في بلاد العرب » بعض مراحل رحلتهـــم وكيف استقبلهم الامام في صنعاء باللطف ثم طريق عودتهم الى المخا وسفرهم الى الهند ٠ وقد نشرت قصة هـــذه الرحلات باللغة الالمانية في سنة ١٧٧٢ ونشرت باللغـــة الفرنسية في السنة التالية أتبعت بطبعة ثانية سنة ١٧٧٩ ثم صدرت منها طبعة نهائية باللغة الالمانية سنة ١٨٣٧ ٠

وعلى الرغم من أنه كان من المقرر أن تمكث البعثة ثلاث سنوات في شبه الجزيرة الا أن نيبوهر لم يمكث سوى اثني عشر شهرا ولم يزر الا جزءا صغيرا منها ٠

ولكن هذه الرحلة التي لم يشعر بها الناس في حينها زادت في المعلومات التي لدى الاوروبيين عن شـبه الجزيرة زيادة عظيمة ان لم يكن في الكم ففي النوع ٠

فلقد كان هؤلاء الرحالة يلاحظون كل شيء يمرون عليه ويدونون ملاحظاتهم ، وقد جمعوا معلومات شتىتنتقل بين نقل بعض النقوش الى وصف الجمال وتجهيزها الـــى الرياح الصحراوية الى أسراب الجراد وعندما قـــــرأ الاوروبيون كتاب نيبوهر اطلعوا منه على الكثير من شئون العرب : أنسابهم وطبقاتهم والخلافات المذهبية القائمة بين الشيعة والسنة وهم لم يكونوا في ذلك الوقت يعرفون الكثير عنها وعرفوا كذلك بعض العادات مثل عادة الثأر للدم التي كانت السبب في كثير من النزاع بين العشائر

وعادات المأكل والمسكن والاستقبال والتحية والزواج ·
كما عرفوا الكثير عن منتجات شبه الجزيرة من المعـــادن والحجارة والاشجار والنباتات والزراعة وغير ذلك ·

وكان أهم من ذلك كله الخرائط التي رسمها للمناطق التي زارها ·

ولا شك أن نيبوهر قد عرف اليمن أكثر من غيرها ، فقد أظهرها بمناطقها المزروعة والفقيرة ودساكرهـــــا وأسواقها وقلاعها وقراها الزراعية ·

أما عن شبه الجزيرة فقد أعطى نيبوهر فكرة واضحة من المعلومات التي جمعها عن حضرموت وعشائر البدو المستقلة فيها ومدنها وبخورها وتجارتها · كما زار مسقط في عمان وتحدث عن الخليج العربي وعن المشيخات الصغيرة المنتشرة على ساحل الخليج وعن صيد اللؤلؤ في سواحله ·

وتحدث كذلك عن الاحساء وعن الساحل الفارسي للخليج الى غير ذلك من المعلومات التي أتيحت معرفتها لاول مرة عن طريق كتابه ، ثم عاد مرة أخرى للحديث عن نجد فتحدث عن الدرعية وعن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

وأصبح كتاب نيبوهر هو المثل الذي اقتدت بـــه الجمعية العلمية الفرنسية عندما عهد اليها نابليون وهو في طريقه الى مصر بتشكيل فرقة من العلماء لتصحبه في حملته ·

ولقد كانت نتائج رحلة نيبوهر العلمية ·· أن كل المجامع العلمية في أوروبا أخذت تشكل برامج أسئلتها بالنسبة للاكتشافات طبقا لمجموعة المعلومات التي أوردها في كتابه ، وبذلك يعتبر رائدا للتفكير العلمي عنـــد الاوروبيين عندما أرادوا اكتشاف شبه الجزيرة ، وعلى الرغم مما حققته رحلته فان الاجزاء الاخرى من شبـــه الجزيرة العربية كانت لا تزال مجهولة وكان لا بد من ارتيادها للحصول على معلومات صحيحة عنها ·

ولقد كانت رحلة الحج ودخول الاماكن المقدسة من أكثر الامور استثارة لرغبة الاوروبيين في معرفتها ولكن دخول مكة والمدينة كان محظورا على غير المسلمين ورغم أن رحالة اخر هو جيمس بروس قام برحلته البحرية الى الحبشة ووصف بعض سواحل الحجاز وكذلك قام ايليس اروين في سنة ١٧٧٧ باكتشاف طريق البحر الاحمـــر لحساب شركة الهند الشرقية الا أن المعلومات التي أوردها كانت قليلة وقد جمعها من الاستقصاء وليس عن طريق المشاهدة ·

ولكنه في سنة ١٨٠٧ وصل الى مكة شخص يسمى نفسه « علي بك العباس » ومعه مجموعة كبيرة من الخدم وآلات علمية كثيرة وكان يحيط نفسه بمظاهر السيادة ويبسط الخدم أمامه سجادة الصلاة ولم يدر بخلد أحد في ذلك الوقت أن هذا الحاج المسلم الشريف النسب سليل العباسيين الذي يتقن عدة لغات أوروبية منها الفرنسية والايطالية والاسبانية هو نفسه الرحالة الاسباني دمينجو باديا ليبليش الذي كان قد رحل من قادس في أسبانيا سنة ١٨٠٣ بعد أن استشار كثيرا من الشخصيات البارزة في باريس ولندن في اتجاه مراكش ومنها الى الاسكندرية ·

واعتقد بعض الباحثين فيما بعد أن علي بك كان جاسوسا للامبراطور نابليون الثالث ولم يكن ذلك بالامر المستبعد اذ أن نابليون الثالث كان يود معرفة شيء عن موقف مسلمي الشرق الادنى من دعوة الشيخ محمد بـــن عبد الوهاب لانه وان خرج نابليون الاول من مصر فقد عاد نفوذ نابليون الثالث الى الشرق بواسطة قناة السويس ولكن المهم أن علي بك العباس هذا كان يحمل أجهزة علميـــة دقيقة جدا منها مقياس للرطوبة الجوية وآلات أخرى فلكية

تمكنه من الحصول على معلومات علمية دقيقة عن مستوى البحر عند جده وينبع ، وتمكنه من تحديد مواقـــع المدن بالنسبة لخط الاستواء . كما تمكنه من الوصف الجيولوجي للجبال ووصف النباتات والحيوانات والحشرات (لم يحدد مدار السرطان في أبحاثه وكان المشهور أنه يمر بالمدينة) .

ولقد قام علي بك العباس بنشر قصة رحلته للمرة الاولى في باريس سنة ١٨١٤ وفي لندن سنة ١٨١٦ . وغادر دمشق سنة ١٨١٨ ليعود الى مكة ثانية ، ولكن المنية عاجلته وهو في الطريق .

ولقد سار تساؤل شديد حول حقيقة اعتناقه للاسلام فقد كان يؤدي الفرائض خلال رحلته ، ويظهر التعظيم لكل الشعائر الاسلامية الا أن بعض العبارات التي أوردها في كتابه أثارت الشك حول صحة عقيدته .

ومما يكن من أمر اسلامه فان الفضل يرجع اليـه في أنه قدم للغرب أول تقرير علمي دقيق مفصل عـــن الحج الى مكة الذي رآه وعاش فيه كأحد المسلمين وكـان وصفه للمسجد الحرام مطابقا تماما للواقع فقد وصف أبوابه ومصابيحه كما وصف بئر زمزم والسعي بـــين الصفا والمروة .

وكانت تلكم الاوصاف أول ما عرفه الاوروبيـــون بصورة مفصلة عن مناسك الحج .

ولقد كان لقصة رحلة علي بك فائدة أخرى هـي أنه وصف للمرة الاولى عيشة أتباع الدعوة السلفية التي بدأها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ووصف دخــــول جيش الدرعية الى مكة للحج وعلى رأسهم الامام سعـــود وأبو نقطة ، ووصف جمالهم وأحمالهم وبيارقهم والعلم المنقوش عليه لا اله الا الله محمد رسول الله .

واذا كان الاوروبيون قد اهتموا بمعرفة كل شيء عن المدينتين المقدستين مكة والمدينة .

فان منطقة أخرى من شبه الجزيرة العربية أخذت تفرض على الاوروبيين الالتفات اليها في أوائل القرن التاسع عشر لا على رجال السياسة فحسب وانما علـــى أعضاء الجمعيات العلمية والادبية .. تلك هي المنطقة المعروفة باسم ــ البتراء ــ ــ سلع ــ ــ ومدائن صالح ــ الحجر وقد وصل رحالتان الى شواطىء سورية بالتتابع هما سيتزن في سنة ١٨٠٢ وبوركهاردت في سنة ١٨١٠ بقصد الدخول الى هذه المنطقة وكان سيتزن مستشارا في احدى الامارات الالمانية الصغيرة التابعة آنئذ لقيصر روسيا ولكنه كان يحلم دائما بأن يصير مكتشفا فجد في تحصيل المعلومات وحصل على الثقافة اللازمة وتضلع في اللغة العربية ثـم غادر المانيا في سنة ١٨٠٢ متوجها الى سوريا وفي سنة ١٨٠٦ وجد دليلا من البدو وكان معتنقا للنصرانية ــ وقد سبق أن عاش ثلاثين عاما بين قبائل عنزة فسألـــه سيتزن عن أحوال البدو في المنطقة كلها . وكانت محادثاته مع ذلك البدوي مثمرة ، حيث أنه عندما عاد الى القاهرة نشر كتابا تحت عنوان « بحث يصلح للتعرف على قبائل البدو العربية في سورية والبتراء » .

ولقد تجول سيتزن مع دليله في المنطقة الواقعة الى ما وراء البحر الميت ، وبلغ حدود شبه الجزيرة العربية ، حيث كان يريد اكتشاف موقع مدينة البتراء القديمة الا أنه على الرغم من قربه منها لم يتمكن من الاهتداء اليها .

ولكي نفهم الصعوبة التي تعترض الرحالة في هذه المنطقة في مثل ذلك الزمن لا بد لنا أن ندرك طبيعة البدو الموجودين في تلك المناطق ومدى استطاعة الدليل الـذي يصحب الرحالة التفاهم معهم .

وعاد سيتزن الى مصر عن طريق سيناء ثم السويس وأعلن أنه اعتنق الاسلام وأنه يريد أن يتم دينه فاستطاع

أن يرافق رحلة الحجاج وبلغ المدينة التي لم يصل اليهاعلي بك العباسي ثم رحل الى اليمن وهناك مات مسموما وضاعت معظم الدفاتر التي دونها والتي كانت تحتوي على تسجيلات لمشاهداته ·

أما بوركهاردت فانه غادر انجلترا في مارس سنة ١٨٠٩ متوجها الى سورية لمحاولة اكتشاف شمال شبه الجزيرة وكان قد أعد نفسه لذلك بأن أخذ يدرب نفسه على حياة البدو كما درس القرآن وتفاسيره الى درجة أنه لم يستطع اقناع الناس بأنه الشيخ ابراهيم المسلم فحسب بل على أنه أحد علماء المسلمين الافذاذ وقضى بركهاردت عامين على الحدود السورية العربية يجمع المعلومات وعلى غرار الكتاب الذي أصدره سيتزن أصدر بوركهاردت كتابه الذي سماه « ملاحظات عن البدو والوهابيين » ·

على أنه يجب أن نلاحظ أن بوركهاردت قد أوغل في البحث أبعد مما ذهب اليه سيتزن ، فقد تمكن من أن يقدم صورة عن المجموعات القبلية والميزات السياسية الخاصة بكل منها وعن حالتها الاقتصادية وتنظيمها الاجتماعي ومبادئها الاخلاقية وعاداتها ·

ولقد زار بوركهاردت البتراء وان كان لم يستطع أن يقدم معلومات علمية عنها لان البدوي المرافق له شك في أمره عندما حاول استعمال أجهزته العلمية ·

واذا كان سيتزن وبوركهاردت قد اجتازا الحدود الشمالية لشبه الجزيرة ، فان المنطقة الداخلية الى شمال جبلي شمر ـ آجا وسلمى ـ كانت لاتزال مجهولة لدى الاوروبيين ·

وكان يستثير اهتمامهم بها عوامل شتى وان كان أهم ما أشار اليه المؤرخون أنه مع مطلع القرن التاسع عشر أخذ آل الرشيد يوطدون سلطانهم في تلك المنطقة ·· فكان هذا دافعا لكثير من القوى على الاتصال بهم لمعرفة مدى قوتهم ونفوذهم وأدى ذلك الى أن يبعث محمد علي بشاب فنلندي كان يدرس في القاهرة ليقوم برحلة عبر شمال شبه الجزيرة ·

فقد كان هذا الفنلندي ويدعى أوغسطس والان قد حصل على منحة للدراسة من جامعة هلسنكي ، فقضى سبع سنوات متنقلا ما بين بلاد الفرس والعراق وسورية واستقر أخيرا في مصر وعزم على اكتساب ثقافة عربية تمكنه من التنقل بحرية في شبه الجزيرة ·

ويبدو أن محمد علي قد بعث به اما ليشتري له خيولا من نجد أو ليستطلع أحوال جبال شمر ·· وقد قام والان برحلتين الى حائل عاصمة جبال شمر ·· وقد استطاع أن يفعل ذلك نتيجة دراسة لعادات البدو وعقليتهم واكتساب القدرة على كسب ثقتهم وقد وصلت لنا كل هذه العادات ·· فيما بعد وعلى الاخص ما وصفه من رسم ـ الخوه ـ وهي تلك الاتاوة التي تدفعها كل قرية أو مدينة لتقاوم هجمات البدو ·· كما وصف لنا علاقات التحالف بين القبائل وبعضها كما لاحظ والان أنواعا من العشائر البدوية بعضها يسرح في البادية مع قطعانه أثناء موسم الرعي في الربيع ، وأثار دهشته أن أفراد عشيرة المعازة الذين يشغلون المنطقة الممتدة من معان حتى الحدود المصرية يجهلون دينهم الاسلامي أشد الجهل ·· ولا يكاد أن يعرف واحد منهم شيئا عن شعائر الاسلام ·

وأوغل والان في شمال شبه الجزيرة بصحبة ثلاثة من قبائل الشرارات حتى وصل الى وادي السرحان ثم دخل مدينة الجوف وكان وصف والان لهذه المدينة فريدا في نوعه اذ كان من الدقة بحيث وصف أحياءها ومنازلها ·

ثم رحل والان من الجوف بصحبة البدو مخترقا صحراء النفوذ حتى وصل الى قرية ـ جبة ـ ثم وصل الى حائل عاصمة جبلي شمر التي وصفها وصفا مفصلا كما وصف قصر عبد الله آل الرشيد ·· وتبع والان رحالة ايطالي هو كارلو جوارماني ·· ولقد كان لدى جوارماني الاستعداد الطيب لاختراق نجد نتيجة لصلاته الوطيدة مع البدو اذ كان قد أقام لسنين طويلة في القدس وهو يعمل

كوكيل لشركات النقل البحرية الامبراطورية الفرنسية وانشاء علاقات مع العشائر الرحل في تلك المناطق ٠

وقد استدعاه وزير الزراعة الفرنسي الى باريس في سنة ١٨٦٣ ليعهد اليه بشراء خيول للاصطبل الامبراطوري ٠ وقد بدأ جوارماني رحلته في ٢٦ يناير سنة ١٨٦٤ مرتديا زي بدوي واخترق المناطق الشمالية من شبه الجزيرة حتى وصل الى تيماء ، وكان والان قد زارها من قبل ، ثم دخل الى منطقة حرة خيبر ، ووصفها بعض الوصف ٠٠ وان كان وصفه لهذه المنطقة أقل في مجموعه من بقية الاوصاف التي أوردها ٠٠ مما دعا بعض الباحثين الاوروبيين المتأخرين الى الشك في صحة روايته عن زيارته لحره خيبر، ولقد راع جوارماني أن يجد جميع سكان منطقة خيبر من السود حتى ظن أنه انتقل الى السودان ، وغادر جوارماني منطقة خيبر الى منطقة يقطنها فخذ من عتيبة يعرف ـ بالروقة ـ فلحق بهم وسار معهم ولكنهم كانوا في حالة حرب مع الامير عبد الله بن فيصل آل سعود وحضر جوارماني معركة وقعت بين قوات الامير وأفراد هذه القبيلة ٠

ثم سار جوارماني حتى دخل مدينة ـ عنيزة ـ ووصف أسواقها والخيل فيها ، ثم سار الى بريده ثم الى حائل وأميرها طلال بن الرشيد ، وهناك زار جوارماني على أنه المسؤول عن اصطبل فؤاد باشا التركي وأن اسمه هو خليل أنما ٠٠ فرحب به الامير وأجلسه معه في مجلس القضاء ورأى كيف كان يقضي الامير في القضايا بسرعة وكيف كان يفرض الاحكام والعقوبات الصارمة اذا كان يحكم بالقتل على القتلة وعلى الكذابين وشهود الزور بحرق لحاهم ٠

ولا شك أن جوارماني كان أفضل من وصف الخيل العربية في هذه المنطقة ، اذ أنه كان خبيرا بالخيول وكان يعرف عنها الشيء الكثير ٠

وكانت الخريطة التي رسمها لرحلته من أهم الخرائط التي استفاد منها من تبعه من الرحالة ٠

واذا ضربنا صفحا عن رحلته بالجريف وما أحاط بها من شكوك فاننا ننتقل الى رحلة الليدي بلندت وزوجها ويلفريد اللذين اخترقا صحراء النفود ووصلا الى حائل وأعطيا وصفا كاملا للمناطق التي مرا بها وتميزت كتابتهم بأنها أكثر إنسانية وأبعد في وصف بعض المواقف التي لم يكن لتتاح لغيرهم لانه لاول مرة تخترق سيدة أوروبية مناطق البدو وكانت فرصتها فريدة أن تدخل الى الحريم وتتعرف على أحوال النساء في مختلف المناطق التي زارتها وتعطي بذلك وصفا فريدا ما كان ليتمكن القارىء الاوروبي من الاطلاع عليه لولا رحلتها ٠

تلك هي بعض اللمحات عن رحلات الرحالة الاوروبيين خلال فترة من الزمان ٠٠ كان الجهل يخيم فيها على كثير من بقاع شبه الجزيرة ، ولم تكن الحضارة الحديثة بكل امكاناتها قد تقدمت ليحدث الاتصال بين معطيات تلك الحضارة وبين القبائل الضارية في الصحراء ولذلك فان عالم هذه القبائل كان يختلف كلية عن العالم الذي يعرفه الاوروبي ، وكانت الرحلة لا شك بالنسبة لاي أوروبي مخيفة وكان على الرحالة الذي يخترق تلك الجهات أن يكون على دراية واسعة بأحوال أهلها وعاداتهم وأن تكون له القدرة الكافية للتعبير عن نفسه باللغة العربية وباللهجة البدوية حتى لا ينكشف أمره ٠

ولذلك رأينا أن معظم هؤلاء الرحالة قد ارتدى رداء الاسلام ظاهرا ، وان كان في باطنه لا يزال يضمر الولاء لدينه ٠٠ وتلك الخطة هي التي سيتبعها الاوروبيون دائما تحقيقا لمصالحهم ٠

محمد حسين زيدان

رئيس تحرير مجلة الدارة

وعضو مجلس الادارة

خولة بنت الأزور

أهي حقيقة ٠٠ أم أسطورة من نسج الخيال

عبد العزيز الرفاعي

تمهيد

لو تابعت عاطفتي لما كتبت هذا المقال ٠٠ فاني في أعماقي ، أحب أن أحتفظ ببطولة خولة بنت الازور ، وأن يظل تاريخنا العربي الاسلامي ، عامرا بهذا الاسم البراق ٠٠ وأن تظل خولة من مفاخرنا العامة ، ومن مفاخر بني جنسها خاصة ٠٠

ولكن تجاه هذه المشاعر التي تحرضني على الاحتفاظ ببطولة هذه البطلة ، مشاعر أخرى ، تنبع من واجبي الادبي ٠٠ واحساسي بأنه يجب أن يكون تاريخنا مستندا على الحقائق الناصعة ٠٠ لا على الاساطير وأن تكون مفاخرنا ثابتة واضحة كالشمس ٠٠ لا يحيط بها غموض ٠٠ ولا يرقى اليها شك ٠٠!

على أن تاريخنا مليء بالبطولات ٠٠ كما هو مليء بأسماء البطلات ٠٠ وقد عنيت من قبل بابراز بطولة ـ أم عمارة ـ ووضعت عنها كتيبا ، استقصيت فيه تاريخها ما وسعني الى ذلك سبيل ٠٠

ولا أنكر أن لبطولة خولة بنت الازور ٠٠ بريقا خاصا ٠٠ فهي بطلة شاعرة ٠٠ أو هكذا استفاضت شهرتها ٠٠ قاتلت الروم في صفوف المسلمين، وأنشدت من الشعر قصائد عليها طابع الحنو ٠ هذا صحيح ٠٠

ولكن مهما يكن الامر فان مفاخرنا كما قلت ـ يجب أن تستند على الحقائق وحدها ٠٠

وهذا المقال ، مجرد محاولة لفهم الموقف التاريخي السليم تجاه ـ خولة بنت الازور ـ ، يضع شخصيتها الى جانب القصة الاسطورية ، أكثر مما يضعها الى جانب القصة الواقعية ٠٠ ثم لا يحول بعد ذلك دون أن يغوص أي باحث في أعماق التاريخ ليثبت العكس ٠٠

ولا أزعم أنني أول من تنبه الى حقيقة الشك في شخصية خولة ٠٠ فان هناك من كان مثلي على شك كبير من أمرها ٠٠ وان لم يعلن ذلك الى الناس ٠٠ وسيأتي الحديث عن ذلك في موضعه ٠٠

مكانتها :

ولخولة بنت الازور ، مكانة خاصة رفيعة في التاريخ الحديث ، فقد احتفى بها الحفاوة كلها ، وأشاد ببطولتها ٠٠ ومجدها كل التمجيد ٠٠ نجد ذلك في الصحف والكتب ٠٠ والمقررات المدرسية ٠٠ وخاصة في الكتب التي تتحدث عن بطولة المرأة ٠٠ ونجد كبار المؤرخين والكتاب قد اتخذوا من شخصيتها العجيبة نموذجا رائعا يضربونه مثلا رفيعا للبطولة ، والخلق السامي ٠٠ يفعلون ذلك دونما تمحيص لاصل القصة ٠٠ يأخذ بعضهم من بعض ٠٠ مأخوذين

● خولة بنت الازور ●

ببريق هذه الشخصية اللامعة ٠٠

على أنني ألتمس العذر للمتأخرين منهم ، فانما هم يتابعون في ذلك من سبقهم ٠٠

أما كتاب القصص والملاحم فلا تثريب عليهم ٠٠ فهم ينسجون قصصهم وملاحمهم من الواقع ومن الاسطورة على حد سواء ٠٠ بل ربما كانوا بالاسطورة أشد تعلقا وأكثر حفاوة ٠

ولكن الموقف يختلف تجاه الباحثين والمحققين ٠٠ وواضعي المعاجم ، ودوائر المعارف ٠٠ ذلك لاننا نطمع أن تكون مثل هذه المراجع ، أكثر دقة ، وتمحيصا ٠٠ وتحقيقا ٠٠

ولست بسبيل أن أعدد الكتب والمجلات والصحف التي أشادت بذكر خولة بنت الازور ، ولهجت ببطولتها ٠٠ فذلك أكثر من أن يتسع له مجال محدود ، أو ينفسح له جهد ضئيل كجهدي ٠٠ ولكن الامر مستفيض ٠٠ جدا ٠٠ فقد قرأت ذلك في الكتب المدرسية ، وأنا طالب ٠٠ وظللت أقرأ عن هذه البطولة الكثير ٠٠ وكان من أجود ما قرأت عنها ، ما كتبه محمد علي باكثير رحمه الله في ــ ملحمة عمر ــ ٠

وقد اجتذبني هذا البريق الشديد ٠٠ حينما غنيت بشخصية ضرار بن الازور ، الصحابي الشاعر الفارس ٠٠ وقدمت عنه محاضرة ألقيت في ــ عنيزة ــ بالقصيم ٠٠ فقد كتبت عنها بحثا لم ألقه ولم أنشره ٠٠ اذ داخلني من أمرها شك كبير ضمنته بحثي ذاك ٠٠ ثم طفقت أمحص الامر حتى ازداد في نفسي واتسع نطاقه ٠٠ وكان من نتاج ذلك كله هذا المقال ٠٠

في المراجع الحديثة :

ومما يتصل بذكر خولة بنت الازور ٠٠٠ ما ذكرته المراجع الحديثة وأمثل تلك المراجع عندي، كتاب ــ الاعلام ــ للاستاذ الجليل ــ خير الدين الزركلي ــ ، رحمه الله ٠٠

فقد ترجم لها وذكر أنها ــ خولة بنت الازور الاسدي ــ، وأنها شاعرة كانت من أشجع النساء في عصرها ٠٠ وتشبه بخالد بن الوليد في حملاتها ، وهي أخت ضرار بن الازور ٠٠ ٠لها أخبار كثيرة في فتوح الشام ، وقال ان في شعرها جزالة وفخرا ٠٠ وانها توفيت في أواخر عهد عثمـــان ــ ٣٥ هـ / ٦٥٥ م ــ وذكر مصدره الوحيد وهو كتاب ــ الدر المنثور ــ ٠ للسيدة زينب بنت فواز العاملية ٠

هذا ما جاء عنها في الطبعة الثالثة من الكتاب ، وهي الاخيرة ٠٠ وفي هذه الطبعة أشار الاستاذ الجليل في المستدرك الثاني أن نسبة الازور الكندي أصلحت فجعلت الاسدي ٠٠ أي أنه كان في الطبعة السابقة قد نسبها الى كندة ٠٠

ولهذه النسبة سياق في البحث سيرد الكلام عنه ان شاء الله ٠٠

وجاء عنها نبذة في ــ الموسوعة الميسرة ــ هذا نصها :

ــ خولة بنت الازور (ت ٦٥٥) شاعرة كندية من أشجع نساء عصرها ، تشبهت بخالد بن الوليد ، أخت ضرار بن الازور ، لها أخبار كثيرة في فتوح الشام ، توفيت في آخر عهد عثمان وفي شعرها جزالة وفخامة وأكثره في الفخر ٠٠ صورة من المرأة ــ الفارسة ــ ، تحيط بها أساطير كأساطير «الامازون» النساء المقاتلات ــ ٠

ومن هذا النص يتبين أن كاتبه ٠٠ اعتمد اعتمادا كليا على الاستاذ الزركلي ٠٠ ونقل من الطبعة الثانية من كتابه فجعل خولة من كندة وليست أسدية من أسد ٠٠ ولم يتنبه الى الحقيقة التي عاد الاستاذ الزركلي فتنبه لها وهي أن ضرار بن الازور كان من أسد وليس من كندة ٠٠ ونجد أن كاتب المادة ، لم يتصرف في عبـــارات الاستاذ الزركلي الا تصرفا لا يكاد يذكر ٠٠ ولكنه أضاف أنه تحيط بها أساطير كأساطير الامازون ٠ ولو أنه عني بتتبع هذه الاساطير التي ألمح اليها لفتح طريقا لا حبا للباحثين ٠٠ ولاعاد النظر فيما نقله من كتاب ــ الاعلام ــ ٠

أما صاحب ـ دائرة معارف القرن العشرين ـ ، ـ فريد وجدي ـ فلم يذكر من الخولات على كثرتهن وشهرتهن الا خولة واحدة ٠٠ هي خولة بنت حكيم السلمية صحابية مشهورة روت عن النبي صلى الله عليه وسلم ٠٠ مع أن صاحب ـ القاموس المحيط ـ أورد ذكر عشر خولات ، واستدرك عليه ـ الزبيدي ـ صاحب ـ تاج العروس ـ ، عددا آخر منهن ٠٠

ومن المراجع الحديثة كتاب ـ أعلام النساء ـ للاستاذ ـ عمر كحالة ـ ٠٠ وقد وقفت منه على الطبعة الثانية ٠٠ وقد ذكر ـ خولة بنت الازور ـ وجعل الازور كنديا ، وانها خرجت مع أخيها ضرار ٠٠ ثم ذكر بعض وقائعها ، وبعض أشعارها ، على النحو الذي فعلته السيدة ـ زينب العاملية ـ مع تقديم وتأخير وتنويع بعض العبارات ، واكتفي بايراد نصين شعريين لها ، الابيات النونية التي مطلعها :

ألا مخبر بعد الفراق يخبرنا
فمن ذا الذي يا قوم أشغلكم عنا ؟

والنونية الثانية التي مطلعها :

أبعد أخي تلذ الغمض عيني
فكيف ينام مقروح الجفون ؟

واختتم نقوله بقوله وتوفيت في أواخر خلافة عثمان ٠

أما مراجعه فكانت على التوالي : فتوح الشام للواقدي ، الدر المنثور ، ديوان الخنساء ٠٠

أي أننا نجد ، عدا الدر المنثور ، مرجعين مضافين هما فتوح الشام للواقدي ، وديوان الخنساء ٠

ولا أحب أن أذهب الى أكثر من هذا في استقصاء المراجع الهامة ، فاستقصاؤها يستدعي اطالة ، قد تخرج المقال عن نطاقه ٠٠ وان كانت مراجعنا الحديثة الهامة من القلة بمكان ٠٠

والمراجع القديمة :

اذا كان التاريخ الحديث قد احتفى بخولة بنت الازور ٠٠ وأثبتها في أهم مراجعه ٠ فما هو موقف التاريخ القديم والمراجع القديمة ؟

لنحدد عصرها أولا لنبحث فيه :

ان الاستاذ الجليل ـ خير الدين الزركلي ـ ذهب الى أن وفاتها كانت سنة ٣٥ هـ ، وتجلت بطولتها في حروب فتح الشام ٠٠ وأنها كانت تشبه بخالد بن الوليد ٠٠ وأنها أخت ضرار بن الازور ٠٠

وضرار بن الازور صحابي ، من بني أسد ، وفد ضمن وفدهم على الرسول صلى الله عليه وسلم، واشترك في حروب الردة ٠٠ الى جوار خالد بن الوليد ٠٠ وانتقل معه الى العراق ، ثم الى الشام ٠٠ واشترك في وقعة اليرموك وكان له فيها موقف بطولي ٠٠ والشعر الذي قالته خولة ٠٠ وهو الذي يشير اليه الاستاذ الزركلي ٠٠ ومن بعده ـ الموسوعة الميسرة ـ انما قالته في أخيها ضرار ٠٠ في الشوق اليه بعد أن أسر في أيدي الروم ٠٠ وفي الحزن لاسره ٠٠

ومعنى هذا أن خولة كانت مع أخيها ضرار في جهاده في أرض الشام ٠ فهل كانت هي الاخرى صحابية ؟

ان خولة بنت الازور ، لم تكن ضمن من أحصى صاحب القاموس من الصحابيات ٠٠ ولا ضمن من استدرك صاحب ـ تاج العروس ـ ٠٠ عليه ٠٠

وقد لا تكون خولة صحابية ٠٠ فلعلها ولدت في زمن متأخر عن عصر الصحبة ٠٠ ولكن صاحب ـ الاصابة ـ لم يعتبرها اطلاقا ضمن من أحصى من النسوة ٠٠ حتى أولئك اللاتي لم ينلن شرف لقب صحابية ٠٠

كذلك ـ طبقات ـ ابن سعد ، فقد ذكر خمس عشرة خولة ، ليس من بينهن خولة بنت الازور ٠٠

ولندع كتب الطبقات جانبا ٠٠ ولنبحث في كتب

التاريخ والسير ..

هذه – سيرة ابن هشام – ليس فيها ذكر لخولة بنت الازور .. وهذا – تاريخ الطبري – .. عمدة التواريخ ، لقد ذكر من الخولات خمسا ، وليس من بينهن خولة بنت الازور .. بالرغم من كل ما ذكر عن فتوح الشام .

والسؤال الضخم .. هو كيف تهملها هذه المصادر الامهات .. على ما استفاض من شهرتها .. ومن شعرها .. ومن بطولتها .. ومن صلتها بصحابي بطل هو ضرار ابن الازور ..؟

ليس من المعقول أن تهملها كل هذه المصادر ، لو كان لها وجود حقيقي .. أو على الاقل لو كان لها أي دور تاريخي ملحوظ ..!

واذا افترضنا أن كتب التاريخ .. قد أهملت الاشادة ببطولتها ومكانتها .. فان كتب الادب والشعر ، لا تهملها أليست شاعرة .. وفي شعرها جزالة وفخر ، كما قال الاستاذ الزركلي .. أو كما بالغ كاتب مادتها في الموسوعة الميسرة حينما قال : – في شعرها جزالة وفخامة .. – ؟

لا يوجد كتاب واحد من كتب الادب القديمة المعتبرة ذكر اسم خولة بنت الازور .. وهذا كتاب – الاغاني – أوسعها ، ذكر ست خولات ، ليس من بينهن خولة بنت الازور ..

والكتب التي اهتمت قديما بأخبار النساء بصفة خاصة مثل كتاب – بلاغات النساء – لابن طيفور المتوفي سنة ٢٨٠ هـ ، لم يرد به ذكر خولة بنت الازور ..

ويلاحظ أنني أحصر الكلام هنا على المراجع القديمة فحسب .. أما الجديدة ، فالكلام فيها عن خولة بنت الازور مستفيض جدا ، كما أوضحت من قبل .. وفي الكتب المخصصة بأدب النساء ذكرها – بشير يموت – في – شاعرات العرب – ، ومن بعده فعل مثل ذلك – بديع صقر – في كتاب له عن – شاعرات العرب – أيضا .. والكتابان متشابهان ..

المرجع الوحيد :

اذن فمن أين أتى الاستاذ خير الدين بهذه البطلة الشاعرة ...؟

ان الاستاذ الزركلي دقيق في ذكر مصادره ، وهذه السيرة من أكبر ميزات كتابه العظيم – **الاعلام** – ..

لقد صرح بذكر مصدره وهو كتاب – الدر المنثور في ذكر طبقات ربات الخدود – ومؤلفة هذا الكتاب هي السيدة – **زينب فواز يوسف العاملي** – ..

فلننظر من هي هذه المؤلفة ..؟ وماذا في كتابها ؟..

يقول صاحب الاعلام في ترجمتها أنها ولدت سنة ١٢٧٦ هـ – ١٨٦٠ م وتوفيت سنة ١٣٣٢ هـ – ١٩١٤ م . وأنها أديبة ، مؤرخة من شهيرات الكاتبات ، ويقول عن كتابها – الدر المنثور – ، « انه من أفضل ما ألف في بابه – .

ونعرف من هذا أنها متأخرة جدا .. وأنها أديبة معاصرة .

أما كتابها فقد طبع لاول مرة في مطبعة بولاق سنة ١٣١٢ هـ ثم جرى تصويره حديثا من قبل دار المعرفة في لبنان ..

وأكاد أجزم أن كل ما جاء في كتابات المعاصرين عن خولة بنت الازور ، انما استند على هذا الكتاب ، أما نقلا مباشرا منه .. واما أخذا عن المصدر الذي نقلت عنه ..

وبعد .. فماذا قالت زينب العاملية عن خولة ؟

بدأت حديثها عنها بما نصه :

(خولة بنت الازور الكندية) :

وهي أخت ضرار بن الازور ، وكانت مشهورة بالشجاعة والجمال ، خرجت مع أخيها الى الشام حين فتحها ، في خلافة أبي بكر الصديق ، وكانت تفوق الرجال بالفروسية والبسالة ، ولها وقائع مشهورة لا يسعها المقام، إذا أحببنا ايرادها ، ولكنا نقتصر على البعض منها ..

قال الواقدي في ـ فتوح الشام ـ ..

ثم أوردت وقائع بعينها، وأربع قطع شعرية لخولة..

وقبل أن أناقش الوقائع والاشعار.. أحب أن أتريث قليلا عند هذه الفذلكة الصغيرة التي قدمتها السيدة زينب فواز رحمها الله ، بين يدي نقولها عن الواقدي ، وكتاب فتوح الشام ..

١ ـ قالت السيدة في العنوان ، ان خولة بنتالازور كندية ، ثم قالت تحته مباشرة ، وبلا فاصل ، أنها أخت ضرار بن الازور ولو أنها رجعت الى ترجمة ضرار ، وهي ميسورة لعرفت أن ضرار بن الازور ، الصحابي الذي لازم خالد بن الوليد في حروبه انما هو أسدي من بني أسد .. وبنو أسد من مضر أي أنهم عدنانية .. أما كندة فهم من قحطان .. وشتان ! وهنا أحب أن أذكر القارىء بما قاله الزركلي عن كنديتها ثم أسديتها ..

٢ ـ ثم قالت أنها خرجت مع أخيها الى الشام .. فاذا صح هذا فانها مولودة قبل الهجرة .. ولو بقليل ، ومعناه، ان كتب السيرة والطبقات لن تهمل ذكر مثلها ..

٣ ـ ان كل ما أضفته السيدة المؤلفة على خولة ، انما هو مستمد من كتاب ـ فتوح الشام ـ ، فهو الذي ذكر شجاعتها وجمالها ، وهو الذي جعلها أختا لضرار ، وجعلها شاعرة ، وأورد عنها قصص البطولة .. وهذا يدل على أن السيدة زينب اعتمدت اعتمادا كليا على هذا الكتاب، ولم ترجع الى غيره مطلقا .. فهو مرجعها الوحيد .. كما كادت أن تكون هي المرجع الوحيد لمن كتب عن خولة من المعاصرين .. أو هي في أضعف الاحتمالات ، من دلت على كتاب ـ فتوح الشام ـ .

المرجع القديم :

وكتاب ـ فتوح الشام ـ يعزى ، كما رأينا ، الى الواقدي ، والواقدي مؤرخ قديم ..

ولسائل أن يسأل .. كيف تقول قبل قليل .. أنه لا يوجد مرجع قديم تحدث عن خولة بنت الازور ؟

وأقول : انني لا زلت عند رأيي .. وان كتاب فتوح الشام الذي بين أيدي الناس ، ليس قديما .. وليس مرجعا ، ولم يؤلفه الواقدي !

وقبل أن أستطرد طويلا عن كتاب ـ فتوح الشام ـ فلنلق نظرة على ما نقلته منه ـ زينب فواز ـ ..

ماذا في الدر المنثور ؟

بعد الفذلكة القصيرة التي أوردتها من قبل من كلام السيدة ـ زينب العاملية ـ نقلت عن كتاب ـ فتوح الشام ـ ما يلي :

ـ قال الواقدي في فتوح الشام .. انه لما أسر ضرار بن الازور في وقعة ـ اجنادين ـ توجه خالد بن الوليد بطليعة من الجيش لخلاصه ، فبينما هو في الطريق اذ مر به فارس ، على فرس ، طويل وبيده رمح ، وهو لا يبين منه الا الحدق ، وقد سبق أمامه الناس ، كأنه نار ، فلما نظره خالد قال : ليت شعري من هذا الفارس ؟ وايم الله أنه لفارس ! ثم اتبعه خالد والناس ، وسار الى أن أدرك المشركين ، وقد حمل على عساكر الروم كأنه النار المحرقة ، فزعزع كتائبهم ، وحطم مواكبهم ، فما كانت الا جولة جائل ، حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء ، وقد قتل رجالا ، وجندل أبطالا ، وقد عرض نفسه للهلاك ثانية ، واخترق القوم غير مكترث ، وكثر قلق الناس عليه ، لا يعلمون من هو ؟ ومنهم رافع بن عميرة ، ومن معه ، ظنوا أنه خالد وقالوا : ما هذه الحملات الا لخالد، وبينما هم على ذلك ، اذ أشرف خالد بمن معه ، فقال له رافع : من الفارس الذي تقدم أمامك ؟ فلقد بذل نفسه ومهجته ، فقال خالد : والله انني أشد أفكارا منك ، أعجبني ما ظهر منه ، ومن شمائله ، فقال رافع : أيهاالامير انه منغمس في عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا . فقال خالد : معاشر المسلمين احملوا بأجمعكم ، وساعدوا المحامي

عن دين الله ، فأطلقوا الاعنة ، وقوموا الاسنة ، وخالد أمامهم ، اذ نظر الى الفارس ، وقد خرج من القلب كأنه شعلة نار ، والخيل في أثره ، وكلما لحقت به الروم الوى عليهم وجندل ، فعند ذلك حمل خالد ومن معه ، ووصل الفارس المذكور الى جيش المسلمين فتأملوه ، ورأوه وقد تخضب بالدماء ، فصاح خالد والمسلمون : لله درك من فارس بذل مهجته في سبيل الله وأظهر شجاعته على الاعداء ·· اكشف لنا عن اسمك وارفع لثامك ، ولم يخاطبهم ، وانغمس في الروم ، فتصايحت الروم من كل جانب ، وكذلك المسلمون وقالوا أيها الرجل الكريم أميرنا يخاطبك، وأنت تعرض عنه ! اظهر لنا اسمك لنزداد تعظيما ، فلم يرد عليهم جوابا ·· فلما بعد عن خالد سار اليه بنفسه ·· وقال : ويحك ·· لقد شغلت قلوب الناس وقلبي ·· بفعلك من أنت ؟ فلما ألح عليه خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه قال : انني أيها الامير لم أعرض عنك الا حياء منك لانك أمير جليل ، وأنا من ذوات الخدور ، وبنات الستور ، وانما حملني على ذلك أني محرقة الكبد زائدة الكمد · فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا خولة بنت الازور وأخت ضرار المأسور بيد المشركين ، واني كنت مع بنات العرب ، وقد أتاني الساعي بأن أخي أسير فركبت ، وفعلت ما رأيت ، وعند ذلك حمل المسلمون وحملت خولة ·· وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الازور ، وقالوا : ان كان القوم كلهم ، مثل هذا الفارس فما لنا بهم من طاقة ، وأما خولة فجعلت تجول يمينا وشمالا وهي لا تطلب الا أخاها ، وهي لا ترى له أثرا ، ولا وقفت له على خبر ، وجعلت تسأل عنه فلم يجبها أحد ، ولم تر من المسلمين من يخبرها أنه نظره ، أو رآه أسيرا أو قتيلا فلما أيست منه ، بكت بكاء شديدا وجعلت تقول : يابن أمي ·· ليت شعري في أي البيداء طرحوك ، وبأي سنان طعنوك، أو بأي حسام قتلوك ·· يا أخي أختك لك الفداء ، لو أني أراك أنقذتك من أيدي الاعداء ·· ليت شعري أترى أني أراك بعدها أبدا ، فقد تركت يابن أمي في قلب أختك جمرة ، لا يخمد لهيبها ، ولا يطفأ سعيرها ·· ليت شعري ألحقت بأبيك المقتول بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ·· فعليك مني السلام الى يوم اللقاء ·· فبكى الناس من قولها ·· عند سماعها ونياحها ·· ـ ··

ثم أخذت السيدة زينب العاملية ، تنقل قصة أخرى فقالت :

ومن وقائعها أيضا ما ظهر من بسالتها يوم أسر النسوة في وقعة صحورا من أعمال الشام ، وقد جمعت النسوة وقامت فيهن خطيبة، وكانت هي من ضمن المأسورات فقالت : يا بنات حمير ، وبقية تبع ، أترضين لانفسكن علوج الروم ويكون أولادكن عبيدا لاهل الشرك أين شجاعتكن ؟

الى آخر الخطبة التي سردتها ، ثم حمل النساء أعمدة الخيام وضربن بها الروم ··

وهجمت خولة وهجم النساء وراءها ، وقاتلن قتالا شديدا حتى استخلصت النسوة من أيدي الروم وخرجت وهي تقول :

نحن بنات تبع وحمير
وضربنا في القوم ليس ينكر
لاننا في الحرب نار تسعر
اليوم تسقون العذاب الاكبر

ثم تنقل أيضا ، قولها حين أسر ضرار في المرة الثانية في مرج دابق :

ألا مخبر بعد الفراق يخبرنا
فمن ذا الذي يا قوم أشغلكم عنا
فلو كنت أدري أنه آخر اللقاء
لكنا وقفنا للوداع وودعنا
ألا يا غراب البين هل أنت مخبري
فهل بقدوم الغائبين تبشرنا

لقد كانت الايام تزهو لقربهم

وكنا بهم نزهو ، وكانوا كما كنا

ألاقاتل الله النوى مـــا أمره

وأقبحه ! ماذا يريد النوى منا ؟

ذكرت ليالي الجمع كنـــا سوية

ففرقنا ريب الزمـــان وشتتنـــا

لئن رجعـوا يوما الى دار عزهم

لقمنا خفافا للمطايـــا وقبلنـــا

ولم أنس اذ قالوا : ضرار مقيد

تركناه في دار العدو ويممنـــا

فمـــا هـــذه الايـــام الا معارة

وما نحن الا مثل لفظ بلا معنى

أرى القلب لايختار في الناس غيرهم

اذا ما ذكرهم ذاكر قلبي المضني

سلام على الاحباب في كل ساعـة

وان بعدوا عنا، وان قربوا منا٠٠

« ثم بكت وقالت : انا لله وانا اليه راجعون ، فوالله لاخذنا بثأره ان شاء الله تعالى ٠٠ ولما زحفـت عساكر الاسلام الى أنطاكية لاجل خلاص ضرار ، سار معهم النساء اللاتي – لهن أسرى ، وفي مقدمتهن خولـــة بنت الازور ، وهي تنشد قولها في المراثي المبكيات :

أبعد أخي تلـــذ الغمض عيني

فكيف ينام مقروح الجفـون ؟

ســأبكي ما حييت على شقيق

أعز علي مـــن عيني اليمـين

فلو أني لحقت بــــه قتيـــلا

لهـــان علي اذ هو غير هــون

وكنت الى السلو أرى طريقـــا

وأعلق منـــه بالحبـل المتـين

وأنا معشر ، مـن مات منـــا

فليس يموت مـوت المستكين

واني ٠٠ ان يقال مضى ضرار

لباكية بمنســـجم هتـون ٠٠

وقالوا : لم بكاك فقلت مهـلا

أماأبكي وقد قطعوا وتيني٠٠؟

ثم تنقل صاحبة – الدر المنثور – قصتها أو أسر ضرار في المرة الثالثة في وقعة دير المسيح من أرض البهنسا ٠٠ فقد جاءت أيضا لتخلصه ، وكمنت مع مقاتلي المسلمين فمر القوم ومعهم ضرار مكتوفا ، وهو ينشد شعرا ، أوردته المؤلفة تضمن الاشادة بخولة ،٠– فما كان منها الا أن كبرت وحملت ، وحمل معها الرجال حتى خلصوا ضرارا من الاسر ٠٠

تقول المؤلفة في ختام ما نقلته :

« وقائعها كثيرة ، وقد أبلت بلاء حسنا في فتوح الشام ومصر ، وعمرت طويلا ، وكانت وفاتها في أواخر خلافة عثمان بن عفان ، فعلى مثل هذه يأسف الدهر رحمها الله رحمة واسعة » ٠

ان كل ما أوردته السيدة «زينب العاملية» ، ما عدا الفذلكة والكلمة الختامية ، منقول بالنص من كتـــاب – فتوح الشام – ٠٠ وان كانت تختصر كلمة من هنا أو من هناك ٠٠ ولكنها تحرص غالبا على النص ، ولمن شاء الرجوع الى الكتاب المذكور ، واني أدله على الصفحات بحسب النسخة التي بين يدي ، وأنا أكتب هذه السطور ، وهي نسخة – دار الجيل – وليس بها تاريخ طبعها :

١ – خولة الفارسة التي تشبه خالدا ص ٤٥ و ٤٦ / ج١

٢ – في وقعة صحورا ص ٤٢ وما بعدها ج١

٣ – قصتها في مرج دابق وشعرها ص ٢٨٥ ج١

٤ – شعرها في أنطاكية ص ٢٩٧ ج ١

٥ – قصتها وأخوها في دير المسيح ص ٢٣١ ومابعدها ج٢

على أن كتاب – الدر المنثور – لم يستقص جميع أخبار خولة بنت الازور التي وردت في كتاب – فتـــوح

الشام ـ بل اقتصر على بعض قصصها وأشعارها ..

واذا تأملناهذهالنصوص التي وردت في كتاب ـ الدر المنثور ـ وما جاء فيه منَ فذلكة وختام .. نلاحظ ما يلي:

١ ـ نلاحظ في أسلوب النصوص . أساليب القصاص .. أعني كتب القصص والحكايات التي وضعتللشعب لاغراض شتى .. وشاعت لدى الجماهير العربية منذ بدء القرن الهجري الاول ، حيث كانت تروى هذه القصص أو تحكى في المساجد ، ثم جرى تدوينها فيما بعد ، وشاع تداولها .. وحصل التزيد فيها، وتطور أسلوبها ..

وفي أسلوب ـ فتوح الشام ـ نلاحظ تكرارا لبعض التشابيه مثل قوله ـ كانت شعلة نار .. كالنار ـ .. أو استعمال السجع كقوله : فزعزع كتائبهم وحطم مواكبهم .. وقتل رجالا وجندل أبطالا .. فأطلقوا الاعنة .. وقوموا الاسنة .. وأنا من ذوات الخدور ، وبنات الستور .. اني محرقة الكبد ، زائدة الكمد .. الخ ..

٢ ـ ان خولة بنت الازور ، شبهت في حملاتها بخالد بن الوليد :

ـ ما هذه الحملات الا لخالد ـ .

٣ ـ ان خولة بنت الازور ، تقول في التحسر على أخيها ضرار :

ـ ليت شعري ألحقت بأبيك المقتول بين يدي الرسول .. ـ وليس لهذا الخبر أصل تاريخي ..

٤ ـ نرى أنها حينما كانت ضمن المأسورات في وقعة ـ صحورا ـ وخطبت في النسوة ، وأرادت أن تستثير حماستهن .. خاطبتهن على اعتبارهن ـ بنات حمير وبقية تبع .. ـ ولا غرو فهي في كتاب فتوح الشام كندية ، وكندة قبيلة يمنية يصح أن يقال في بناتها أنهن بنات حمير ، وبقية تبع ..

وهنا يأتي الوهم الاكبر .. فان ضرار بن الازور، الصحابي .. وصاحب خالد بن الوليد ، انما هو من بني أسد ، وبنو أسد قبيلة مضرية عدنانية ، فاذا كانت خولة هي بنت الازور حقا فكيف يصح أن تكون كندية ، وأن تكون عصبيتها في حمير وتبع ؟!

وقد تكرر افتخارها بحمير وتبع ، فجاء في شعرها بعد ذلك قولها :

نحن بنات تبع وحمير

وضربنا في القوم ليس ينكر ..

٥ ـ ان الابيات التي مطلعها : ألا مخبر بعد الفراق يخبرنا .. تبدو على علاتها أرق من أن تكون من شعر صدر الاسلام .. واذا قلنا أن صدورها من امرأة جعلها تتسم بهذه الرقة .. وهو قول لا أماري فيه .. فأين نضع ماوصف به شعرها من جزالةوفخامة؟ على أن الحكم الصحيح على شعر خولة انما يكون نتيجة النظر في شعرها ككل ، بعد أن يثبت وجود حقيقي لهذه الشخصية العجيبة ..

٦ ـ وجاء فيما ذكرته ـ العاملية ـ عنها قولها :

ـ وقائعها كثيرة ، وقد أبلت بلاء حسنا في فتوح الشام ومصر وعمرت طويلا وكانت وفاتها في أواخر خلافة عثمان بن عفان ـ ..

ونقف في هذه العبارة عدة وقفات .. فهي تذكر أنها أبلت في مصر أيضا ، كما أبلت في الشام .. ويدل السياق على أنها كانت في مصر مع أخيها ضرار .. الذي أسر في البهنسا .. بينما يدل التاريخ الحقيقي لضرار أنه لم يتجاوز الشام فقد توفي سنة ١٣ في وقعة أجنادين يوم السبت لثلاث من جمادى الاولى ، كما جاء في ـ البداية والنهاية ـ أي أنه لم يذهب الى مصر ، ولم يشترك في فتوحاتها .

ثم تقول أنها عمرت طويلا .. وكانت وفاتها في آخر خلافة عثمان .

فاذا كانت خولة قد عمرت ، فمعنى هذا أنها عاشت عمرا قبل الهجرة .. فهي اما أن تكون صحابية ، أو أنها ولدت في عهد النبي ولم تكن لها صحبة .. وفي الحالتين فان كتب تراجم الصحابة تترجم لمثلها .. ولكن هذه الكتب ، لم تذكر اسم خولة بنت الازور اطلاقا .. ولمن شاء أن يرجع مثلا الى ـ الاصابة ـ لابن حجر .

على أنه ، ما دامت السيدة ـ زينب العاملية ـ قد اعتمدت على كتاب ـ فتوح الشام ـ وحده ؛ فعلينا أن نفحص هذا الكتاب .. بيد أنني أؤثر أن أجعل الكلام عنه خاتمة المطاف .. ولذلك أحب أن ألقي نظرة عجلى على المصدر الجديد الذي أضافه الاستاذ عمر رضا كحالة في كتاب ـ أعلام النساء ـ وهو ـ ديوان الخنساء ـ ..

ديوان الخنساء :

سألت نفسي كثيرا ، بعد اطلاعي على كتاب ـ أعلام النساء ـ ، عن علاقة ديوان الخنساء ، بخولة بنت الازور ثم ترجح لدي أن المقصود هو ـ شرح ديوان الخنساء ـ وهو كتاب يضم بالاضافة الى ديوان الخنساء مرائي ستين شاعرة من شواعر العرب ، هكذا جاء في عنوانه .. وليس هناك ذكر لمؤلفه أو جامعه ، أو عدد طبعاته ، اللهم الا تاريخ الطبعة التي بين يدي ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م صادرة عن دار التراث .. وقد جاء ضمن أولئك الشواعر ، خولة ص ١٤٧ ، وجاء في تقديمها ـ هي أخت ضرار بن الازور الكندي ، خرجت مع أخيها الى الشام ، لما فتحها المسلمون في أيام أبي بكر ، فأسر أخوها في بعض الوقعات قرب انطاكية فلما بلغ أخته خبر أسره قالت ترثيه برثاء كثير منه ما رواه الواقدي ثم أورد قصيدة .. ألا مخبر بعد الفراق يخبرنا ..

وهكذا نرى أن صاحب هذا الكتاب يعود بنا الى الواقدي ويقصد طبعا ـ فتوح الشام ـ على أنه أورد لها قصيدة أخرى مطلعها :

حل المصاب فعم الويل والحرب
وكل دمع من الاجفان ينسكب

وهي قصيدة لا نكران لفخامتها أو جزالتها .. لولا بعض اضطراب في أبياتها الاخيرة ..

والان .. حان الاوان لنتحدث بايجاز عن كتاب ـ فتوح الشام ـ ..

كتاب فتوح الشام :

سبقت الاشارة الى ما يدل على أن كتاب فتوح الشام لا يعد كتابا علميا أو تاريخيا بالمعنى الصحيح ، وان صفة كتب القصص الشعبية . هي الغالبة عليه ..

ولكن هذا الكتاب ينسب للواقدي .. وللواقدي في تاريخنا مكانة علمية تاريخية مرموقة ..

والواقدي هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الاسلمي بالولاء .. ، وقد اشتهر بالتاريخ ، مع حفظه للحديث ، قبل أهل العلم رواياته التاريخية ورفضوا تحديثه .. وتولى القضاء في بغداد ، وله مؤلفات كثيرة ، يذكر من بينها كتاب ـ فتوح الشام ـ وهو كتاب طبع طبعات متعددة ، تقبل عليه الاوساط الشعبية لما فيه من قصص وحكايات تتسم بالمغالاة ولمبالغة خاصة في المواقف البطولية ..

يقول الاستاذ خير الدين الزركلي في كتاب الاعلام ، في مادة محمد بن عمر الواقدي : ـ وينسب اليه كتاب (فتوح الشام) ، وأكثره مما لا تصح نسبته اليه .. ـ ويكفي الوصول الى هذا الحكم ، أن يطلع أي قارىء فاحص على هذا الكتاب . بل على بعض فصوله فقط ، ليتحقق من صحة ما قاله الزركلي .. ولكن العجب أن الزركلي ، اعتمد في ترجمة خولة بنت الازور على كتاب ـ الدر المنثور ـ وهذه لم يكن لها أي مصدر في ترجمتها الا كتاب ـ فتوح الشام ـ على أني ، لا أحب أن أخرج هذا المقال

عن نطاقه الخاص ، الى الحديث عن كتاب ــ فتوح الشام ــ

واظهار ما به من زيف ، ولكن فيما سبق أن أوردت عنه الكفاية ٠٠ فانه لا يتصور أن يجعل الواقدي خولة وأخاها

ضرارا من كندة ، بينما المعروف المشهور جدا هو أن ضرار بن الازور[١]، من بني أسد ، وقدم مع وفد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ ودوره في حروب الردة

مشهور ، شهره قتل مالك بن نويرة ٠٠ ولا يعقل أن الواقدي يجعل والد ضرار قد قتل بين يدي الرسول ٠٠ بينما لم يرد في السير ذكر لهذه الحادثة ٠٠ يضاف الى كل ذلك ٠٠ ان كتاب فتوح الشام جعل خولة صحابية فكان يضيف الى اسمها عبارة ــ رضي الله عنها ــ بينما لم يذكر أي كتاب من كتب تراجم الصحابة ، خولة بنت الازور . لا صحابية واضحة الصحبة ، ولا من بين المواليد اللاتي ولدن في عهده صلى الله عليه وسلم، ولا حتى ضمن المشتبه في صحبتهن ٠٠ لكل ذلك ، ولغير ذلك ، لا تصح نسبة كتاب ــ فتوح الشام ــ الى الواقدي ٠٠ وان كان المرجح لدي أن للواقدي فعلا كتابا عن فتوح الشام ، لم نره ٠٠ أو لم يصل الينا ، أو أن له من هذا الكتاب بعضه ، وأن الاكثر قد لفق عليه ، أو زاده مؤلفو المغازي والكتب والحكايات ٠٠

ولقد علمت أن بالمكتبة الظاهرية بدمشق مخطوطا بعنوان ــ فتوح الشام ــ وهو منسوب للواقدي ، ضئيل الحجم بالنسبة للكتاب المطبوع ، وقد يكون هو الكتاب الحقيقي الذي وضعه الواقدي واذا سقطت الثقة بكتاب ــ فتوح الشام ــ المطبوع ، فقد سقطت بالتالي روايته عن خولة بنت الازور ، وسقطت بالتبعية جميع الاقوال التي استندت الى كتاب ــ الدر المنثور ــ فيما يختص بخولة بنت الازور ٠

وهناك أسباب أخرى ، غير سقوط كتاب ــ فتوح الشام ــ يجعلني أذهب الى أن شخصية خولة بنت الازور ، شخصية غير حقيقية ، اخترعها واضعو القصص الشعبية ٠٠ وفيما يلي أذكر طرفا من هذه الاسباب ٠٠:

لماذا هي أسطورة ؟

١ ــ جميع كتب تراجم الصحابة المعتمدة ٠٠ لم يرد بها أي ذكر لخولة بنت الازور ، حتى ولا بين المواليد الذين ولدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

٢ ــ لم تترجم لها كتب الادب القديمة المعتمدة ، بوصفها شاعرة فلا يوجد لها ذكر في الاغاني، أو كتب الجاحظ أو الشعر والشعراء ٠ مثلا ٠

٣ ــ لم يذكرها ــ ابن طيفور ــ في كتابه ــ بلاغات النساء ــ وهو كتاب خاص بذكر البليغات من النساء ٠

٤ ــ في تراجم ــ ضرار بن الازور ــ رضي الله عنه[١]، لم يرد أي ذكر أو اشارة الى أن له أختا بهذا الاسم ، ولو كانت له أخت في شهرتها لاشارت ترجمته اليها٠

٥ ــ كذلك لم تشر تراجم أرطأة بن سهيمة الشاعر الاموي الى أن له عمة بهذا الاسم ، وأرطأة بن سهيمة هو ابن ضرار بن الازور ، نسب الى أمه أو الى زفر ابن عبد الله الذي تبناه ٠

كلمة ختام :

وبعد فان من الحق أن أذكر ، أن الحيرة التي لازمتني منذ اهتممت بأمر خولة بنت الازور ، والريبة في حقيقة وجودها ، كانت على ما يبدو تلازم باحثا آخر ، وربما كان أسبق مني في الشك ٠٠ باحث جليل ، أصبح يؤثر الصمت ، فلا يكتب ولا ينشر شيئا ٠٠ وهو الاستاذ الشاعر الكبير ــ أحمد عبيد ــ صاحب المكتبة العربية بدمشق ٠٠ مؤلف كتاب ــ ذكرى الشاعرين ــ واليه يعزى اخراج ونشر بعض نفائس المخطوطات ٠٠

تعرفت على هذا الاستاذ الفاضل شخصيا ، في صيف العام الاسبق ، فقد مررت بدمشق لليلة واحدة زرت في صباحها مكتبته ، فهش الي وعني بما أطلب من كتب ٠٠ وكنت مهتما بأمر خولة بنت الازور ، فسألته عما اذا كان هناك من ألف عنها كتابا مفردا ، فأجابني بالنفي ، ثم أخبرني أنه في حيرة من أمرها ، لانه لم يجد ترجمتها في أي كتاب قديم معتمد ٠٠ فتلاقى شكه بشكي ٠٠ وتحول شكي الى يقين ، الا أن يبدده باحث جديد ، وفوق كل ذي علم عليم ٠٠

الطائف

عبد العزيز الرفاعي

صلات قلب الجزيرة بالشام

عبدالله بن محمد بن خميس

الصلات التي تربط الامة العربية بعضها ببعض صلات قوية متينة قوامها العقيدة واللغة والدم والتراب والجوار ، فهي وحدة متماسكة متواشجة رغم التقسيمات المصطنعة التي أوجدها كيد المستعمر وأصابعه الخبيثة ولم تزل تأخذ بتلابيب هذه الامة وتفرض نفسها عليها رغم ما يريده المصلحون وما يدعو له العاملون ٠٠ وهو أمر متحقق لا محالة ولكن القضية قضية زمن ٠٠ هـو ما يقتضي نضج الامة ووعيها ٠٠

أما الصلات التي تربط قلب الجزيرة بالشام فهي ـ فوق ماذكرنا من صلات العروبة ـ صلات متمكنة واشجة ٠٠ ترتكز على النسب والثقافة والعلم والتجارة والهجرة المتبادلة ٠

فمنذ أن اندفعت موجات القبائل العربية من قلب جزيرتها ممثلة في لخم وجذام وعاملة وغسان ٠ ٠لتستقر في قرارة الشام وتقيم ملكا وتبني دولة قوامها عرب الجزيرة ورجالها أبناء قحطان وعدنان ٠٠ يدلـون بعنصرهم ويفخرون بقومهم ويفدون الى دولتهم بالشام فيلقون الاكرام والاجلال ، ويتبارى الشعراء بالمدائح ويتجارى الخطباء بالخطب ، ويلقى بنو عمومة الملك من أزد السراة وأزد شنؤة وازد عمان وبنو قيلة من الاوس

والخزرج بالمدينة ٠٠ يلقى هؤلاء وهؤلاء من العطـــايا والتحف والبر ما يعودون به بجر الحقائب وافرى البر والخير ٠٠

وما لبثت هذه الموجات قليلا حتى استقرت ونمت وأصبح لها شأن في نمو البلاد وازدهارها ، وأصبح منها العلماء والقادة والادباء والشعراء والأعلام المبرزون ٠٠ بطون من قحطان وأخرى من عدنان منهم غسان وقيس وربيعة وكلب وضبة وحنيفة قامت لهم دول وامارات في دمشق وحلب والشرارة والجولان ٠٠ وانطلق شعراء هؤلاء وهؤلاء يجدون في الشام ملتقطات الدرر وعيون الشعر :

اولاد جفنة حول قبر ابيهـــم
قبر ابن مارية الكريم المفضـــل

يسقون من ورد البريص عليهـم
بردى يصفق بالرحيق السلسل

بيض الوجوه كريمة احسابهـم
شم الانوف من الطـــراز الاول

يغشون حتى ما تهر كلابهــــم
لا يسألون عـــن الســواد المقبل

من قصيدة طويلة جيدة لحسان في بنى عمومته أولاد جفنه ٠٠

أما البحتري الطائي فيصف دمشق ويقول :

أما دمشق فقد أبدت محاسنهـــا
وقد وفى لــك مطريها بما وعدا

اذا أردت ملأت العين من بلـــد
مستحسن وزمان يشبه البلـــدا

تمسي السحاب على أجبالها فرقا
ويصبح النور في صحرائها بددا

فلست تبصر الا واكفا خضـــلا
أو يانعا خضرا أو طائرا غردا

كأنما القيظ ولى بعـد جيئتـه
أو الربيع دنا من بعد ما بعـدا

وأبو تمام الطائي يغرى بجناتها وحدائقها فيقول :

لولا حدائقها وانـــــي لا أرى
عرشـــا هناك ظننتهـا بلقيسـا

وارى الزمان غدا عليك بوجهـه
جذلان بسامـا وكان عبوســـا

قد نورت تلك البطـون وقدست
تلك الظهور بقربة تقديســـا

ويتبارى جرير والفرزدق والاخطل وغيرهم من أعلام شعراء الجزيرة في بلاط دولة أمية يخلدون الشـــوارد والفرائد ويجدون الدرر والغرر ٠٠ ويتبارى اخرون في أروقة الشهباء يمجدون بني حمدان ويصفون العظمة والعروبة في أجلى مظاهرها هنالك ٠٠

ولم تقف الهجرة من قلب الجزيرة الى سورية عند زمن ولا عند قبيلة دون أخرى ، بل اننا نرى بطونا من قضاعة القحطانية ، وبطونا من عنزة الربيعية ، وبطونا من شمر الطائية ، وبطونا من خالد العامرية ، وبطونا من خفاجة وهلال العامريتين ، وغيرها من البطون الكثيرة اتخذت سورية مرتادا فمستقرا وأصبح معظم العشائر السورية اليوم ترجع أروماتها الى قلب جزيرة العرب وتقوم بينها وبين بني عمها في الجزيرة أواصر نسب وقربى ٠٠ ولا يقتصر هذا على العشائر البدوية فحسب ، بل ان كثيرا من البيوتات والاسر في حواضر الشام وقراها تضرب بجذور مكينة وشائج قربى مع اخوات لها في مدن المملكة وقراها وباديتها ٠٠ ونجد كذلك أسرا في مـدن الجزيرة وقراها من أصل شامي وجدوا في الجزيرة مبتغاهم ومستقرهم ٠٠ وصلات التجارة وتبادل المصالح كنا الى زمن قريب ندرك القوافل تجوب عرض الجزيرة جيئة وذهابا تحمل منها السمن والجلود والصوف والوبر والشعر ، وتستاق الابل والغنم والخيل تجد في أسواق الشام منتجعا يستقبل ما معها ويغريها ويحملها على المتابعة والاستمرار، كما تجد فيها مبتغاها من الكساء والغذاء والسلاح والحلل

والحلى وأدوات الزينة والمصنوعات والمفروشات وغيرها ٠٠ وكان من ينتجعون الشام ويتعاملون مع أسواقها يسمون (عقيلا) ولا أعلم عن مصدر هذه التسمية شيئا الا أنني أهجس بأن عقيلا القبيلة العامرية المنقرضة ، وقد كان لها شأن في قلب جزيرة العرب وتجارة ونقلة في زمنها عرفوا الشام وعرفتهم بما تقبل وتدبر به قوافلهم من قلب الجزيرة واليها ، وظل هذا الاسم ملازما للعرب الذين يتعاملون مع أسواق الشام عبر الزمن سواء كانوا عقيلا أو غيرهم ٠٠ **هذا ما أتوقعه ٠٠**

وكان سوق عقيل في دمشق يسمى (سوق العصر) يضج بأصوات الباعة وبرغاء الابل وثغاء الغنم ويمتد بسواد البشر بيعا وشراء ومماكسة ٠ ولاتنكر فيه من وجوه عقيل من أهل نجد أحدا ٠٠ يوضح لنا ذلك ماحدث حينما حوصرت بلاد القصيم من قبل ابن رشيد وضيق الحصار على أهلها فزع أهلها الى الشعر يستنفرون رجالهم في الشام ويلهبون حماسهم ويثيرون نخوتهم وشجاعتهم ووطنيتهم ٠٠ ليقف الشاعر الشعبي الجهير محمد بن عبد الله العوني فيطلق قصيدته المسماة (الخلوج) ويبعث بها لرجال القصيم في الشام شعلة ملتهبة من الحماسة متأججة بالنخوة شاكية باكية :

خلوج تجذ القلب بأعلى عوالها
تكسر بعبرات تحطم سلالها
تهيض مفجوع الضماير بحسها
الى طوحت صوت تزايد هجالها

ويمضي :

الى جيت (سوق العصر) تاتيك غلمة
تخثع بزبنات البريسم نعالها
يقولون لك يا صاح عطنا علومك
بلدان (نجد) عقبنا وش جرى لها
قل أمكم من عقبكم لبست العنا
تبكي على الماضين واعزتى لها
وشيبانكم تضرب على غير جابه
من عقب ذاك العز تنتف سبالها
ألا در على اليوم ما هوب باكر
ياالعنبو نفس تتاقى بما لها
ترى مركب الاخطار هو مصعد العلى
ولا يدرك العليا غيور شكى لها

قصيدة طويلة مؤثرة سارت على هذا النمط حتى اذا وصلتهم فزعوا للاموال والسلاح والشباب المتحفز الثائر ، وقادوها ململمة تحفزها الوطنية وتحدوها الغيرة ٠٠ وما النصر الا من عند الله ٠٠

وقضية ثانية شاهدتها حينما تحفز العرب للانقضاض على عدوهم في فلسطين وتشكل جيش الانقاذ ورجع كل الى أصله وكل فرع الى أرومته قام من بين أبناء الجزيرة في الشام شباب على رأسهم الاخ الزميل الاستاذ فهد آل مارق فعقدوا لواءنا الاخضر وكتبوا عليه كلمة التوحيد وانطلقوا به في شوارع دمشق فأخذ أبناء الجزيرة يهرعون اليه من كل حدب وصوب ويستقبلونه ويجتمع حوله عدد كبير لترفع سفارتنا في دمشق برقية لجلالة الملك عبد العزيز لبأمر بتسليحهم وتموينهم وتجهيزهم الى الجبهة فأبلوا بلاء حسنا ٠٠ واستشهد من استشهد وأصيب من أصيب ٠٠ وهناك دار للرعاية في دمشق تعلم أبناء هؤلاء وغيرهم من اليتامى من أبناء الجزيرة وتنفق عليهم وتعدهم ليكونوا أعضاء عاملة في مجتمعهم ذكورا وأناثا على نفقة المحسنين من أبناء المملكة وبمساعدة الدولة السعودية ورعاية حكومة دمشق ٠٠

ولم تكن صلة النسب والجوار واحتضان الجاليات والتجارة والمصالح المشتركة بين البلدين ٠٠ لم تكن هذه كلها وغيرها مما هو على شاكلتها ٠٠ باحظى واعمق وآصل من صلة العقيدة والثقافة والمبدأ بيننا وبين أبناء الشام ، فلقد كان شيوخ المذهب الحنبلي الذي يتمذهب به أهل قلب الجزيرة العربية شاميين ، وكان اعلام هذا

المذهب ومحققوه وحملته ومؤلفوه من أهل الشام • وأكثر الكتب المعتبـــرة في المذهب الحنبلي شـــامية فكتــب ابن قدامـــة وكتب ابن تيميـــة وكتب ابن مفلـــح وكتب ابن القيـــم وغيرهـــا مـــن الكتب الكثـــيرة النفيسة المؤلفة في المذهب الحنبلي بل هي المراجع الكبرى فيه التي يعول عليها الحنابلة في قلب الجزيرة ، وليس ذلك جديدا بل كان هذا منذ أن انتشرت مذاهب الفقه الاسلامي في أقطار العالم الاسلامي ، ولذا تقوم علاقة وثيقة فقهية بين القطرين من الحنابلة منذ ذلك الحـين قائمة على العلم والتعليم وتبادل المخطوطات ونشـــــر الدراسات الفقهية والفتاوى ، يحيط بذلك خبرة وادراكا علماء نجد الاعلام واخوانهم من الحنابلة في الشام كأهل بلدة ــ دوما ــ وغيرهم ••

ومن هذا المنطلق استقى الامام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله دعوته من امام علماء الشام وحبرها العلم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية بل الله ثراه فدعوة ابن عبد الوهاب لم تخرج عما حققه ابن تيمية في مذهب السلف قيد أنملة بل ان كتبه في العقيدة وفتاواه فـــي الشريعة ونظراته في التحقيق هي عمدة محققي أهل نجد ومرجعهم ، وكذلك من سار على هذا الدرب من تلامذة ابن تيمية ومن مشائخه أمثال ابن قيم الجوزية والذهبـي وابن كثير من علماء السلف الاعلام في كل زمان ومكان ••

ولا ننسى أنه حينما كادت تقفر بلاد نجد من العلماء المحققين في زمن الملك عبد العزيز رحمه الله أنشأ دارا أسماها ــ دار التوحيد ــ ، وجعل مقرها الطائف ، واختار لها من نابهي شباب البلاد مئات الطلاب ، ووفر لها سائر الامكانيات العلمية والمادية ، واختار لرئاستها وتوجيهها علامة الشام المغفور له الشيخ محمد بهجة البيطار الدمشقي الميداني السلفي الذي أعطى هذه الدار من جهده ووقته وعلمه ما أرجو أن يضاعفه الله له مثوبة واجرا ، فلقد أبلى في النهوض بهذه الدار بلاء حسنا وواجه من عجر وبجر طلبة قسروا على الغربة وأخذوا من بين أهلهم وذويهم من سائر أقطار نجد ليتفرغوا للعلم في هذه الدار بالطائف ويعارضون فكان يقابلهم بالصبر ويلقاهم بالجلد ويوجههم باللين تارة وبالشدة أخرى حتى أنجبت هـــذه الدار صفوة تعتبر بحق النواة الاولى لعلم وثقافة عصرية في قلب الجزيرة •

ويشرف كاتب هذه السطور أن يكون أحد من أنجبتهم هذه الدار وان كان يشعر بأنه متشبه بهم ، وعلى حد قول القائل :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهـــم
ان التشبه بالكـــرام فـــلاح

غفر الله لك يا بهجة البيطار وجزاك عن هذه الدار ومنسوبيها خير الجزاء وحيا الله الشام تصدر الثقافة لقلب الجزيرة أو تمدها بفيض علمها ومد ثقافتها ••

وأخيرا فنحن على صلات ثقافية وعلمية ونسبيـــة وتجارية •• وصلات جوار ولغة وتراب ودم وآمال وآلام تربط قلب جزيرة العرب بالشام ، والشام بقلب جزيرة العرب لها جذور تمتد الى ما قبل الاسلام وتقبل حتى يومنا هذا لا تؤثر فيها الهزات ولا ترنحها الرياح ولا تغمزهـا اتجاهات الحكم وتقلباته في كلا القطرين •• صلات أصيلة نبيلة على رأسها العقيدة والمذهب •• فلنكن جميعا أوفياء لهذه الصلات بررة بهذه الوشائج مدركين لواقع هذه الصلات على حقيقة وعلم بها لتبقى حية متفتحة يزيدها الزمن نموا وعطاء ورسوخا ••

هذه رؤوس أقلام عن هذه الصلات أرجو أن يهيىء الله لها من يأخذها بالدراسة المتمكنة المبسطة في مؤلـف يحيى منها ما اندرس ويحقق ما يعوزه التحقيق ويطلع جيل اليوم على حقيقة كادت أن تنسى وواقع كاد أن ينطمس •• فعسى ولعل •

الرياض ــ عبد الله بن محمد بن خميس



كيف نلهو...

محمد حسن فقي

ليس في الدهر حاضر .. انما فيه .. قديم ولّى وآت جديد
والثواني من الحياة تلاشينا .. وتطوي أعمارنا وتبيد
وأرانا نمضي سراعا الى الموت .. وقد يسبق العميد الحفيد
ثم لا نرعوي .. وهذا طريف قد طواه الرّدى .. وهذا تليد

★ ★ ★

كيف يلهو من ليس يدري أفي اليوم رداه .. أم في الغد المجهول
نحن أسرى طباعنا .. وهدى الطبع لزام .. كغيه المرذول
رب كسب أمسى يضيق به الكاسب .. كالغلّ في يد المغلول
وخسار تخاله خير كسب ما تبدّى للخاسر المتبول

★ ★ ★

بعض حين توسوس النفس حيرى في الحياة الدنيا وفيما يليها
فترى في الحياة شيئا حبيبا وترى في الممات شيئا كريها
أفليس الحياة أهلا وصحبا وحطاما .. ولذة نجتويها ؟
والجمال الذي نحن اليه والامانيّ حلوة نشتهيها ؟

★ ★ ★

ثم تذكر الحياة فيبدو من خلال الذكرى خيال رهيب
يتراءى بوجهه الكالح الصلب .. فيخشاه مخطىء ومصيب
شد ما ألهب الانام وأشقاهم .. فهذا عان وهذا حريب
خير أيامه ـ وما أندر الخير بتلك الايام ـ يوم عصيب

★ ★ ★

يا لنفسي من الحياتين ! هذي ذات شجو .. وتلك ذات غموض
شقيت بالحياة هذي .. فهل تلك كهذي ؟ أم تلك غير عضوض

ما اطمأنت الى الفروض تؤدى في الحياة الدنيا ·· ولا للعروض
نهضت بعد كبوها ·· ثم عادت فكبت بعد فرحة بالنهوض

★ ★ ★

ما الذي في الحياة تلك ·· وما أجدت عليها هذي الحياة فتيلا ؟
غير أن روّعت حشاها فما تعرف برد الحنان الا قليلا
والتي بعدها ظلام وأستار صفاق ·· عمت عليها السبيلا
وهي تخشى المجهول ·· تخشى المساتير بما قد جنته ·· تخشى الرحيلا

★ ★ ★

قد تشفّ النفوس حينا فتستهدي بنور البصيرة الكشاف
فترى الرشد والضلال جليين ·· وان أمسيا وراء سجاف
أحسب النفس قد تراءى لها الماضي مخيفا بوجهه الرّجاف
فأشاحت عنه ·· وقالت لي الويل بأمسي ·· بشقوتي ·· بانحرافي

★ ★ ★

أيها النفس ! اننا لشريكان أدارا كأسيهما ·· فاستطارا
ليس تجدي الاعذار مني ولا منك ·· فقد فنّد الهوى الاعذارا
قد وردنا من الموارد صفوا وانتشينا فلم نر الا كدارا
فاعلمي أنني وأنت كلانا بدّد الريح ·· فاستحق الخسارا

★ ★ ★

وغد انه وليد ليوم ولأمس تولّيا ·· فاستهلا
وكذاك الزمان ما انفك يجري فيبيد الانام طفلا وكهلا
ويعودون بعد ذلك للأرض ·· فلا سيد هناك ·· ومولى
ثم لا يجتني المسيء ولا المحسن ·· الا ما كان ·· قولا وفعلا

★ ★ ★

وأنا اليوم بعد أن وهن العزم ·· وبعد الاقبال والادبار
ما أبالي بما يكون ·· وما كان ·· فسيان مولدي واحتضاري
لست أخشى الا غدي ومطاويه ·· وخسري بيومه وتباري
يا عليما بما أجن ·· أنلني منك حسن العقبى ·· وطيب الجوار

أصالة الإنتماء إلى الأرض

في أدب أحمد قنديل

عزيز ضياء

● في مجموعة الاعمال الادبية التي بدد بها الشاعر أحمد قنديل ركام الضباب في حياتنا الفكرية اطار يجمعها ، أو هو خيط حريري دقيق يسلكها في عقد من حقه أن يتألق على جيد الشعر ، ومن حق الشعر عندنا أن يزهو به عقدا ان لم يتفرد ويمتاز بما فيه من مادة ، فلا شك أنه يتفرد ويمتاز بتعدد الدرر وتنوع الجواهر فيه ٠

وحين يدفع الاستاذ القنديل الى ساحة الفكر والفن بهذه المجموعة من أعماله ، وفي هذه الفترة المكتظة بما لم يسبق أن عانينا مثيلا له من اللهاث وراء فرص الثـــراء والاكتناز السانحة بسخاء منقطع النظير ، فانه يضيف الى ما أعرف من خصائص شخصيته خصيصة القدرة علـــى المغامرة ، رغم كل ما يتربص بها من احتمالات الكساد الذي نعلم أنه ما يزال يتعنكب ويتطعلب على ســـوق الكتاب ، ليس عندنا فقط ، وانما في العالم العربي مـن مشارف المحيط الى ضفاف الخليج ٠

وليست هذه هي المرة الاولى التي يقدم فيها القنديل على مثل هذه المغامرة الجريئة ، أو فلنسمها التضحية السخية ، اذ كان من السابقين القلائل الذين أقدموا على نشر دواوينهم وأعمالهم في فترة من أيامنا الخالية كان (الريال) فيها ـ فضلا عن المليون أو البليون ـ ثروة لا بد أن نفكر مرتين قبل أن نقدم على التضحية بها ٠

ولا بد لي اليوم أن أعترف بما طويته عن القنديل دهرا طويلا ، وهو أني كنت وصديق الطرفين المرحوم الاستاذ حمزة شحاتة نعد اقدام القنديل أو غيره من شعرائنا على نشر دواوينهم حماقة تستحق التماس أسباب العـلاج لاعصابهم وملكاتهم العقلية من أخطارها ، وقد نتناولهـا بالتعليق الساخر ، والدعابة اللاذعة ، ولم نكن نعدم قط من يشايعنا الرأي ويمدنا بالضحكة الصاخبة ، حين نتسامع أن ما طبع من ديوان الشاعر ألفان من النسخ لن يبيع منها أكثر من مئتين ـ وفي فترة من الزمن لا تقل عن ثلاث سنوات ـ ثم تذهب طعاما شهيا للجرذان والارضة وتجرفها عن أذهان القراء أمواج النسيان ٠

ولا أستطيع أن أحسن الظن بسوق الكتب في هذه الايام ، أو حتى في المقبل منها بعد جيل أو أجيال ، وليس ذلك لانتشار الامية في عالمنا العربي ، كما قد يتبادر الى الاذهان ـ فذلك عذر لا يرفض ـ وانما لان المتعلمين بل وحتى المثقفين وحملة الدرجات الاكاديمية العاليـــة ، مصابون بما أسميه ـ عقدة الكتاب ـ لانه في مفهومهم وفي

أغوار عقلهم الباطن ، ذلك الارهابي الذي ظل يلاحقهم بسوط من لهب منذ كانوا في السادسة من أعمارهم الى أن حملوا المؤهل الجامعي ٠٠ فما الذي يمكن أن يحملهم على أن يصاحبوه ، أو أن يتصوروا الحياة معه ، بعد كل الذي عانوه وشقوا به من مشاكلهم مذ كان استيعابهم لمضمونه سبيلهم الوحيدة الى النجاح ٠٠ والى المستقبل المنشود ٠

ومن هنا ، كان علينا نحن زملاء الاستاذ قنديل وطليعة قرائه أن نعرف مغامرته وخطرها ،فنطلب من الله له العون ، بأن يعوضه خيرا عما أنفق من مال لطباعة ونشر أعمال من حقها أن تتزاحم على اقتنائها جماهير المثقفين لانها وأمثالها ــ حين توجد ــ احدى مجموعة الوسائل التي ينبغي أن تعتمدها أجهزة الاعلام عندنا لتجذير انتماء أبنائنا الى أرضهم ولترسيخ تعلقهم بهذه الارض ، ومن المفروغ منه أن ايمانهم بحقها عليهم وادراكهم لواجبهم نحوها ــ ومن ثم تنمية ركائز وحوافز الاخلاص الى حد الجود بالدماء والارواح في سبيلها ــ هو السبيل الى بناء شخصية المواطن ــ الصالح ــ ٠

وأصالة الانتماء الى الارض والتراب في المدينة والقرية هي ذلك الخيط الحريري الدقيق الذي ينظم هذه القلادة من الشعر الذي نقرأه للشاعر أحمد قنديل في ــ الراعي والمطر ــ وفي ــ قريتي الخضراء ــ والذي قد لا نفتقده في ما سبق أن نشر للشاعر من أعمال تحتضنها الصحف الى جانب دواوينه الاولى ، ومنها رائعته التي لن تنسى عن جدة ، وقد جارى في موضوعها صديق عمره المرحوم الاستاذ حمزة شحاته ، واذا لم يكن هذا المقال مجالا للمقارنة والموازنة بين العملين الرائعين ، فان تلك الرائعة تظل أقوى وأجمل النماذج لاصالة الانتماء وتجذره في دماء الشاعر ووجدانه منذ فجر الشباب ٠٠ وما نجده بين أيدينا اليوم من أعماله ــ كعروس البحر ــ لا بد أن ننظر اليه من زاوية الانتماء هذه التي تتسع لتشمل ما نقرأ له

من قناديله اليومية في الصحف ، الى جانب هذه ــ الدردشة ــ البلدي التي ملأ بها كتابا سماه ــ أبو عرام والبشكة ــ وقد حشد فيه ألوانا من الصور والحياة الشعبية التياندثرت أو كادت ، وأحسب القراء حين يقدرون للقنديل ما بذل من جهد في التسجيل الضاحك المتبذل فانهم لاشك سيحمدون لمسيرة التطور التي نعيشها أن جرفت وأزاحت من حياتنا بعض هذه الصور التي اذا كان يعجبنا أن نقرأ عنها ، فانه لا يسرنا أبدا أن يبقى لها أثر في حاضرنا وفيما نستقبل من حياة نريد لها أن تطمح الى الافضل وأن تتعشق الاجمل والاليق والاشد اشتباكا واندماجا في طبيعة العصر وفي

طبيعة التطلع الى أرقى مستويات العيش الكريم ٠

والانتماء الى الارض يختلف عن الانتماء الى أي مذهب من مذاهب الفكر وايديولوجياته ، وهو يمتاز عندي بأنه الاصدق والاكثر احتواء لكل المدخر في هذه الارض من تاريخها ومثلها وقيمها ٠٠ بل هو الانتماء الذي يجب أن يكون المنطلق لاي انتماء عداه ٠٠ يكفي أن تصدق في انتمائك الى الارض لتنتمي الى هذا المدخر من التاريخ والقيم ، فيصعب ــ بعده ــ أن تنتمي الى الوافد المسموم والطارىء المدسوس من هذه المبادىء والمذاهب الفكرية التيتشهد الساحة العربيةكلها كيف أصبحت تجتاحالنفوس،

وتستعمر العقول ، فتفصمها عن تاريخها ، وقيمها ومثلها، ليصبح الولاء للمذهب ، ودعاته ، وللايديولوجية ودهاقنتها ذلك هو الانسلاخ عن وشائج المواطنة يتستر وراء شعارات نخطىء كثيرا حين نستهين ببريقها وقدرتها على التخريب وحين تأخذ ــ بالظاهر ــ من تراجعها وانكماشها ٠

واني لانتهز فرصة ظهور ــ قريتي الخضراء ــ و ــ الراعي والمطر ــ لاضع أمام أنظار المسؤولين عن سياسة التعليم والتربية في المملكة حقيقة آن الاوان فيما أرى ، لمواجهتها وتكريس الاهتمام بها ، وهي أننا حتى الان لم نكرس للتربية الوطنية منهجا خاصا ، نضع له الكتب المتخصصة ترافق أبناءنا وبناتنا منذ يبدأون الاستضاءة بنور الحرف وتظل معهم الى أن يبدأوا التعليم الجامعي ٠٠ وهذه المادة اذا أحسن التخطيط لتدريسها وأحسن اختيار الكتب التي تعالجها منتزعة من التاريخ والقيم في أرضنا بكل ما أضاءت به الدنيا من بطولات انتصرت بالحرف والكلمة ــ قبل السيف على تحديات أعظم أمبراطوريتين لتؤثل حضارة القرآن ، فانها قبل غيرها القادرة على ــ تجذير ــ شعور المواطنة ، وترسيخ التعمق الذاتي بين المواطن ومدخور الارض من القيم ، وهيالكفيلة بتنمية ركائز الاحساس بمصلحة الوطن فتضعها فوق وقبل كل مصلحة عداها ، وبها تتوهج شعلة الطموح وروح الابتكار والرغبة المتوثبة الى بلوغ المطلب الاسمى والامثلفي كل مجال من مجالات العمل والانتاج ٠

أقول اني أنتهز فرصة ظهور العملين المنتميين للاستاذ أحمد قنديل لادعو بالحاح الى تقرير مادة التربية الوطنية على مختلف مراحل التعليم ٠

ومع أن القنديل ابن مدينة جدة وهي مرتع صباه ، وملعب شبابه ، ومسرح شاعريته وفنه ، فنفهم على ضوء هذه الركائز تعشقه لها ، وافتتانه بها ماضيا عاشه ، وحاضرا يتبهر به ، فيكتب عنها ــ عروس البحر ــ ويبلغ به الانبهار حد التطوع للضرب على الطبل والنقر على

الدف في معزوفته وبأسلوبه ـ البلدي ـ الذي يجد عشاقه والمعجبين به على نطاق جماهيري واسع ، فاني أجده الوحيد بين شعرائنا الذي عاش واقع القرية وأحلامها ، فغنى هذا الغناء العذب مأخوذا بهذا الواقع مسحورا بهذه الاحلام ، شقيا بأساها ووحشة حاضرها يعاني ما كانت تعانيه من جحود وهجر واهمال ، فيعزف أحزانها وشكاتها ألحان فنان محس بل مرهف الحس لا تفوته الدقائق والنمائم فيما تحفل به الصور من الوشى الدقيق بما يتجمع فيه وينتشر في أعطافه من ألوان وظلال ، وهو في كل ذلك ، كما هو مع المدينة ، منتم الى الارض صادق الانتماء عميق الاحساس بجمال العفوية والبساطة في هذه الحياة الغافية الساهمة، والغارقة في نفس الوقت في غياهب ماض يربض على حركتها ، أو محاولة الحركة نحو الحاضر ، في المدينة التي تعيش اليوم أعنف سباق مع الزمن ٠

أسمع ، أو أقرأ وتغن بهذه الشكاة يصوغها أو يعزفها فنان صادق الانتماء الى الارض :

وربة زهرة نبتت
على جرف يحاذيها
يكاد الشوق يحرقها
ووخز الشوك يدميها
فلا ثغر يقبلها
ولا ناي يسليها
لقد عاشت (كما عشنا)
لدى السفح بلا معنى
وبالجرف من الادنى
فقضت عمرها ضجرا
وماتت وحدها سحرا
وغطت جسمها اللدنا
بلا كفن يواريها
مع النسيان ، أعشاب

شكاة راثية دامعة المشاعر كرست القرية وحياتها في هذه الزهرة ، يحرقها الشوق ، ويدميها وخز الشوك وتلفها الوحدة والجفوة فلا ثغر يقبلها ولا ناي يسليها ، ثم تموت هذه الزهرة النضرة اللدنة فلا نحس مأساتها ، ولا يمزقنا أسى أو تحرقنا لوعة حين تذوي فتواريها الاعشاب ٠

وفي الشكوى والرثا ء، ومع هذه الصورة الحزينة الشاحبة ترسمها ريشة حنون ، يثور الفنان ويصخب ونسمعه يقول :

تعال لقريتي يوما
وخل الكبر والتيها
فأنت بدونها غرس
بلا طين ٠٠ بلا ماء
وفي ما ضيك ماضيها
به الاعراق أنساب

ثم تحتدم مشاعر الانتماء ٠٠ ويتفجر ينبوعه الثر فنسمعه يقول :

تعال فقريتي نهر
متى فجرته اندفقا
وفي أعماقي ثمر
اذا رويته انبثقا
وفوق مهادها قدر
اذا راعيته انطلقا
فكأن الفارس الاسمر
لم يطغ ولم يكفر
نمته التربة الخضراء
للعالم برهانا
فسواه على التاريخ
للتاريخ انسانا
فلم ينس لدى القرية
أياما له فيها
تعيش الشعر للشعر
وما غاب ٠ ٠كمن غابوا

أجل ٠٠ تعال ٠٠ وخل الكبر والتيه ، فأنت يا ابن الارض ٠٠ هذه الارض ، بدونها غرس بلا طين ٠٠ بلا ماء ٠٠ وأضيف أنا فأقول ـ أنت بدونها شجرة بلا جذور سرعان ما تقتلعها هبة من عاصف وما أكثر هذه الهبات من العواصف في مرحلة من تاريخنا آن لنا أن نعي ونتبصر

ما تعانيه من قلق واضطراب وما ستظل تستقبله من عواصف وأنواء ٠٠ — ٠

وانتماء الاستاذ قنديل للارض هو الاصدق ، والاكثر احتواء للمدخور فيها ، ومن هذا المدخور الذي يقف عنده الشاعر ذلك — الراعي البدوي من نواصي كرا — ٠٠ حيث يراه في الظلال من الشجر يرقب الضأن والغنم ، وقد مد غليونه ، ضاحك السن — يحيي من حضر — ثم يسكب لهم من قربته قليلا من اللبن ويضع بين أيديهم — نثارا من العنب — ٠٠

صورة تستحق أن يفرغ لرسمها فنان ، يروعك بلمساته ، ويعجبك بالتفاتاته ، ولكن مهما أبدع وابتكر وتعمق الابعاد والملامح والسمات ، فلا أظنه يستطيع أن يعبر عن شعور هذا الراعي بضؤولة ما أكرم به ضيوفه حين يهمس وهو خافض الطرف معتذرا : (يا عرب ٠٠ عاش من عذر ٠٠) ٠

ويبدع الاستاذ قنديل ابداعه ، حين يستوفي الوقفة العابرة بالمزنة الثرة — تجود بالمطر — تتلاحق معها المشاهد والرؤى — تحت سقف العريش — فهنا الماء يترقرق ٠٠ وهنا النسمة العابثة تلعب ، وهناك في الاعشاش وعلى الاغصان وبين عناق الورد والفل طيورنا ٠٠ طيور هذه الارض ٠٠ النغارى والقمارى، نسمع مع تغريدها وهديلها ثغاء القطيع المنتشر على المنحدر وبين الصخور والراعي يجمع شتاته بالعصا يقرعها وهو يجري في — كثير من الحذر — ٠

و (أبو الصبر) رائعة أخرى من روائع القنديل وتاملاته المستغرقة في الارض وسماتها الاصيلة العريقة ٠٠٠ أبو الصبر ٠٠٠ هذا الجمل الذي تلتفت نحوه مشاعر القنديل وأحاسيسه التفاتة صديق وفي ، ولا عجب ، فقد ظل الشعر العربي والشاعر العربي صديقا لهذا المخلوق الكريم عايشه ، وألف الحياة معه ، وتغنى بصحبته في مسراه عاشقا ، وفي مراحله طلبا للرزق ، وفي صياله ونضاله بطلا مغوارا ، وكأن القنديل يرافق هذا الماضي الحفيل ، ويستوعب دورة الايام ، فيخفق قلبه أسى وتفجعا حين يقول :

الحصـــا والرمال عشن خدودا
لك بالموطيء الرقيق حوافـــل

يتناثـــرن غبطـــة واختيـــالا
بين عينيك ، كالعذارى ، جوافل

ثم :

والغواني حين الوداع تجـلت
واستقلت منـــك الظهور ذواهل

والمحبـــون بالهـــوادج هامـوا

أينما صرت بالهوادج صـــائل

يتواصـــون بالعصي من الصبر

ويبكـــون دمنـــة وحوائـــل

ومنها :

عشت في أرضنـــا مناح رجاء

ومطـــايا وبغيـــة ومـــأمل

فتربعت في القـــديم عروشـــا

بين أجدادنـــــا تـــرد الغوائل

وتمتعت ، مـــا تمتعت بالعطف

وبالذكر عاطرا — غير خامل

ثم :

عشت ما عشت لم تقتل ولم تسق
نفوســـا كأس الردى المتهاطل

ويرمي القنديل هذا الصديق الحبيب بنظرة حسيرة راثية حين يسأله :

يا أبا الصبر كيف مرت بك الوحدة

وأثـــارت لك الشجون وأغرت

بك سوط الذكرى صدى وهياكل

ثم يقول ، وقد أرهقته مرارة الواقع تمضغ كل الماضي وتكاد تغيبه وراء غياهب النسيان والى الابد :

يا أبا الصبر ، أيها العود والفرد

أغفى بهـــا الســـكون القاحل

وماضي الصحراء والركب حافل
عزما تبتغيه ، قد فاتك الركب

وضنت بالذكريـــات المحــافل
فاقض أيامــك القليلـــة حتى

تنتهي بعـــدها ســلالة زائل

وأصالة الانتماء في شعر القنديل تؤكدها هذه العفوية المتدفقة بالصدق الفني في المواضيع التي يلهم ابـــداع معالجتها ٠٠ فالنخلة ــ على سبيل المثال ــ تحظى بحنانه وبدفقة من مشاعره في قصيدة بعنوان ــ ضحى والنخلة ــ ٠٠

ولكن الشاعر في هذه المقطوعة على غير العهد به في شعره ، من الوضوح وتجنب الاحالات والاغراب والغموض ، اذ نجد فيها من عفوية التناول والتصاقه الودود الدافيء بمياسم الارض ، ومنها هذه النخلة لونا من الايماء أو الرمز الملفوف الذي يقول ٠٠ ولا يقول ٠٠ بل يتـرك لك أن تبحر مع ايماءته . أو مع الرياح الطائشة في أكثر من مسار كل منها ينتهي بك ٠٠ وقد لا ينتهي الى ما قصد ٠٠ أو لم يقصد ٠

فهو يلقى ــ ضحى ــ كما كان يلقاها في عهد مضى في الفجر الى جانب النخلة التي غرسها جده وكان يتغنى بها لانها ــ النخل بعدنا ٠٠ زينة الاصل والنسب ــ ٠٠ أو قد يلقى ــ ضحاه ــ في الاصابيح وعندها الطير ، وحولها الصبايا ــ تملأ الماء في القرب ــ ، والهوى هز روحها ، والمنى ملء قلبها ، ثم ، وكأنه يصحو من تهويمة مـــع الذكريات ، فاذا برأد الضحى يغتدى ــ لهب ــ ٠٠ وهو واقف ــ وقفة الذئب للطلب ــ وقد جفت البئر التي حفرها وطواها بزنده كما جفت دموعه بل ومقلته ، اذ طرأ مـا يجعله يتساءل :

هل تخلفت يا تـــرى
في أمـــور لهـــا سبب
أم تغـــيرت بعدنـــــا
وانتهى دونـــــك الارب

ويجيب الشاعر ، بما حدثته به نفسه ــ دون شك أو ارتياب ــ . فهي اليوم ــ لقمة بين فك طغا وناب ــ !!

فمن هي ــ ضحى ــ هذه يا ترى ؟ أو ــ ما ــ هي فيما تذهب اليه الايماءة ويعنيه الرمز ؟ ولم يا ترى جفت البئر . وجفت معها دموعه ومقلته ؟ فاذا كان السبب أنها اليوم ــ لقمة بين فك طغا وناب ــ فقد كان هو أيضـــا يتربص بها ــ ذئبا ــ له نفس الفك ، ونفس الناب ٠٠ ولكنه حائر الطرف لا يرى غير مرآها باسما وفي شـكول من الرؤى ــ صاغها الجوع والظمأ ــ ٠٠ أتراه كان ذئبا يطارده الصياد ويطاردها معه ؟٠

قد تستطيع أن تجد في الايماءة أكثر من مفهوم ، وقد تختلط عليك الدروب فلا تجد الا هذه الصورة مــن مياسم الارض تؤكد مرة أخرى أصالة الانتماء ٠

و ــ فوق الربوة ــ صورة أخرى لا يدهشني أن يغبطه على ابداعها أي شاعر من رصفائه ، اذ أشعاع الجمال فيها تلك العفوية والبساطة التي تشيع في أغلب ما تبدعه ريشته ولكنها هنا البساطة التي قد تجعلك تظن أن القنديل قد عاش تجربة هذا ــ الجمال ــ تملأ مشاعره الحسرة ولكن لا تنال من كبريائه فهو قابع على الربوة يتلهى بحبوته ويتسلى بقهوته وملء ــ غليونه ــ الشرر ٠٠ وفي عينيه أحزان القلب الخافق باللهفة الجائعة على مشاهد اندثرت وأزيحت عن المسرح الذي طالما أن واحدا من أبطاله ٠٠ قد أزاحتها ــ المواتر ــ ٠٠ ولا ننسى أن لفظة ــ المواتر ــ هي التي ما يزال يستعملها الجمال أو القروي حتى اليوم يريد بها ــ السيارات ــ ٠٠ أجل لقد اندثرت المشاهد بكل ما تضفيه عليها مواكب التاريخ من جلال ، ولم يبق منها الا هذه الحفنة من الذكريات في وجدانه ، فما الذي يمنع أن يستعرضها مشهدا اثر مشهد ، وموقفا يتلوه موقف ٠٠ بلى ٠٠ فالمسرح رحب لا يضيق بأن يشهد عليـــه ــ القوافل ــ وقد هدتها ــ المشاعل ــ ٠٠ والنوق والجمال سارحات ــ بلا عقال ــ وحولها الحفاة العراة من الحجيج يصعدون ــ الجبل ــ وهتـــافهم ــ لبيك ــ له ــ طعـم العسل ــ ٠

وتتلاحق في ــ الراعي والمطر ــ كما في ــ قريتي الخضراء ــ مشاهد من مدخور الارض ومن هيام الشاعر

بها وذوبان وجدانه في ثراها ·· مشاهد زحفت عليها وأزاحتها ـ والى الابد ، هراسة التحديث أو التطوير التي قادها التطلع الجموح الى اللحاق بمنسيرة العصر ، ومعطياته، ولم يكن مما يتفق مع منطق الانتفاضة والوثبة التي نعيشها أن نتصدى لوقف حركتها · ولكن ، ليس ما يمنع أن نعيشها وأن نعيش معها نكهة الماضي ورؤاه وأن نصغي الى أصداء موسيقاه تتردد على أسماعنا من جوف الزمان · وهـــذا ما تحققه مجموعة اللوحات الفنية الرائعة التي أبدعتهـا ريشة الشاعر في مقطوعاته ، وعجزت للاسف أن تعبر عنها ريشة الرسام الذي عهدت اليه ـ مؤسسة قنديل التجارية ـ برسم الغلاف والمواضيع اذ هي بدائية الاداء الى الحد الذي يهشم ويبدد الكثير من ألوان وظلال وأبعاد الصورة التي تكونها الجملة الشعرية التي تشرق بها شاعرية القنديل ·

بقي ان نلاحظ على أسلوب الاستاذ الشاعر ما نحسب أنه الجديد غير المقصود الذي لا يهبط بمستواه ولكنه أيضا لا يرتفع بهذا المستوى ، ولا يشعرني بوجود محاولة التأنق تطلعا الى آفاق جديدة والتماسا للجوهر من المعاني وللفرائد من المضامين حتى ليبدو لي أن الكثير من هذا الشعر الجميل قد كتب والشاعر في عجلة من أمره ، ويتلامح له المعنى ، أو تشرق في ذهنه الصورة ، فيتعجل رصدها دون أن يعالجها بالتمعن ليجد أدواته من الالوان ، ومساقط الضوء وامداء الظلال ، بل دون أن يلاحقها بخياله ليرى ما وراء الظاهر والمحسوس ، وهو لا يجهل أبدا ، أن ما وراء هذا الظاهر والمحسوس هو سر الفتنة وينبوع السحر والجمال ·

وهذا فيما أقرأ من الشعر جديد على أسلوب الشاعر، وأعتقد أنه غير مقصود فعلا ، اذ أين مستوى الاسلوب هنا من مستوى الاسلوب في شعره الذي قرأناه له منذ ثلاثين عاما ؟ أين أية صورة من هذه الصور التي حفل بهـــا ـ الراعي والمطر ـ ، و ـ قريتي الخضراء ـ الصور التي تقرؤها له في قصيدته السينية ·· ـ غريبة ـ ؟ أو في مقطوعته ـ أمطري ؟ أو في رائعته القديمة التي جارى في موضوعها المرحوم الاستاذ حمزة شحاته ـ جدة ـ ؟ وفي ـ فلسفة الحب ـ ؟ أو ـ الوردة الحمراء ـ ؟ كل هذه الاعمال التزم فيها الشاعر مستوى من الاسلوب وضعه في القمة التي يقتعدها بين الكبار من فحول شعرائنا طيلـــة الفترة التي انقضت من مسيرة الادب في بلادنا ··

لا أقول ولا أعني أن مستوى الاسلوب قد هبط بوزن الشاعر بين شعرائنا هؤلاء ، ولكن لا شك أنه قـد هبط بوزنه منسوبا الى وزنه ، وليس هذا مما يحمد له أو لاي شاعر اذ لا سبيل الى اغفال عامل التطور ورصيد التجربة أو التجارب التي لا بد أن تضيف الكثير من النمو والتكامل والامتياز ·· وهو ما يبدو أن الشاعر لم يعد يعنى به عنايته أيام شبابه ومع فترة تفتحه أو تفتح شاعريته وفنه·

وبعد ·· فان أصالة الانتماء الى الارض في هذا الشعر هي التي تعطيه لونه الخاص وميزتـــه الفريـدة النادرة التي ترشحه لاقتعاد قمة جديدة بين جميع شعرائنا بل ترشحه ليكون أساسا لمقرر ـ التربية الوطنية ـ ، اذا قدر له أن يظهر الى الوجود في مناهج التعليم عندنا ، يمكن أن نضيف اليه عددا كبيرا من القصائد التي فاضت بها قرائح شعرائنا اشادة بالوطن وتمجيدا لتراثه، واستثارة لهمم المواطنين واستنهاضا لعزائمهم ، وتذكيرا بالامجاد ،

ولعل في طليعة هذه الكوكبة من الشعراء ، شيخهم العظيم الاستاذ أحمد ابراهيم غزاوي حيث نجد في شعره الكثير الذي آن الاوان لاقتطافه من قصائده ·

والانتماء الى الارض ، حين تتيح أعمال القنديل أن نلتفت اليه وأن نتوخاه مطلبا من مطالب التربية ، فانه في الواقع المطلب الذي طال اغفالنا له ربما لاننا ظللنا نعتقد أنه متأصل وتجذر في دمائنا فلا حاجة بنا الى معالجة ترسيخه وانمائه ، وقد يكون ذلك صحيحا لو لم نكن نواجه تحديات الايديولوجيات المختلفة التي أثبتت أنها تستطيع اختلاس ولاء الفرد واقتلاعه عقائديا وفكريا وانتماء ، وما أكثر الشواهد حولنا ، وفي العالم على اتساعه وترامي أطرافه ·

ترى هل نعي جدية الفكرة وخطرها ؟

ذلك ما أرجوه وأطمع أن يتحقق على كل حال ·

عزيز ضياء



قريتي الخضراء

احمد قنديل

حننت لقريتي الخضــــراء	بنت الشمس والبـــدر
ترفـرف حولهــا الآصـــال	أجنحـــــة مـــن التبـــر
وتلعـب بينهـــا الاقمـــار	وسـط نجومهـــا الزهـــر
عـلى عتباتهـــا نخطــو	وفي ساحـاتهـا نجـري
تهدهدنـــا بقلـــب هـب	أو أغفـى عـلى الشـعـر
مدلهـــة ٠٠ طواهـــا الحـب	بـين المـــد ٠٠ والجـــزر
وعـــج بكونهـــا المسحور	نفـح الطيب ، والنشـــر
فعاشـــت . كالهـــوى المبثـ	ـوث بـين الوجـد والعطـر
وعشناهـــا ، كطفـل شـب	نهـب غرامـــه العــذري
نذوب يومهـــا ٠٠ عطـــرا	ونســهر ليلها ٠٠ شــعرا
ويمشـــي ٠٠ بيننا ، كبـرا	تسامى ٠٠ حبهـا الاكبـر

مديـد النـور ، والنــار !

دارة جلجل

محمد علي السنوسي

يقول أمير شعراء الجاهلية « امرؤ القيس » في معلقته المشهورة :

(الارب يوم لي من الغيد صالح   ولا سيما يوما بدات جلجل)

وقد تخيل الشاعر صورة ذلك اليوم العاطفي بالوانه وظلاله ٠ ومن وحي تلك الصورة جاءت هذه القصيدة :

نثر الليل في الفضاء نجومه   وطوى الريح دجنه وغيومه

وأستهلت أشعة خلع الفجر   عليها رواءه ونسيمه

وتهادت نسائم وشح الظل   شذاها وهومت تهويمه

وفتى يرقب الدجنة هيمان   الى طلعة الصباح الوسيمه

شاعري الحياة لايحسب الدهر ولا يقتفي خطاه الذميمه

عمره زهرة ودنياه فجر   مشرق يغمر الحياة نعومه

فارس تنفح الاساطير رياه   وتستعذب النفوس شميمه

حلم الخرد الحسان ونجوى   همسات العواطف المكتومه

لهج بالشموع من كل غيداء   نفور الخطى شموس الشكيمه

يتطبى هوى الملاح ويصطاد   ظباء الفلا طلاه وريمه

أسفر الصبح منوراءالروابي   وأمتطى صهوة الصفون الكريمه

شاقه منظر الطبيعة والنور   على صدرها يخط رسومه

فرمى طرفه الجموح على الافق   وندى انفاسه المحمومه

فأذا صفحة من المـاء تبـدو في تجاعيدهـا خطوط رقيمـه

و (غدير) يضم من لؤلؤ الحي (عذارى) قلادة منظومـه

يتراشقن بالحباب ويرقصـن على نغمة الشباب الرحيمـه

فتنة تأسر القلوب وملهـى ضل فيه النهى وعق حكيمـه

وأنتحى الشاعر الطروب حمى الماء وألقى شباكه المضمومه

ورأى يالما رأى · انها الصبوة واللهو والمنـى والنعومـه

يتملى بهـا الغديـر ويلهـو مائجـا يهصر القدود الهضيمه

فمضى يجمع الثياب ويطويها ويطـوي شجونه وهمومـه

جذلا ينظم الجواهر والـدر ويجلو من القريض يتيمـه

وأنقضت نشوة الحسان من الماء وريعت قلوبهـن السليمه

وتضرجن بالحيـاء وبالـدل وابدين صرخـة مكتومـه

وتنادين يا (عنيزة) قد فـر (امرؤ القيس) بالثياب الحشيمه

فتبدى لهن غـير بعيـد يتملى تلك الوجوه القسيمه

وأنبرى يفرض الشروط وما كانت شروط الهـوى لعمـري رحيمـه

فتلا ومن برهـة ثمت انصعن الى خفقة القلـوب الكليمـه

هو يـوم فطر بنا في حواشيـه وردد ألحانـك المنغومـه

وأحتفى الشاعـر الكريم بيوم فر من قبضة الزمان اللئيمـة

رجعته قيثارة الفن انغامـا رقاقا ورددت ترنيمـه

وقفت عنده (بحيرة لامرتين) شجـواء وأستعارت نعيمـه

وانثنى شاعر الملاحة والحـب يعب الهوى ويجني كرومـه

معالم التجديد في الأدب السعودي بين الحربين العالميتين

د. منصور ابراهيم الحازمي

يعتبر أوائل العهد السعودي في الحجاز ـ من سنة ١٩٢٤ الى سنة ١٩٤٥م ـ بداية حقيقية للادب الحديث في بلادنا ، لما واكب ذلك العهد من انفتاح تدريجي على العالم الخارجي ، ووضع الاسس لنهضة فكرية وعمرانية شاملة . أما في أواخر العهد العثماني وطيلة العهد الهاشمي فقد كانت البلاد تعيش فيما اصطلح على تسميته بين الباحثين بعصور الضعف أو عصور الانحطاط . حقا انها صحت فجاة في العهد الهاشمي (١٩١٦ ـ ١٩٢٤) ـ ولكنها صحوة سياسية مصطنعة ، ولم تكن البلاد مهيأة اجتماعيا أو فكريا لتحقيق طموحها السياسي .

لم يحتل الادب مكانة تذكر في أي من صحافة العهد التركي أو الهاشمي . كان غريبا أعجميا في الاولى ، كما كان « عبدليا » مشغولا بالسياسة في الثانية . وفي كلتا الحالتين كان الشبان من أدباء البلاد بعيدين كل البعد عن معترك الانتاج والكتابة ، اما لصغر سنهم ، أو لجهلهم ، أو لسلبيتهم وانطوائهم . ومع اعترافنا بتأثير صحيفة « القبلة » الهاشمية في نفوس الناشئة من الادباء المحليين وفي أفكارهم ، الا أنه تأثير محدود على أي حال ، ولم تظهر ثماره الا في فترة متأخرة بعض الشيء ، وفي مستهل العهد السعودي في الحجاز على وجه التحديد . ولا أعتقد أن كلام الشيخ محمد سرور الصبان يمكن أن يحمل محمل التواضع عندما قال عن مجموعة النماذج الادبية التي اختارها « للناشئة الحجازية » ونشرها حوالي سنة ١٩٢٦ م : « .. اني أصدر هذه المجموعة الشعرية والنثرية من عمل شبيبة اليوم وأنا شاعر بما فيها من قصور ، وأنا شاعر أن قيمتها الادبية ربما لا تساوي شيئا في سوق الادب ، بل ربما تكون محل سخرية من البعض كما تكون محل عطف وتشجيع من آخرين » .

ولكن الحياة أخذت تتغير صورتها في نفوس أدبائنا عندما بدأ جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود يزحف

بجيوشه زحف الامام المصلح ويغير وجه التاريخ . فاذا الجزيرة العربية ، بعد فترة من الكفاح والجهاد ، موحدة بعد تمزق ، قوية بعد ضعف ، طامحة فرحة بعد اكتئاب ويأس . ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا أن الملك عبد العزيز هو أول من مهد لارساء دعائم النهضة الادبية والفكرية في بلادنا ، ذلك لان زعامته لا تقتصر على الناحيتين السياسية والحربية فحسب ، بل كانت شاملة لكافة الميادين الاخرى التي لا بد منها لنهضة أمة من الامم . واذا كانت بداية النهضة الادبية في مصر تؤرخ بحكم الخديوي اسماعيل (١٨٦٣ ــ ١٨٧٩) ، فان بداية هذه النهضة تؤرخ في بلادنا بحكم الملك عبد العزيز الذي شجع الصحافة وشجع حرية القول وأنشأ دور العلم وبعث البعوث الى خارج البلاد وقام بالكثير من أوجه الاصلاح الديني والاجتماعي والاقتصادي الى غير ذلك .

● **البحث عن كيان :**

لقد كانت البلاد في أوائل العهد السعودي في حالة تكون وانبعاث . فمن الناحية السياسية كانت الخريطة الجغرافية تتغير وتتسع تدريجيا منذ فتح الملك عبد العزيز للرياض سنة ١٩٠٢م ، وحتى اعلان البلاد وحدة سياسية تحت اسم جديد هو : « المملكة العربية السعودية » سنة ١٩٣٢ م . ومن الناحية الاجتماعية نرى الحواجز تزول قليلا قليلا بين سكان المدن والمناطق المتباعدة لتحل محلها وحدة وطنية تجمعها العقيدة والتاريخ المشترك . ومن الناحية الاقتصادية نرى الجهود تبذل لتنمية موارد البلاد وتشجيع قيام الشركات والصناعات المحلية وتطوير الزراعة والمرافق الاخرى .

كانت بلادنا تولد من جديد ، وكذلك كان أدباؤنا الذين عاشوا تلك الحقبة التاريخية وشاهدوا ما يحدث فيها من تحول وتطور . لقد ملأت الاحداث نفوسهم وشعروا بشيء غير قليل من الزهو والاعتزاز ، الامر الذي جعلهم يبحثون عن كيان لأدبهم يواكب الكيان الجديد الذي صنعه عبد العزيز وهيأه لهم في المجالات الاخرى . ومن مظاهر هذا البحث رجوعهم الى الماضي يستنطقونه ويلتمسون فيه القوة والالهام بل يلتمسون فيه شخصية الامة التي توارت وبهتت ملامحها ابان فترات الضعف والتخلف والانهيار . ولعل ما كتبه محمد سعيد عبد المقصود ومحمد حسن فقي وغيرهما من كتاب تلك الفترة عن أدب الحجاز في عصوره الماضية ، وما كتبه عبد القدوس الانصاري وأحمد راشد الاحسائي عن ابن المقرب شاعر الاحساء ، لا يعدو أن يكون تعبيرا نفسيا عن رغبة أدبائنا الملحة في البحث عن الحافز أو المثل ، أو هو محاولة لايجاد الجذور المحلية للأدب السعودي الناشيء آنذاك .

كان أدباؤنا خلال تلك الحقبة يبحثون عن الماضي ، ولكنهم كانوا من جهة أخرى ينظرون الى الحاضر والمستقبل . ولم يكن حاضرهم الادبي مما تطمئن اليه نفوسهم الطامحة أو تقنع به ضمائرهم . لقد صحوا فجأة على واقعهم فوجدوا ان ما تجود به قرائحهم يبتعد أشواطا عما يقرأونه لاقطاب الادب والفكر في البلدان العربية المجاورة . ومن ثم فقد رأيناهم يتنادون باسم الادب ويحمس بعضهم بعضا ، ومعظمهم غلمان تنقصهم الثقافة والخبرة ، ولكن نفوسهم تتفجر ، مع ذلك ، غيرة وحمية .

كانت الصحافة هي المجال الوحيد لاقلام أدبائنا بين الحربين ، فأقبلوا عليها يصولون ويجولون ، ويخوضون ــ شعرا ونثرا ــ في شتى الموضوعات . ويبدو أنهم كانوا يتعجلون النضج والشهرة ، كما نلاحظ حرصهم على رعاية وليدهم الناشيء ــ الادب السعودي الحديث ــ في مظاهر عدة منها :

أولا : محاولة التاريخ لهذا الادب على الرغم من ضآلة محتواه وقصر امتداده الزمني . وقد رأى بعضهم في الثورة العربية سنة ١٩١٦ م بداية معقولة لميلاد الادب الحديث في الحجاز ، مع ملاحظة أن التقليد مازال الطابع

العام لهذا الادب حتى الثلاثينات من هذا القرن • ومنهم من لم يكتف بالتاريخ للادب الحديث في الحجاز بشكل مجمل بل حاول أن يتبع النشاط الادبي والثقافي لبعض المدن ، كما فعل حسين سرحان الذي كتب في احدى مقالاته عن الادب في المدينة المنورة وعن العوامل التي أدت الى ازدهاره كدور العلم والنوادي الادبية •

ثانيا : السعي الى الحصول على اعتراف بهذا الادب ، وذلك اما بنشر نماذجه في الصحف العربية ، أو بعرضه على بعض أقطاب الادب العربي في البلدان الشقيقة المجاورة • وقد كانت مصر تتمتع بمركز ثقافي ممتاز بين الحربين مما جعلها قبلة لانظار أدبائنا ، لاسيما وأن منهم من أقام فيها مدة طويلة وأسس في عاصمتها بعض الصحف ، كمحب الدين الخطيب وفؤاد شاكر • ونحن لانعرف على الضبط حجم ما نشر لكتابنا في صحافة مصر ابان تلك الفترة ، لكنه يدل على أي حال على رغبة أدبائنا في أن تسمع أصواتهم خارج البيئة المحلية ، وفي مصر على وجه الخصوص التي كانت تعتبر عكاظا للبلدان العربية قاطبة في تلك الحقبة •

وطبيعي أن يسعى أدباؤنا الى عرض بضاعتهم في تلك السوق الادبية الكبرى ، التي كان من نوابغها ونقادها طه حسين والعقاد وهيكل والمازني • وقد عرض شيء من انتاج أدبائنا على هؤلاء فحكموا عليه حكما عاما مجملا أحيانا ، وحكما مدققا مفصلا أحيانا أخرى • ولا تخلو أحكامهم من مجاملة أو عطف أو نظرة اشفاق واستعلاء •

هكذا كتب طه حسين فصله عن الحياة الادبية في جزيرة العرب في كتابه « الوان » كما كتب محمد حسنين هيكل مقدمته لكتاب « وحي الصحراء » الذي جمع مختاراته كل من محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله بلخير • ومن المعروف تتلمذ احمد عبد الغفور عطار للعقاد وارتباطه به روحيا وفكريا طوال حياته ، وقد كان الاعجاب بينهما متبادلا ، وكتب العقاد للعطار بعض مقدمات كتبه ، كما اشترك الاثنان في عدد من البحوث والمؤلفات •

ثالثا : تشجيع الانتاج الادبي المحلي ، والبحث عن الاسباب التي أدت الى ضعفه وركوده • وبامكاننا ان نلمس ذلك التشجيع واضحا فيما نشر في تلك الفترة على صفحات الجرائد والمجلات المحلية ، وما جمع من انتاج ادبي في صورة مختارات تضمها كتب مستقلة • ولم يكن التشجيع في معظم الاحيان صادرا من شيوخ الادب الى الناشئة من المتأدبين ، بل كان تشجيعا يتبادله الشباب من الاقران والاصدقاء ، ومنهم من لايزال على مقاعد التحصيل والتلمذة في ذلك الوقت • وقد طالب بعضهم بتشجيع التأليف والنشر ، والكف عن النقد الذي من شأنه أن يقتل المواهب الغضة ويعوق الحركة الادبية ، كما وجه أحدهم اللوم الى بعض النقاد لانه قسا في نقده على بعض شعراء الشباب وذكره بأن أدبنا لايزال في المهد ، وانه أولى بالتشجيع وبالنقد المعقول •

ولكن ذلك الحدب على أدبنا الناشيء بين الحربين لم يمنع فريقا من كتابنا من النظر الى الامور نظرة واقعية ، ومحاولة تشخيص الداء والبحث عن علاج • وقد ربطوا بين تأخر التعليم وضعفه وتأخر الفكر والادب • وأوضح محمد سعيد العامودي — في احدى مقالاته سنة ١٩٣٦ — أن الغالبية العظمى من أدبائنا في تلك الاونة كانوا ضعافا في ثقافتهم العربية القديمة من جهة ، وضعافا في ثقافتهم الغربية من جهة أخرى • وهو يرى أنه لكي ينهض أدبنا فلا بد أن يكون قويا مبتكرا متحمسا صادقا وأن يستلهم التراث الاسلامي والماضي المجيد للامة العربية •

وبحث أدباؤنا كذلك عن رابطة تجمعهم وتوحد جهودهم ، وتدفع بهم الى تنمية مداركهم وشحذ مواهبهم • وقد تمخضت تلك الرغبة عن تأسيس نادي — الشباب العربي السعودي المتعلم — بالمدينة المنورة الذي كان له دور ملحوظ في تنشيط الحركة الثقافية فيها • كما تأسست

في مكة المكرمة سنة ١٩٣٦ م جمعية الاسعاف الخيري ، التي حولها أدباؤنا الى ناد أدبي يلتقون فيه ويعرضون ما عندهم من انتاج عن طريق النقاش والاحتكاك أو عن طريق المحاضرات • ولا شك أن هذه الجمعية قد أسهمت اسهاما كبيرا في استقطاب أقلام الصفوة من أدباء البلاد وعلمائها ومفكريها أثناء تلك الحقبة •

وفي فترة التكوين هذه ، وعلى الرغم من جهود أدبائنا في خلق البواكير الاولى للادب السعودي الحديث ـ شعره ونثره ، فقد كان هناك احساس لدى الكثيرين منهم بـأن ما انتجوه لا يعدو المحاولات الاولى التي لم تقف على قدميها ولم تصل بعد الى مرحلة النضج والابتكار • وكان أشد ما يقلقهم الاتجاه الى تقليد النماذج العربية في الافكـــار والاساليب ، وعدم وضوح الشخصية المحلية • والحقيقة أن احساسهم هذا لا يخلو من صدق ، ولكنه كذلك لا يخلو من تشاؤم مصدره مزيج من التمرد على الواقع والشعور بالنقص ، والطموح الى المثل الاعلى •

● **المؤثرات الخارجية :**

لم يكن لادبائنا الرواد مفر من التأثر باداب البلدان العربية المجاورة ، ولا سيما أدب مصر وأدب المهجـــــــر الامريكي ، وقد كانا أكثر الاداب العربية نضجا وحيوية في فترة ما بين الحربين • ولم يكن ادباؤنا ينكرون الفضل ، ولكنهم أخذوا يضيقون تدريجيا بتلك التبعية التي أملتها عليهم الظروف التاريخية املاء ، وودوا ، بمضى الزمن ، لو أنهم استطاعوا الافلات منها والتحرر من قيودهـــا وتبعاتها • يقول عزيزضياء ، في مقالة له سنة ١٩٣٧ م ، انه لا يوجد ـ عندنا ـ أدب بالمعنى الصحيح ، اذ ان ما ينشر في جريدتي ـ أم القرى ـ و ـ صوت الحجاز ـ ليس الا تقليدا للكتاب المصريين • ومع اعتراف الكاتب بمتانة الاساليب الادبية في الحجاز وانها لا تقل عن الاساليب المصرية الا انه يأخذ عليها ميلها الى التقليد ، ويقول ان الادب ليس أسلوبا فحسب ، بل هو روح وقوة وغاية ، وهي معدومـــة ـ عندنا ـ •

أما احمد السباعي فيسلم لمصر بالاستاذية ، لانها في ذلك الوقت كانت الاقوى ثقافة واعلاما وأدبا : « ••• وعلى ذكر الثقافة ، حقيق بي أن أعترف لكم أن مصر بصحفها ومجلاتها ومؤلفاتها ومحطة اذاعتها وقادة الفكر فيها على العموم أساتذة لنا ، من موردها ننهل وعلى ضوئها نسير » • وكذلك حسين سرحان الذي يوافق السباعي على هذه الحتمية التاريخية ، ولكنه لا يخفى امتعاضه عندما يشير ساخطا الى أن مصر لا تتغلغل بادبها وثقافتها فحسب ، بل انها تتغلغل كذلك بمدنيتها وعاداتها وتقاليدها • وفي مقالة لعبد القدوس الانصاري بعنوان : « الاتجاهات الجديدة في الادب الحجازي » يحاول الكاتب أن يؤرخ لهذه الاتجاهات في التأليف والنقد والاساليب الكتابية فيقول ان الادب في الحجاز قد مر بمرحلتين من مراحل التأثر بالاداب العربية المعاصرة ، تأثر في مرحلته الاولى بالادب المهجري ، وتأثر في مرحلته الثانية بالادب المصري ، والانصاري يهاجم هنا الادب المهجري والمتأثرين به ، وينوه ، من ناحية أخرى ، بالادب المصري لانه ، على حد تعبيره ، أصح وأعمق •

ومهما يكن من أمر ، فلقد كان هناك اجماع بين أدبائنا ، على أنهم تأثروا فعلا بالادبين المصري والمهجري في أول عهدهم بالادب والكتابة • والحقيقة أننا لو استقصينا جوانب هذا التأثير لوجدنا الكثير ، ولاحتاج ذلك الى بحث مستقل ، ولكن يكفينا أن نشير هنا الى الاثر القوي الذي خلفه كل من نعيمه وجبران والعقاد والمازني وطه حسين • كان نعيمة وجبران يمثلان الادب المهجري والمتطرف في تجديده وارائه وثورته على القديم ، وكان العقاد والمازني يمثلان المدرسة المصرية المتوسطة بين تطرف المهجريـــين الثائرين وتطرف المحافظين التقليديين الذين يمثلهــــم المنفلوطي والرافعي • أما طه حسين فقد كان ، في قصة

حياته وكفاحه وعناده واعتداده بشخصيته وأسلوبه في الكتابة ، يمثل مدرسة مستقلة لها تلاميذها ومريدوها • وعلى الرغم من الاختلاف بين هؤلاء الاعلام فقد كانوادعاة تجديد ، وكانوا يجمعون بين الخلق الفني وبين الدراسة والنقد • ولم تقتصر مواهبهم الفنية على قالب أدبي فحسب ، بل كان كل واحد منهم يجمع بين قالبين أو أكثر• كان العقاد شاعرا وقصصيا وكاتب مقال ، وكذلك كان جبران ــ وكان المازني قصصيا وكاتب مقال • وكذلك كان نعيمة وطه حسين ، وسواء في انتاجهم الفني أو في دراساتهم ونقدهم ، فقد كانوا يجمعون بين التراث العربي وبين الثقافة الغربية ــ وليس واحد منهم الا وأثار ضجة بانتاجه الادبي ، او بدراسته ونقده : العقاد والمازني بـ ــ الديوان ــ ، ونعيمة بـ ــ الغربال ــ ، وطه حسين بـ ــ الشعر الجاهلي ــ ، وجبران بعواصفه ونبيه ودموعه وابتساماته الخ •

لا غرو ، اذن ، أن يتأثر جيل الرواد من أدبائنا السعوديين بذلك البريق الذي كان ينبعث من البيئات العربية المجاورة ، وأن يحاولوا أن يقتبسوا منه ما يفيد بلادهم في مجالي الحياة والادب • ولعل كتاب ــ خواطر مصرحة ــ الذي نشره محمد حسن عواد سنة ١٩٢٦ م ، هو أول انتاج أدبي محلي نرى فيه عنف النقد وجرأته وحريته ، وهي الصفات التي كانت غالبة على كتابات العقاد ورفاقه في هذه الفترة • ولم يكن نقد العواد مقتصرا على الادب ، بل كان منصبا في الدرجة الاولى على نقد الحياة الاجتماعية المحلية ، ومحاولة اصلاح عيوبها ومثالبها • ومع ذلك ، فان العواد فيما يبدو ، كان يطمع الى أن يحدث كتابه ضجة وأن يثير معارك لا تقل عن تلك التي أحدثها ــ الديوان ــ أو ــ الغربال ــ • ولعل الكاتب أراد أيضا أن يكون مؤلفه نقطة تحول في تاريخ الادب السعودي الحديث ، وربما كان الامر كذلك في نظر العواد ونظر الكثيرين من تلاميذه والمعجبين به •

ولقد ظهر أثر المهجريين والسوريين واضحا في كتيب أخر صدر في نفس الفترة التي صدر فيها كتاب العواد ، وهو الكتيب الذي جمع فيه المرحوم محمد سرور الصبان نماذج من انتاج الادباء المحليين ، شعرا ونثرا • فمنهم من عارض بدوي الجبل في ميميته : « لا تلمه اذا أحب الشآما » ، ومنهم من نسج على منوال ميخائيل نعيمة في قصيدته : ــ يانهر ــ ، وأعجب معظمهم بجبران فراحوا يدبجون القطع النثرية التي تنبض بالشعر والخيال •

ومن الجدير بالذكر أن التأثر المهجري لم يختف من الادب السعودي طوال فترة ما بين الحربين ، وان أخذت حدته تخف تدريجيا بتقدم الزمن ، ليفسح مكانا أوسع للادب المصري • وقد جمع أحمد السباعي بين رومانسية جبران وسخرية المازني والبشري وطه حسين • ولكنه في روايته ــ فكرة ــ التي نشرها عام ١٩٤٨ م ــ كان لايزال أقرب الى روح جبران في تمرده وهيامه بالحرية والحياة البدائية البسيطة • والسباعي يعترف بالاثر البالغ الذي تركه جبران في نفسيته وتفكيره اذ يقول : ــ استطاع ــ جبران ــ أن يستحوذ على مقدراتي في الحياة ، وأن يترك أثره في توجيهي ، ويعلمني كثيرا من شذوذه على القواعد العامة ، وما تعارف الناس عليه من أوضاع واصطلاحات وصاغني صياغة عاتية لاتقر المبادىء التي لايقرها عقل أو منطق ــ •

وبالاضافة الى هذا التيار الواضح في انتاج أدبائنا الرواد ، فلقد كان هناك تيار أخر ــ تيار غربي ، وصل اليهم عن طريق الترجمة او عن طريق قراءاتهم للاثار العربية المتأثرة بالثقافة الغربية • لقد عرفوا شكسبير وورد زوت وبيرون وشيلى وهازلت عن طريق خليل مطران والعقاد والمازني وعبد الرحمن شكري ، كما عرفواجوجول وموباسان وفلوبير وجوركي ودستوفسكي عن طريق محمد تيمور ومحمود تيمور وهيكل وطه حسين • عرفوا هؤلاء وكثيرا غير هؤلاء • ولكن معرفتهم بهم لم تكن على درجة

كبيرة من القوة أو العمق بل لا تعدو في معظم الاحيان أن تكون معرفة عابرة لا تتجاوز المعارضة أو ذكر الاسماء ، أو الاشارة العجلى الى الافكار والنظريات • فأساتذة أدبائنا كانوا في الحقيقة عربا ولم يكونوا أوربيين ــ أي أن تأثرهم بمدرسة المهجر ومدرسة الديوان ومدرسة ابولو ومدرسة طه حسين كان أكثر من تأثرهم بمـــــدارس الغرب ونظرياته •

ومع ذلك ، فان ما يحمد للرعيل الاول من أدبائنا حرصهم على تطميم أدبهم المحلي بالافكار والاتجاهـــات الغربية الجديدة ، على الرغم من جهل معظمهم باللغات الاجنبية التي مكنت لاشقائهم العرب أن يحتلوا مراكـز الاستاذية في هذا المضمار • ويبدو أن العواد كان من أوائل المتحمسين للحضارة الغربية ، المعجبين باثارها اعجابا شديدا مما جعل صديقه ابراهيم اشى ــ في مقدمته لكتاب ــ خواطر مصرحة ــ يلومه على تطرفه في هذا الاتجاه فيقول : « وهناك نظرة أخرى نحب أن نناقش الاستاذ ــ العواد ــ فيها وهو تغنيه بالغرب وولوعه بذكر عجائبه ، وتمجيده ودعاؤنا الى مضاهاته ، مما تكاد مقالاته لا تخلـــــــو منه ... »

وحقيقة الامر أن العواد لم يكن الوحيد بين أدبائنا الذين اتجهوا صوب الغرب معجبين بفلاسفته ومفكريـــه وأدبائه ، بل كان هناك رفاق له ممن تلمس في كتاباتهم هذا الاعجاب ، ونذكر منهم ، على سبيل المثال ، حسين سرحان وحمزة شحاته وعزيز ضياء ومحمد حسن فقي وسيف الدين عاشور • واذا كنا لن نستطيع في هذا البحث تتبع اثار الترجمة في انتاج أدبائنا ، فلا أقل من أن نشير الى الواضح منها ، وتتمثل اكثر ما تتمثل في معارضة الاثار الغربية ، أو اعادة صياغتها ، أو عرضها والتعليق عليها •

وقد كانت الطريقتان الاخيرتان أكثر الاتجاهات شيوعـا بين أدبائنا الذين كانوا ينحون نحو التجديد خلال هـــذه الفتـــرة •

ولابد أن نؤكد هنا أن استيحاء أدبائنا للنماذج الغربية لم يكن يهدف الى غاية محددة أو يسير على طريقة منهجية منظمة • فربما وصل الاثر المترجم الى الشاعر أو الاديب عن طريق الصدفة ، فقرأه وانفعل به ، وساقه ذلك الانفعال الى اعادة صياغته أو الكتابة عنه • نـــرى ذلك واضحا فيما فعله حسين سرحان ببعض ابيـــــات ملتون في ــ الفردوس المفقود ــ ، فقد عثر عليها ــ كما يذكر ــ معربة نثرا في أحد اعداد جريدة ــ السياســـة الاسبوعية ــ ، فأحب هو أن يترجمها شعرا من النص العربي المنثور ، ولم يكتف بهذا بل صدر ترجمته بنبذة عن حياة ملتون ومكانته الشعرية ويبدو أن الصدفة وحدها هي التي ساقت السرحان مرة أخرى الى شاعر اخر وهو شكسبير اذ عثر على قصيدته ــ الموت ــ مترجمة نثرا في بعض قراءاته ، فاعجب بها وصاغها شعرا •

واذا كانت الصدفة قد تحكمت في عملية اختيـــار أدبائنا للنماذج الغربية ، فان هذا لا يعني بالضرورة انقطاع الصلة تماما بين الاديب وبين تلك النماذج • وهذا ينطبق على السرحان نفسه بصورة خاصة الذي نجد في ديوانه ــ أجنحة بلا ريش ــ ميلا واضحا الى التشاؤم والحزن • ولا شك ان اختياره لقصيدة ــ الموت ــ لشكسبير انمايعكس ذلك الميل المتأصل في نفسه منذ وقت مبكر ، وهو يعترف في بعض مقالاته بأنه ميال بطبيعته الى الحزن ، وان الحزن صفة غالبة عليه في اكثر أشعار الشباب ــ مثل العواد والاشى والفقى ــ من جيل ما بين الحربين • فنحن نلمس في اثارهم جميعا تأثير الحركة الرومانسية العربية فـــي الشعر ، ولا سيما مدرسة ابولو وشعراء المهجر ، التي كانت متأثرة بدورها بالمنابع الاصلية للرومانسية في أوربا •

أما عرض الاثار الغربية المترجمة والتعليق عليها فقد كانت من الامور المألوفة في صحافتنا المحلية خلال هذه الفترة • ومن أطرف التعليقات التي كتبت عن تلك الاثار

ما ختم به محمد حسن فقى ملخصه لكتاب – الامير – لنيقولا ماكيافلى ، اذ خاطب المؤلف بهذه الكلمات : – نيقولا مكيافلى : ما أحد ذهنك وما أثقب بصرك وما أصوب حكمك ، ان لك عقل الرجل العبقري ، ولكن قلبك قلب حيوان غشوم فاتك .. – . وفي عرضه لرواية –رفائيل – للشاعر الفرنسي لا مرتين ينتقد الفقى مترجم الرواية ، احمد حسن الزيات ، فيقول انه على الرغم من جودة الترجمة الا ان الزيات قد بالغ في عنايته باللفظ مبالغة كادت – أن تخنق العواطف الثرة العميقة التي تنساب بين حفافي الرواية – . ولم يكتف أدباؤنا بعرض الاثارالغربية ونقدها ، بل أعجبوا كذلك بالاثار الشرقية التي تعكس روح الشرق وفلسفته ومثله وأبرزها اثار طاغور ومحمد اقبال .

● **القضايا النقدية :**

احتدمت المعارك النقدية بين أدبائنا في فترة ما بين الحربين حتى كادت تطغى على جزء كبير من انتاجهم النثري . ويرجع ذلك ، فيما يبدو ، الى روح النقد التي كانت مسيطرة على المناخ الداخلي للبلاد في ذلك العهد ، ابتداء بالثورة العربية سنة ١٩١٦ م ، وانتهاء بفتوحات عبد العزيز في سبيل توحيد البلاد ولم أجزائها المتناثرة . ومن ناحية أخرى ، فان أدباءنا قد تأثروا – كما أسلفنا – بالبيئات الادبية المجاورة ، ولا سيما مصر التي كانت تتميز بين الحربين بشدة المعارك النقدية واتساعهـا وحدتها .

ولكن النقد الادبي في مصر – على الرغم من حدته والتوائه احيانا – لم يخل من قضايا مهمة يدور حولها أما في بيئتنا الادبية فقد كان مقلدا ضائعا ، ليس له قضية أو وجهة معينة . ولعل أهم القضايا النقدية التي ثارت حولها المعارك في مصر هي قضية القديم والجديد – القديم كما يمثله الشعراء والكتاب الكلاسيكيون من أمثال شوقي وحافظ والمنفلوطي والرافعي ، والجديد من الادبـاء المتأثرين في ثقافتهم وأذواقهم ومقاييسهم النقدية بالثقافة الغربية .

ان قضية القديم والجديد لم تثر في بيئتنا الادبية ما يستحق الذكر اللهم الا اصواتا خافته ليست في مجموعها سوى انعكاس لما يدور في البيئات الادبية المجاورة . ومن أمثلة تلك الاصوات ما كتبه العواد في – خواطر مصرحة – عن البلاغة العربية ، اذ نراه يحمل على البلاغة القديمة التي تدور حول الموضوعات التقليدية كالغزل والنسيب ، ويحمل على من يمثلونها من الادباء المحليين ، ويقول مخاطبا الناشئة بهذه العبارات الحماسية الملتهبة .

« .. حطموا من خيالاتكم هياكل الاجلال لهـذه الاسماء ، انما عظموا أصحابها كشعراء أو كبلغاء ،وأحرقوا تلك الاوراق وامحوا تلك القصائد وهاتيك المقطوعـات المأخوذة من تراثهم ، وطهروا أفكاركم الصغيرة الحرة من تلك الامراض والسموم وتلك الجراثيم والميكروبـات والاوبئة . ثم ألا يمكن ولو مؤقتا أن تستبدلوا بقصائد الاشرم قصائد عمر عرب ، وبمقطوعات برادة وعبد الحق مقالات سعيد العامودي وجميل حسن ؟ » . الخ . والحقيقة أن العواد لم يكن ليعبر عن معركة نقدية حدثت فعلا في الحجاز بين القديم والجديد ، بـل صدى لما كـان يردده المهجريون بصورة خاصة عن البلاغة العربية ، سـواء في أفكاره ومعانيه ، أم في صياغة تلك الافكار والمعاني .ولقد ظل الشعراء التقليديون – الغزاوي وابن بليهـد وابن عثيمين وفؤاد شاكر الخ – يملأون الصحف بانتاجهم المتأثر بالشعر العربي القديم دون أن يدخلوا طرفا في النزاع الذي تخيله العواد وغيره من الشباب المتحمسين للجديد في تلك الفتـرة .

واذا ما استبعدنا قضية القديم والجديد ، وجدنا أن معظم ما تناوله النقد في بلادنا كان مرتكزا في الدرجـة الاولى على الخصومات الادبية . وأكثر تلك الخصومات

كانت بعيدة كل البعد عن روح النقد المنهجي الصحيح، فهي اما فضيحة لسرقة أدبية ، أو هجوم على الاثر المنتقد ، وربما وصل الامر بالناقد الى حد التجريح والاقذاع ٠

لم تكن السرقة الادبية بمستغربة ، ان حدثت ، في وقت كان أدبنا يمر فيه بمرحلة التكوين التي تحدثنا عنها ، وكان زمام الحركة الادبية التجديدية في أيدي شباب يتطلعون الى الشهرة السريعة عن طريق الادب والصحافة ٠ على أن الذين مارسوا النقد في ذلك العهد لم يفرقوا في كثير من الاحيان بين التأثر والسرقة ، بل مضوا يهاجمون لهذه أو لتلك ٠ ولا أعتقد أن الجرجاني ، رحمه الله ، كان يقصد بلفظ « السرقة » مجرد « الانتحال » والا لما قال عبارته المشهورة في « الوساطة » : « والسرق ـ أيدك الله ـ داء قديم وعيب عتيق ، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الاخر ويستمد من قريحته ، ويعتمد على معناه ولفظه ، ومن هنا ، فاننا لا نستطيع اليوم أو نلوم العواد ، مثلا ، ان تأثر في مطلع حياته بميخائيل نعيمة ، أو نلوم السباعي ان تأثر بجبران، أو نلوم السرحان ان تأثر بالمازني أو نلوم العطار ان تأثر بالعقاد ، أو نلوم ضياء ان تأثر بطه حسين وهكذا ٠

أما السرق بمعنى انتحال الاثر الادبي فأمر مرذول لا يقره أحد في القديم أو الحديث ٠ ولقد استطاع بعض كتابنا أن يكتشفوا جانبا من هذه السرقات وأن يشهروا بأصحابها ، كما فعل أحمد عبد الغفور عطار في مقال له بعنوان : « لصوص الادب أو مجانين الشهرة » اذ بين فيه أن احدى مقالات ـ صوت الحجاز ـ منقولة نقلا حرفيا عن مجلة ـ الصباح ـ المصرية ٠ وقد أتى العطار بنصوص من المقالتين تثبت مواضع السرقة ، كما أشار الى أن الكاتب المحلي لم يكتف بانتحال المقالات ونشرها في الصحف المحلية، بل انه كان يفعل ذلك بالنسبة للصحف والمجلات المصرية ، فقد سرق مقالا ونشره بعنوان : ـ يا بلادي ـ في مجلة ـ الرابطة العلمية ـ بمصر ، كما نشر مقالا آخر بعنوان : ـ الفروق الطبيعية بين المرأة والرجل ـ في جريدة ـ الاهرام ـ ثم في مجلة ـ الشباب ـ ، وهو مسروق ـ كما يقول العطار ـ من مقال لاحمد أمين في مجلة ـ الهلال ـ ٠

ومما تجدر الاشارة اليه أن العطار نفسه لم ينج من مثل هذا الاتهام ، عندما نشر باكورة انتاجه الادبي في شكل كتيب سماه ـ كتابي ـ سنة ١٩٣٦م ٠ لقد اتهمه سيف الدين عاشور بانتحال ترجمة الشاعر الالماني شيلر من مقالة لمحمد عبد الله عنان في مجلة ـ الرسالة ـ ، كما أن العطار كما يزعم عاشور ، قد أخذ ما كتبه عن المتنبي من كتابات العقاد والمازني في ـ مطالعات في الادب والحياة ـ و ـ حصاد الهشيم ـ ٠ وقد أتى الناقد بجملة من النصوص قارن فيها بين ما كتبه العطار وما كتبه كل من المازني والعقاد ٠

ويبدو أن السرقات الادبية لم تكن نادرة الحدوث في صحفنا المحلية أثناء هذه الحقبة ، مما دعا حمزة شحاته ، في احدى مقالاته الساخرة ، الى القول بأنه لن يقلد أحدا ولن يسرق بعد أن عمت الفوضى وانتشر التقليد وأصبح أكثر الادباء لصوصا ، وقد أيد محمد حسن كتبي ما قاله حمزة شحاته عن ظاهرة الفوضى والتقليد واللصوصية في أدبنا المحلي ، كما ادعى أحدهم بأن لديه من الادلة ما يثبت أن كثيرا مما ينشر في صحف الحجاز كان مسروقا وطالب المسؤولين عن الصحافة بأن يضعوا حدا لتلك الفوضى وكأن جريدة ـ صوت الحجاز ـ قد استجابت بالفعل لهذا النداء عندما أصدرت البيان التالي غب اكتشافها لاحدى السرقات:

« ٠٠٠ اننا لنأسف أشد الاسف على وقوع ذلك ، مما يجعلنا ضعيفي الثقة الادبية بمكانة أدبنا التي بدأنا نتوقع لها سمعة طيبة تشرف الادب الحجازي وترفع من مقامه في البلدان الاخرى وبين الاوساط الادبية ، ونتمنى أن تكون هذه الجناية آخر المآسي المحزنة ٠٠ » ٠

ومهما كان موقف المتشائمين والمشفقين على مستقبل أدبنا في ذلك العهد ، فالذي لا شك فيه أن السرقات الادبية لم تكن من الخطورة بحيث تنفي عن روادنا الادباء كل أصالة وابتكار ، بل اننا لا نعرف من أدبائنا الجادين من يمكن وصمه بهذه التهمة ٠ وقد كانت السرقات الادبية منتشرة بين شداة الادب في مصر بين الحربين ٠ شكا منها طه حسين عندما كان رئيسا لتحرير بعض الجرائد والمجلات الادبية ، وأرجعها الى عبث جماعة من الشبان كانوا « يعمدون الى مثل هذا في شيء من الفكاهة وحب العبث

يريدون أن يضحكوا من الصحف ومن رؤساء التحرير فيدخلون عليهم فصولا لا يضيفونها لانفسهم مع أنهم ليسوا منها في شيء ، يقصدون الى ذلك عمدا ، حتى اذا تم لهم ما أرادوا ، تندروا بالصحيفة وبرئيس تحريرها . قساة لا يعرفون رحمة ولا اشفاقا » .. ولا ريب أن هذه حالة تنطبق على فئة من أدبائنا بين الحربين ، كما تنطبق على فئة ثانية منهم ما قاله طه حسين كذلك ان هناك «جماعة من الناس يتكلفون الادب وليسوا منه في شيء ، أو يصطنعون الادب وهم ليسوا أدباء ، ولكنهم لا يحرصون على النزاهة الدقيقة في صناعة تحتاج الى النزاهة أشد الاحتياج » .

والى جانب السرقات الادبية التي أضاعت قدرا كبيرا من جهد أدبائنا في تتبعها والتحري عنها ، فلقد ضاع قدر آخر من جهودهم في خصومات شخصية لم يحظ منها النقد الا بالجزء اليسير . اختصم عبد المقصود والسباعي حول مقالات كانت تنشر لهما في جريدتي ــ أم القرى ــ و ــ صوت الحجاز ــ ، واشتبك العواد مع الانصاري حول قصتين للأخير : ــ التوأمان ــ و ــ مرهم التناسي ــ ، وقام العواد كذلك بهجوم كاسح على السرحان لانقضاض الاخير على مقدمة لكتاب العطار : ــ كتابي ــ ، وتصدى لكتاب العطار نفسه سيف الدين عاشور في سلسلة من المقالات العنيفة أشرنا اليها فيما سبق ، وشن « منسف » غارة شعواء على محمد سعيد عبد المقصود . وقام كثير غير هؤلاء بتبادل الاتهامات ، وتحلق القوم حول المتناظرين المتنافسين يشجعون هذا أو يحرضون ذاك ، وقد يخوض بعضهم المعركة للدفاع عن أحد المتنافسين لصداقة تربطهما أو لمجرد انتمائهما الى مدينة واحدة . وربما توسط بعضهم لاصلاح ذات البين و ــ تصفية ــ القلوب ، كما فعل الشيخ عبد الظاهر أبو السمح ــ امام المسجد الحرام ــ فقد نشر مقالة بعنوان « بين الغربال والمنسف ــ الصلح خير » دعا فيها الى الصلح بين ــ الغربال ــ و ــ المنسف ــ ، واستشهد بنصوص دينية على وجوب ذلك ، كما دعا مدير جريدة ــ صوت الحجاز ــ الى الامتناع عن نشر ما يثير الاحن والحزازات .

واذا ما ضربنا صفحا عن الجانب الشخصي في هذه الخصومات ، وحاولنا أن نستخلص منها ما يفيد النقد الادبي في جانبه البناء ، وجدنا بالفعل جملة من الاراء والافكار المتفرقة التي يمكن اضافتها هنا الى موضوع التجديد في الادب السعودي خلال هذه الحقبة . ومن هذه الاراء والافكار حديثهم عن العلاقة بين علم الجمال والفكر ، وحديثهم عن العلاقة بين الادب والحياة ، وفهمهم للصلة التي ينبغي أن تكون بين الاديب والمجتمع ، بل ودعوة بعضهم الى تقريب الشقة بين الاديب والجمهور .

ومما يلفت النظر حقا أن كثيرا من كتابنا كانوا ، خلال فترة البحث ، على وعي كامل بأهمية الارتباط بالبيئة والواقع الاجتماعي اللذين يعيش فيهما الاديب . يقول حسين سرحان ، في مقالة له بعنوان : « صلة الادب بالحياة » ، ان الادب لا بد له من الارتباط بالحياة ، وانه ينبغي على شعراء البلاد الالتفات الى الطبيعة ــ الكاسية والعارية ــ من جبال الحجاز ومفاوز ونجد وغيرها ، حتى يكون لشعرهم قيمة ومعنى . ويستشهد السرحان بالشعر الجاهلي وصدقه في وصف بيئة الجزيرة وحياة الانسان العربي في ذلك العهد ، وهو يحمل من ناحية أخرى على شعر المناسبات وعلى سطحية الادب المبهرج بالالفاظ الرنانة . ويقول عزيز ضياء ان غاية الادب ينبغي أن تكون « اصلاح الهيئة الاجتماعية اصلاحا يشمل العاطفة والعقل فيتولاهما بالصقل والتهذيب ، ويدفع بهما في سبيل ممهدة الى الكمال المطلق المنشود ، ويحاول أن يقضي على الغرائز الغشيمة المتمركزة في طبيعة الانسان الحيوانية ويسمو بها في أجواء الفضيلة في حدودها القصوى ليتمكن الانسان من انسانيته على وجهها الصحيح » ، أما محمد حسن كتبي فيدعو الادباء الى استحياء طبيعة بلادهم واستلهام تعاليم دينهم وتصوير ملامح بيئتهم ، كما يريد من الادب أو يتسع ليشمل التعبير عن النواحي الاقتصادية للمجتمع ولا سيما تصوير الطبقات الفقيرة .

هذه بعض الاراء والافكار التي كانت تخوض فيها أقلام المجددين من أدبائنا بين الحربين . ونحن لن نبحث هنا عن مدى أصالة هذه الاراء والافكار ، ولكننا نود أن نؤكد في ختام هذا البحث أن أدبنا كان يمر بين الحربين بمرحلة تاريخية جديدة لم يعهدها من قبل ، وهي مرحلة اليقظة والبناء والتفاعل مع الحياة . ومهما كانت الاصول والمنابع التي أمدت أدباءنا بالطريف من صور التفكير والتعبير ، فقد كانوا وسيظلون رواد هذه البلاد في بعثها الادبي وتجديدها الثقافي والفكري ، بعد أن بهرهم عبد العزيز ، رحمه الله ، بحنكته السياسية التي جمعت البلاد ووحدت الامة . وتلك أصالة سياسية لا ريب فيها .

د. منصور ابراهيم الحازمي

التوازن ..

د. حسن ابوركبة



ان أي شيء لا ينتظم شأنه وتنسجم أموره الا بالتوازن ، حتى الارض التي نعيش عليها ‥ تسبح في الفضاء بقوة التجاذب المتعادل ‥ وقد علمنا الله في كمال خلقه قيمة التوازن ، وأرشدنا جلت قدرته على أنه اذا اختل التوازن ساءت الحالة ‥ فلا تصح النفس الانسانية الا اذا توازنت كل القوى فيها ‥ فالمرض لا ينشأ الا عن اختلال التوازن بين أعضاء الجسد الواحد ‥ وفقر الدم والتخمة انما ينشآن من عدم التوازن في التغذية ‥ والافلاس والضياع يكونان نتيجة حتمية لعدم التوازن بين الايراد والانفاق ‥

والتوازن بين العقل والعاطفة من الامور البالغة الاهمية ، لانها تنعكس على المجتمع ، وتؤثر على الانتاج والاداء فيه ‥ ذلك أن من الافراد من يغلب العاطفة على العقل ، أو العكس من ذلك ‥ فالذين يغلبون العاطفة على العقل يختل لديهم التوازن فيغضبون لاتفه الامور ، وينفعلون من أبسط الاحداث ، ويتجهون للاشياء الصغيرة يفكرون فيها ، ليتركوا المعضلات الكبيرة دون حل ‥

كل ذلك يحول دون العمل المنتج حيث يؤدي الى التوتر والقلق وتبدد الطاقات وتقلب الفعل الى انفعال ‥ أما الذين يغلبون العقل على العاطفة بشكل ملحوظ فيختل لديهم التوازن أيضا حيث يتسم سلوكهم بالجفاف ، ونظرتهم بالجمود واحساسهم بالتحجر ، وخطواتهم بالالية ‥

ولا يقتصر تحقيق التوازن على الافراد ، بل يمتد الى المجتمع ككل ‥ فلكي تسير عجلة المجتمع لا بد من تحقيق التوازن بين الانتاج والاستهلاك والا ساءت الحالة الاقتصادية ‥ وليس ذلك فحسب ‥ بل لا بد من أن يتحقق التوازن بين كل جوانب الحياة في التوازن سيؤدي الى نتائج سيئة للغاية ‥

وتتأرجح الحضارة اليوم في اتجاهين متطرفين :

الاتجاه الاول ـ هو الاهتمام بالجانب المادي والذي يتجلى في كل المظاهر الحديثة من صناعات ومبتكرات وسيارات وطائرات وقطارات ‥

والاتجاه الثاني ـ الذي يتمثل في القيم والمثل والاخلاق ‥ وهو الاتجاه الروحي ‥ ولا بد من احداث التوازن بين الجانبين الروحي والمادي والا كان الخلل وسوء الحالة ‥ فاذا تحكم الجانب المادي ، فان المدنية لا تنمو الا في الالات والمباني وبالتالي ينمو معها الصراع والقلق وتصبح المادة هي الشغل الشاغل للانسان فيفكك المجتمع وتنتشر الفردية والانانية وتصبح المادة هي الغاية التي يسعى اليها كل أفراد المجتمع ويتصارعون في سبيل الحصول عليها ‥ واذا ساد الجانب الروحي فقط ، فان الحركة تتحول الى جمود ‥ ولا تلبث الضرورات الحيوية في جسم الانسان أن تؤدي الى رد فعل عنيف تنعكس آثاره على المجتمع ‥

والاتجاه الوسط هو الذي لا يسرف في المادة ولا يفرط في الروح ‥ فلا افراط ولا تفريط ‥

وهذه هي تعليمات ديننا الحنيف الذي يدعو الى البقاء ، وحتى لا تتحول المدنية الى غابة من البشر ، لا يحكمهم مثل أو قيم ‥

الثقافة بالمملكة وكيف ننهض بها...

د. عباس صالح طاشكندي



حين يود باحث ما دراسة البنية الثقافية العامة لمجتمع من المجتمعات أو لدولة من الدول ، فان المنهج العلمي للبحث يضطره ـ بادىء ذي بدء ـ الى تكوين قاعدة أساسية لدراسته تتناول استعراض جميع العناصر التي تشكل الاساس لبنية ذلك المجتمع • تلك العناصر هي ما تجتمع عادة تحت ألوية الظواهر التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والثقافية ، وهي التي تكون في مجموعها الصورة الحقيقية للمجتمع ، ومن خلالها ـ كقاعدة راسخة ـ يمكن اصدار الاحكام العادلة على أي مظهر من مظاهر المجتمع •

والقضايا الثقافية والفكرية لبلد من البلدان حين تستعرض مجتمعة أو متفرقة ، فان الباحث فيها قد لا يكتفي ـ عند اصدار أحكامه عليها ـ بدراسة بعض عناصرها ، بل يقوم بتحليل كل العناصر التي تكونها ، ويلم بجوانبها المختلفة ، ويستعرض بالوصف حينا وبالتحليل حينا آخر كل ما يتعلق بجوانب الحياة الثقافية الفكرية كشموله لدراسة المتاحف والمكتبات ودور الاثار والمسارح والمعارض والنوادي الثقافية ومستوى الفنون عامة ومجالات الادب والترجمة وحركة التأليف والنشر وما الى ذلك • وهذه في مجموعها هي التي تكون الظواهر الثقافية والفكرية لاي مجتمع . وهي في مجموعها تشكل البنية الثقافية والفكرية •

ولكي لا تصبح الاحكام حول مستويات الثقافة والفكر لبعض الامم جائرة غير عادلة ، فان البحث يتطلب أن يشمل التحليل جميع العناصر التي تكون البنية الثقافية ، وأن تؤخذ في الاعتبار جميع الظواهر التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية للبلاد •

والدارس للبنية الثقافية الفكرية المعاصرة في المملكة العربية السعودية يجد أن هناك كثيرا من عناصر النجاح قد تحققت لها من خلال الظواهر الاساسية للمجتمع السعودي ، فمن الناحية التاريخية والحضارية فان جزيرة العرب قد اقترن وجودها بحضارات متعاقبة أثرت في كثير من المناطق المجاورة سواء في فترات ما قبل الاسلام أو ما بعده ، وحين شع نور الاسلام وضاء من هذه البلاد ،فان الثقافة الاسلامية كانت النتاج التي تفاعل في ظلالها العلماء الافذاذ من رجال الفكر الاسلامي • وكان أن تكون في أرجاء العالم الاسلامي أدب اسلامي أثر في جميع مظاهر الحياة • وظل حتى وقتنا الحاضر الاساس الفكري الاصيل للثقافة الاسلامية المعاصرة•

أما من الناحية الاجتماعية بجميع مظاهرها المختلفة من عادات وتراث وتقاليد ، فان لهذه البلاد ما يميزها عن غيرها من خصائص ، ذلك أن العلاقات فيما بين الافراد أو الجماعات قد استمدت جذورها من الشريعة الاسلامية ومن تعاليم القرآن الكريم الذي حدد بتفصيل كبير سائر الحدود• وبشكل يندر أن تجد له مثيلا في سائر الاديان أو التشريعات البشـــرية •

وأما من الناحية الاقتصادية ، فان النعم والثروات التي أنعم الله بها على هذه البلاد لتفوق كل تصور وانها بجانب وفائها لحاجات شعب المملكة وطموحه ، فانها تملك المقدرة وتعمل على الوفاء بالتزاماتها نحـــو دول العالم الاسلامي والعربي وما الخطط الطموحة والانفاق المتزايد على المشاريع الحيوية الا دليل على الاستقرار الاقتصادي•

ولعل المقدرة الاقتصادية هي من أهم العوامل التي تؤثر على البنية الثقافية• اذ بتوفر الامكانيات المادية يمكن تذليل كثير من العقبات التي تعترض النمو الثقافي والفكري في البلاد •

أما من الناحية التعليمية ، فان ما نحن عليه حاليا من التوسع المستمر في التعليم بمستوياته ومراحله المختلفة وظهور الجامعات والمؤسسات العلمية المتخصصة في معظـــم مدن المملكة ليعتبر دليلا على النهضة العلمية الشاملة التي تعيشها البلاد ، وهي التي تؤثر تأثيرا كبيرا على النمـــو الثقافي والفكري ، اذ من خلالها تضمحل نسبة الامية ، وتهيىء القوى البشرية المؤهلة في مختلف المجالات ، ويصبح في مقدور الدولة انفاذ برامج التخطيط الموضوعة •

أما من الناحية الثقافية ، وهي موضوع هذا البحث ، فانه على الرغم من توفر جميع عوامل نجاحها تاريخيـــا واجتماعيا واقتصاديا وتعليميا فانها لا زالت تتسم بالبطء وعدم الوضوح ، ذلك أن هناك عددا مـــن الامور لا زالت موضع جدال يظهر بين حين وآخر ، وكلها تبحث بالحاح عن تصور عام يجب أن يأخذ طريقه • ومن هذه الامور :

● أولا ــ هوية الثقافة :

وهي ما طرحه الاخ الدكتور أحمد الضبيب منذ أكثر من عام ، وكان موضوعه يدور حول ضرورة ايجاد جهـــة تتولى مسؤولية الثقافة في البلاد ، وكان الهدف وضع تصور للمسؤوليات الثقافية والفكرية التي يجب أن تتبلور على شكل هيئات للكتاب والتأليف والترجمة والنشر والفنون والمسرح والمتاحف والمكتبات تتبع وزارة أو وكالة للثقافة • وكان رد معالي وزير الاعلام الدكتور محمد عبده يماني يوضح آنذاك بأن الثقافة هي أحد الاجنحة في وزارة الاعلام، وأن الامر محل دراسة ستظهر معالمها فيما بعد •

ولعل البحث عن هذه الهوية لا زال قائما حتى الان اذ على سبيل المثال فان المكتبات العامة لا زالت مسؤولية أكثر من أي جهة ، كما لم يتم حتى الان وضع خطة عامة للمكتبات العامة أو المتاحف أو دور الفنون بحيث تحدد أهدافها كمراكز ثقافية تؤدي دورها في النمو الثقـــافي والفكري للبلاد •

أما الاندية الادبية وجمعيات الفنون التي تدعمها الادارة العامة لرعاية الشباب فانها لا زالت في مراحـــل

نموها الاولى ، اللهم الا بعض الاعمال الادبية التي تخرج بجهود مضنية وبتكاليف ضئيلة ، بالاضافة الى برامج المحاضرات التي تشكو من قلة روادها •

● **ثانيا ـ قضية التأليف والترجمة والنشر :**

وهي من أهم الامور التي يجب أن تنال عناية خاصة، ذلك أن الكتاب السعودي لا زال حتى الان مجهودا فرديا تنقصه الكثير من عوامل النجاح ، وكثيرا ما يقع المؤلف فريسة للطابع والموزع وجيلا لا يقرأ ولا يهمه اقتناء الكتاب •

وعلى الرغم من أن الدولة تسعى الى تشجيع حركة التأليف ، فتقدم العون المادي من خلال شرائها لعدد كبير من النسخ ، الا أن المشكلة الاساسية تتركز في أن رأس المال السعودي الخاص لم يساهم حتى الان في استثمار أمواله في المشاريع الثقافية كدور النشر والمطابع التي تتولى نشر المؤلفات ذلك أن كثيرا من رجال الفكر لا يجدون من يمول نشر مؤلفاتهم ، وبالي تظل حبيسة في أماكنها لا ترى النور•

وقد يكون لرأس المال السعودي الخاص وجهات نظر في هذا الشأن ذلك أن الربح في هذا المجال محدودا كما أن التوزيع بالغ التكاليف ،فضلا عن أن نظام المطبوعات القديم لم يحقق لهم الضمانات الكافية •

ويقيني أن الدولة لن تقصر في دعم مشاريع دور النشر ، وأن نظام المطبوعات الجديد ونظام حقوق النشر والتأليف لا بد وأن يجد المخارج لتلك المشاكل ، وتستغل السيولةالنقدية فيما بعد لتوجيه الاهتمام نحو نشر المؤلفات السعودية وتوزيعها في الداخل والخارج •

واذا أمكن تحقيق ذلك فسيتوالى نشر المؤلفات السعودية في جميع المجالات وخاصة فيالمجالات العلمية والتي يتحرق كثير من أعضاء هيئات التدريس ورجال الفكر في الجامعات السعودية وغيرهما لنشرها •

● **ثالثا ـ قضية الترجمة ونشر التراث المخطوط :**

وهي من أهم الدعامات فيالحركة الفكرية والثقافية ، اذ أن الدور الذي تعيشه المملكة حاليا يتطلب توفير كمية هائلة من المعلومات المتجددة لابنائها الذين ينتهلون من المراكز العلمية المختلفة التي تنتشر في معظم أنحاء البلاد وترجمة بعض الاعمال العلمية لا بد وأن يكون عملية مستمرة حتى تتحقق للطالب فرصة التعرف لما ينشر في العالم في مختلف حقول المعرفة • كما أن المئات من الرسائل العلمية التي تقدم بها أعضاء هيئات التدريس في الجامعات السعودية لا بد وأن تترجم وتنشر باعتبارها بحوثا علمية تثري الحركة الفكرية في البلاد لما تحتويه من معلومات متجددة •

أما كتب التراث المخطوط والتي تزخر مكتباتنا التاريخية بالالاف منها فيجب أن تحقق وتنشر ،وتقام حولها الدراسات المختلفة بحيث تثري حياتنا الثقافية ببحوث حية تتناول الجوانب الحضارية في الثقافة الاسلامية ، وسوف يحقق هذا الدور تطلعات الملايين من رجال الفكر في العالم أجمع •

● **رابعا ـ تجارة الكتب :**

وهي أحد الدعامات الاساسية للحركة الثقافية في البلاد ، وهي التي يجب أن تدعم دعما ماديا وأدبيا يضمن لها النماء والنجاح • وان معظم تجار الكتب قد أخذوا في تغيير مسار أعمالهم نحو الاتجار في الادوات الكتابية بدلا من الاستمرار في تجارة الكتب التي اكتسبوا فيها خبرات طويلة ولعل السبب المباشر هو مبلغ التعقيد الذي يتعرض له تاجر الكتب في فسح كتبه • فلو سهلت اجراءات تخليص الكتب العلمية البحتة ، وأمكن تقديم القوائم المسبقة لاستمر كثير من أولئك التجار في الاشتغال بتجارة الكتب والاسهام في انماء الحركة الثقافية العلمية في البلاد •

هذه بعض من الامور التي قد تتيح الفرصة للنهوض بالحياة الثقافية في المملكة حتىتكون هي نفس المستوى الذي نعيشه من النمو في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والله من وراء القصد •

محمد كامل الخجا

موقفنا من الحضارة ضمن الإطار العالمي

ان المسألة التي أشرحها اليوم في الصميم هي من حياتنا ·· وهي المسألة التي تفرض نفسها في كل ناحية من نواحي نهضتنا وتطورنا ··

لقد أفاقت الامة العربية بعد اغفاءة طويلة فوجدت نفسها قد أحيط بها · وضربت حولها السدود ووضعت في أيديها القيود ·· واذا أرضها مقسمة الى أقطار ودول ، تفصلها الفواصل والحدود ، وتراثها الثمين مغشى عليه بالاطمار والغبار ···

مررت بالمسجد المحزون أسالــه
هل في المصلى أم المحراب مروان
فلا الاذان أذان في منارتـــــه
اذا تعالـــــى ولا الآذان آذان

فكانت انطلاقات للدفاع عن الـــذات عــن الارض والنفس والمال والتراث والعقيدة واللغة والثقافة ·· انطلاقات متلاحقة للتحرر من الاجنبي الواغل ·· من استعماره واحتلاله ·· نفوذه وسلطانه ·· وكــان تطلع وجهه للاتصال اتصال الارض بالارض والحاضر بالماضي ·· اتصال في المكان والزمان لوحدة الارض ·· ووحدة الشخصية عبر الزمان · والآن وقد قطعنا في بناء كياننا أشواطا وفي السير نحو بعث تراثنا الاسلامي مراحل سواء من الوجهة المعنوية ·· في اشاعة الفكرة وبث الوعـــي وتعميقه في النفس والوجدان ·· تواجهنا أسئلة كثيرة ترتسم أمامنا وتقطع علينا الطريق وتلح في طلـــب الجواب :

هل بناء كياننا وبعث تراثنا غاية نقف عندها هي قصارى الجهد ومنتهى الامل ؟ ·· أم أن وراء ذلك أهدافا بعيدة وغايات أخرى ؟ ··

نحن نسعى بجهدنا لنلحق بركب الحضارة الحديثـــة وتدارك ماكنا فيه من تخلف ·· فهل منتهى أملنا أن نكون كاحدى الدول المتمدنة المعروفة ؟ ·· وهل يمكن ذلك ؟ ·

تذكرني هذه المسألة ·· بمسألة رياضية كانت تطرح علينا حين كنا في المرحلة الثانوية ·· طائرة تطير فـي الجو والمسافة بيننا وبينها في لحظة ما معروفة · يراد اصابتها بقذيفة ·· فاذا حسبنا سرعة القذيفة والزمن الذي نحتاجه لقطع المسافة الى النقطة التي كانت فيها الطائرة في لحظة ما من الزمن ـ وجدنا أنفسنا أمـــام

مشكلة وهي أن الطائرة ليست ثابتة بل تكون قد قطعت مسافة جديدة أثناء اختراق القذيفة ..

ولذلك يجب أن نحسب الامرين معا .. سير الطائرة في اتجاه أفقي متباعد .. سرعة معينة .. وانطلاق القذيفة بسرعة معينة باتجاه صاعد متقدم في اتجاه بالطائرة .. والتقاؤهما في نقطة من الفضاء وفي زمن معين ..

ان الدول التي نحتذيها ونتخذها هدفا للوصول ليست ثابتة راكدة بل متحركة .. تغذ السير وسرعتها متزايدة أيضا .. فاذا سرنا بسرعتها لم ندركها .

فالجسمان المتحركان في اتجاه واحد لا يلحق الثاني منهما الاول الا اذا كانت السرعة متزايدة غير ثابتة .. هذا اذا لم يتغير اتجاه السير في هذه الحضارة ..

ان من الخطأ بل العبث أن نبحث عن أنفسنا ونهضتنا وحركتنا بنظرة منعزلة . فنحن في مجموعة كبيرة تتحرك كلها .. ولا بد أن نعرف موقعنا منها وان نرسم حركتنا ونخطط لها ضمن الاطار العالمي والتخطيط العام .

فما هو موقعنا من العالم ؟ ... ما هو موقعنا من الحضارة العالمية ..؟ أين نضع أنفسنا ؟ وما هي امكانياتنا لذلك ؟؟ .. هل تقتصر القضية على حساب المسافة والسرعة في نظرة كمية ؟ .. أم أن ثمة عامل الكيفية والنوع ..؟ هل اللحاق بالركب أو السبق أمر عادي صرف ؟ .. أم أن ثمة وجها اخر للمسالة ؟ ..

فقد يكون من الممكن أن نغير الطريق ونخالف في الاتجاه والهدف اذا وجدنا الرائد المتقدم أمامنا قد ضل الطريق وأخطأ الوجهة وانحرف عن الهدف ..

أليس في الحضارة الحديثة ثغرة لم تسد يمكن أن نتقدم لسدها .. ؟ وجانب مهدوم لم يلتفت أحد الى بنائه يمكن ان نتقدم نحن لبنائه ..؟.. هل عندنا ما نقدمه لهذه الحضارة مما قد ينقصها وهي بحاجة اليه .. ؟ هل في اتجاه هذه الحضارة وخط مسيرها انحراف يمكن أن نصححه !؟ ولا عبرة حينئذ بالسبق أو السرعة فالسابق المخطىء والمسرع المنحرف لا بد له من الوقوف أو الرجوع ليصحح الخطأ ويقيم العوج ويستكمل النقص . لابدللاجابة على هذه الاسئلة من معرفة هدفنا البعيد وموقعنا من الحضارة في مصيرها المتحرك وخط اتجاهنا ونوع الحضارة التي نستهدفها .. ومكاننا من التخطيط العالمي ودورنا المقبل والممكن في تكوين الحضارة ورسالتنا فيها .. ان لكل ذلك أثره العميق في أدق التفصيلات وأصغر الجزئيات من تكويننا الحاضر .. ونهضتنا التي نبنيها فان من الصعب ، بل من المتعذر تغيير قطعة صغيرة في أساس البناء بعد أن يقوم البناء بجدرانه وسقوفه وان كان انحرافا صغيرا لا يدرك في اول المسير ورأس الزاوية ينتهي الى انحراف كبير بعد قطع أشواط منه في مفترق الخطين..

وكثير من الناس بل من المثقفين يغفلون عن هذه النظرة الحركية المصيرية التي يتعلق عليها مصيرناومستقبلنا ومستقبل الانسانية الى حد كبير .. والاجابة على هذه الاسئلة تقتضينا معرفة مسير الحضارة الحديثة وتركيبها .. مكاسبها ومغارمها ، الحاضرة والمرتقبة .. كما تقتضينا معرفة امكانياتنا المادية والمعنوية، الظاهرة والكامنة وطريقة تفاعل الامة العربية مع الحضارة في الماضي ... والحاضر .. والمستقبل ..

ان الحضارة الحديثة التي لايزال الغرب يحمل مشعلها ليست من صنعه وحده ، بل هي نتيجة تطور حضارات الانسان منذ بدء الخليقة .. تناقلتها الاجيال وتناوبت عليها الشعوب وكان آخرها الحضارة اليونانية الرومانية والحضارة العربية الاسلامية التي وقفت منذ سبعة قرون وأسلمت قسما كبيرا هاما من تراثها ونتاجها الى اوروبا فكان فيها ما سمي عصر النهضة .

ان في الحضارة الحديثة قسما لا شك أنه من مكاسب البشرية المختلفة ذلك هو انطلاق العقل في افاق الكون والطبيعة ينقب ويكتشف ويزيد دائرة العلوم ويكشف

الغطاء عن نواميس الكون وقوانين الطبيعة كما تجري في واقعها • ان هذا القسم من الحضارة الحديثة اذا جرد مما التصق به من نظريات افتراضية واراء تخمينية وهي كثيرة ايضا في هذا المجال هو القسم الصلب المتين النافع من هذه الحضارة وهو خلاصة جهود البشرية خلال عصور متطاولة ••ومن مكاسب هذه الحضارة أيضا ما نتج عن معرفة الكون من قدرة على تسخيره واستثماره لمنفعة الانسان ، وما تولد عنه من اختراع وابداع كاستثمار الطاقـــات المتنوعة من حرارة وكهرباء وحركة وضوء واستثمار المادة تحليلا وتركيبا •• لقد أدى ذلك الى توسع الصناعـــة وارتقائها واختراع الالة التي تصنع ما كان يعجز عن مثله الانسان كما وكيفا •• وتنقل الانسان وأخباره وأخبار الكون • ولكن هذا القسم من الحضارة ذو وجهين : فهو نافع ومفيد حين يستخدم لتحسين المعاش والترفيه عـــن الانسان وزيادة لذته وتنويعها وتوسيع معارفه وسرعة وصوله الى أهدافه • وضار حين يستعمل لاذلال البشـر واضعافهم واستعبادهم وقتلهم والاعتداء عليهم ، او حين يصرف جهودهم كلها الى نوع خاص من ملاذ الحياة الجسمية والى جمع المال وكثرة الانتاج • وحين يقترن به التنافس والصراع والتكاثر والتفاخر سواء بين الافراد أو الشعوب او الجماعات ••

وأما ما كان من انتشار الوعي الانساني وارتقاء التنظيم الاجتماعي والسياسي فلم يكن مستقرا على حال ولا مستجمعا عناصر الكمال ولا عاما في البشر والشعوب •

فما أكثر ما يحصل من أزمات ونكسات فتنقلب الحرية الاقتصادية الى تحكم لاصحاب رؤوس الاموال ، والحرية السياسية الى تحكم الحزب الواحد الحاكم باسم الجماهير والشعب •• وما أكثر ما يكون تحرير الشعوب عنوانـا كاذبا لعمل هو الاستيلاء عليها وحكمها بالقسر على غير ما تريد •• ذلك كله واقع في هذه الحضارة الحديثة ••

ان الخطأ كل الخطأ في الاعتقاد ان هذه الحضارة هي خلاصة نتاج الانسانية الصالح وجماع مغانمها خـــلال عصور تاريخها الطويل •

ان هذه الحضارة نتيجة تفاعل مزيج من الحضارات السابقة مع شعوب اوروبا • وكذلك شأن كل حضارة ، فهي ليست فكرة مجردة أو ثمرة منفصلة بل هي نتـــاج تفاعل تلك الثمرة مع شعوب بعينها تنعكس عليهـــــا خصائصها ، محاسنها وعيوبها ، أخلاقها ونفسيتها ••• الى جانب عنصر التراث الحضاري الانساني • ان لكل حضارة ظروفها التاريخية التي لا تنفصل عنها • والحضارة الحديثة ليست خيرا محضا ، ولا شرا محضا ، وليست هي التراث الانساني المصفى كما يظن بعض المثقفين من تلاميذ هذه الحضارة ومريديها ، وليست هي مغانم خالصة من المغارم ، ولا مكاسب مبرأة من الخسران ، ولا كمالا منزها عن النقصان ••

لقد بدأ أهلها يشعرون بنقائصها وأخذ الوعي لهذا النقص يشيع ويظهر على السنة الكثيرين من الخاصـــة والمفكرين وطفقت الحاجة الى تغيير اتجاه هذه الحضارة وتبديل عناصر تركيبها واكمال نقصها تشتد وتلح • وأترك التعبير عن هذا النقص والانحراف الى بعـــض كبار المفكرين من أهل هذه الحضارة مثل ـ الـــدوس هكسلي ـ و ـ برتراندرسل ـ و ـ الكيس كاريل ـ و ـ اندره جيد ـ •

فبرتراند رسل يقول : ان عناصر الحياة ثلاثة : الغريزة ، والعقل ، والروح •• وان هذه الحضارة الحديثة قد اهتمت بالعنصرين الاولين وهما : الغريزة والعقل ، ولكنها لم تهتم مطلقا بالروح • ان العقل يرينا ان من الخير ان نفعل كذا ، ولكن عنصر الروح وحده يمكننا ان نشعر شعورا انسانيا عاطفيا وقلبيـــا وان نحس باحساس الاخرين ، فالعقل والغريزة لا تحلان المشكلة ولا

بد من انسجام العناصر الثلاثة : الغريزة والعقل والروح، وتنميتها تنمية قائمة على الانسجام حتى تسير الحضارة على طريقها السوي • وهو يرى ان العالم بحاجة الـى فلسفة جديدة او دين جديد على هذا الاساس يجعل غاية الانسان خارج هذه الحياة ••

واما ـ الدوس هكسلي ـ صاحب كتاب الوسائـل والغايات فهو يرى أن أكثر شعوب الارض بدلا مـن أن تقترب نحو المثل الاعلى تتباعد عنه بسرعة • ان التقدم الحقيقي في رأيه هو التقدم في الخير والاحسان وأن ما يقابل به الرأي العام في القرن العشرين من أخبار الوحشيه والتقتيل والصور والافلام الممثلة لذلك هو شاهد على أن هذه الحضارة لم تكتمل •• ثم يضرب على ذلك أمثلة من الكذب المنظم في الدعاية واثارة الحقد والغرور والتهيئة للحرب ، فيقول : ان الفضيلة والخير لا يمكن أن تنموو تعم اذا لم يكن ثمة عقيدة يكون فيها البشر عباد الله ••

ان السنين الخمسين الاخيرة كما يقول هكسلي تمثل تقهقرا كبيرا للتوحيد واتجاها نحو الوثنية لقد انصـرف الناس عن عبادة اله واحد لعبادة الهة موضعية كالطبقة الاجتماعية أو الفرد أو الامة • أن عصرنا اذا قسناه بمقياس الرقي الوحيد وجدناه في تأخر واضح فان تقدم الاليات سريع ولكنه دون تقدم الخير غير مفيد بل أقبـح من ذلك أن يقدم أدوات ووسائل ناجحة ولكن للتأخر ••

ويضرب ـ هكسلي ـ أمثلة على ذلك من فلاسفة أوروبا ويقول انهم بعيدون عن الحكماء المعروفين بسيرتهم الفاضلة فقد كان ـ نيتشه ـ الذي كتب عن الانسـان المتفوق ـ سوبرمان ـ عاجزا عن ضبط شهوته الى تناول المربيات والمعجنات وكلما وصله من بيته شيء منها وهو معتكف في الجبال للعمل••كلما وصلته سلة فيها من أطايب الطعام يأخذ في التهامها التهاما يجعله بعد ذلك يستلقـي على سريره ••

وكان لكنت مثل هذا النهم لاكل المربيات وذعر من المرض والموت حتى كان لا يجسر على زيارة أصدقائه اذا مرضوا أو على الحديث عنهم اذا ماتوا وكان حين تقدمت به السن يدعي نوعا من العصمة ••

وكان عند هيجل مثل هذا الغرور بالنفس وعند كثير من أقرانه أن أمثال هؤلاء نابغون في ناحية •• أغبياء في نواحـي أخرى •• وهـذا الغباء بالطبع ناتن عـن الارادة •• وان النظام التربوي ينمي الذكاء بالنسبة الى ما هو خارج عن الانسان لا بالنسبة الى داخله •• وأمـا ـ أندره جيد ـ فبعد زيارة قام بها عام ١٩٣٦ للاتحاد السوفييتي وكان هو الرئيس الفخري للهيئات الشيوعية في فرنسا قال في كتابه •• ـ تعقيب على العودة ـ : ـ أبرز الناس في السلم الاجتماعي من أعلاه الى أسفله هم أكثرهم عبودية وأدناهم نفسا وأشدهم انحناء وأخسهم وأما الذين ترتفع جباههم فيحصدون أو ينفون واحدا بعد واحد ـ •

وجملة القول في الحضارة الحديثة التي يتولـى الغرب بمختلف شعوبه قيادتها أنها تقوم على أساس ارتقاء بعض جوانب الحياة الانسانية دون بعضها الاخر فقد أولت اللذائذ الحسية والمنافع المادية الرتبة الاولى •• وجعلت العقل خادما لها ووسيلة لزيادتها •• فلقد رقت الوسائل ولكنها لم ترتق بالغايات فلا يزال التنافس والصراع في مجالات السلم والحرب قانون هذه الحضارة •• لقـد قوي الانسان وتسلح وأصبح يملك قوة عظيمة ولكن نفسيته لم تتغير ولم ترتق •• ولم تستطع الحضارة الحديثة أن ترتفع بالانسان وتنمي عواطفه الانسانية ووعيه وشعوره الانساني العام •• ولا التخفيف من أثرته وأنانيته •• واذا كانت توصلت أحيانا الى أنظمـة عادلـة فانها لـم تستطع أن تخلق الجو النفسي والخلقي الذي يعـين على تطبيقها بدافع من داخل الانسان لا من خارجه فحسب•

لقد ارتقى العقل حتى اغتر بنفسه وتمرد حتـى

خيل اليه أن الوجود الذي اكتشفه هو من صنعه • •وبدلا من أن يتواضع حين يرى عظمة الكون وسعة افاق المجهول بالنسبة الى المعلوم تكبر وطغى فقطع صلته بخالقه وخالق الكون فتأله الانسان واعتقد في ذاته الكمال فتردى الى أسفل السافلين •

(٢)

ان حضارة اوروبا سائرة بتسارع نحو نوع جديد من الوثنية فهي ماديةفيأهدافها وغاياتها الفردية والجماعية •• فغاية الفرد اللذة والمنفعة •• وغاية الجماعة كثرة الانتاج وزيادة المال •• وانما اختلاف المذاهب في هذه الحضارة في نوع هذه اللذة وفي اقتسام الانتاج ، ولقد كان من اكبر ما منيت به اوروبا وحضارتها انحسار المسيحية وتقهقرها أمام هذه الوثنية الجديدة •

لقد كانت تعاليم المسيحية الروحية ومبادئها الخلقية تخفف كثيرا مما عند الاوروبيين من ضراوة وشراسة وقد تركت أثرا واضحا في الافكار الانسانية والخلقية ولكنها تراجعت أمام هذه الوثنية الجديدة •

ان الرجل العادي في اوروبا كما يقول الاستاذ ـ محمد اسد ـ ديمقراطيا كان او فاشيا •• رأسماليا كان او اشتراكيا •• عاملا باليد او رجل فكر انما يعرف دينا واحدا وهو عبادة الرقي المادي والاعتقاد بأنه لا غاية في الحياة غير ان يجعلها الانسان اسهل •• أما كنائس هذا الدين فهي : المصانع الضخمة ودور السينما والمختبرات الكيماوية ودور الرقص ومراكز توليد الكهرباء • وأما كهنتها فهم رؤساء المصارف والمهندسون والممثلات وكواكب السينما وأقطاب التجارة والصناعة والطيارون والمبرزون الذين يضربون رقما قياسيا • ونتيجة هذا النهم للقوة•• والشره للذة ظهور طوائف متنافسة مدججة بالسلاح والاستعدادات الحربية مستعدة لابادة بعضها بعضا •• اذا تصادمت أهواؤها ومصالحها •

ان الحضارة الغربية لا تجحد الله سبحانه وتعالى في شدة وصراحة ولكن ليس في فكرها موقع لله •

ولقد صدق الكواكبي حين قال في كتابه ـ طبائع الاستبداد ـ : الغربي مادي الحياة ، قوي النفس ، شديد المعاملة ، حريص على الاستئثار ، حريص على الانتقام •• كأنه لم يبق عنده شيء من المبادىء العالية والعواطف الشريفة التي نقلتها له حضارة الاسلام ومسيحية الشرق •

أقول لقد ارتفعت في الغرب أصوات كثيرة للثورة على القيم والانتصار للمادية في شتى صورها •• وليس أمثال رينان ، ونيتشه ، وفرويد ، وماركس من أدباء ومفكرين وفلاسفة الا دعاة لهذا الدين الجديد ولا يزال مريدوهم يكثرون وأنصارهم يزيدون ومذاهبهم تنتشر •

بل أني أذهب الى أبعد من ذلك فأقول ان اوروبا في عصورها السالفة حين تقبلت المسيحية ودانت بها •• لم تحسن فهمها وتمثلها •• ولئن استفادت هي من المسيحية خلقا وروحا فلقد أضرت هي بالمسيحية اذ شوهت الكثير من معالمها وعكست عليها وثنيتها القديمة الموروثة عن الرومان واليونان • وأوروبا حين قاتلتنا في الحروب الصليبية لم تقاتلنا بما عندها من تعاليم المسيح ولكن برواسب وثنيتها الموروثة وطباعها الوحشية غير المصقولة وليست جميع حروب الاستعمار ومآسيه وحروب التحرير ـ كما يريد الشيوعيون ان يسموا حروبهم ـ وأهوالها وصراع الشعوب والطبقات ، الا ثمرة من ثمرات هذه الحضارة المادية •

ان في الغرب لأزمة بل أزمات وقلقا نفسيا واضطرابا في مجرى الحياة وضعفا بل تدهورا في الخلق والعواطف ومرضا بل ترديا في النفس الانسانية واخفاقا في محاولات الاصلاح الكبرى وحاجة شديدة الى اهداف جديدة وغايات انسانية مشتركة للحضارة وحاجة أشد الى وصل هذا الانسان العاتي الضال بالله مصدر الوجود ومن عنده

تلتقي النهايات نهاية الكون ومصير الانسان ·· وحينئذ ينقلب انطلاق العقل واكتشاف الكون واستثمار الطبيعة وتنظيم المجتمع واختراع الالة ونمو الصناعة خيرا ونفعا وبركة ويمنا وأمنا وسلاما ·

تلك هي الصورة التي نستطيع ان نلتقطهالعالمنا اليوم في مصيره ، وللحضـارة في صورتها الماثلـة في الشـعوب التي تسير اليوم في طليعة البشرية ·

في ضوء هذ هالصورة ينبغي ان نعمل ونرسم الخطط لنهضتنا والاهداف لحضارتنا المستقبلية ونحدد نصيبنـا من المساهمة ·· ودورنا ورسالتنا في العالم ولا بد لنا من اجل ذلك من معرفة عناصر أخرى وهي ·· اولا معرفـة أنفسنا · ·حاضرنا وماضينا · ·امكانياتنا وخصائصنا·· وكيف تفاعلنا قديما مع المبادىء الانسانية وكيف صنعنا حضارتنا وحينئذ نكون قد استكملنا العناصر الضرورية لحل المعضلة والاجابة على المسألة الكبرى وعرفنا نصيبنا من المساهمة ونوع هذه المساهمة ·

ولقد اعتاد الباحثون في العالم العربي وصلتهبالعالم البشري العام أن يخصوا بالذكر موقعه الجغرافيبين القارات والبحار والشعوب وهو امر يجب ان يذكر ·· ولكن ثمة أمرا آخر أهم منه يغفلونه على خطورته وهو موقعـه الحضاري بين ألوان الحضارات قديما وحديثا ·

ان العالم العربي كما يقع موقعا متوسطا بين قارات ثلاث يصل بينها وبين بحار كبرى تمتد فيها سواحله فيشرف منها على سائر أجزاء الارض ، يقع كذلك في مثل هـذا الموقع من حضارات الشرق والغرب ·

ففي الشرق الاقصى ديانات هي في اصلها روحيـة خالصة بعيدة عن المادة تذهب بالانسان مذهب الصوفيـة الفردية والخلقية السلبية والروحية الخيالية كالبرهميـة والبوذية ولو أنها في نهاية المطاف تردت الى الوثنية ·

وفي الغرب والشمال ·· حضارات مادية هي اليونانية والرومانية قديما والاوروبية حديثا وهي التي لا تعني الا المادة من قوة الجسم وملذاته وسعة الملك والسلطان وكثرة المال ووفرة الانتاج وكل ما يؤدي الى ذلك من علم أو تربية أو أخلاق ·

ان الامة العربية في بلادنا كانت دوما حـين تنهض بالعبء وتتقدم للسير تمثل اللون الكاملوالحضارة المتوازنة التي تجمع بين المادة والروح ، وتقيم الانسجام بينهما لطبع تأصل في نفسها خلال عصور نتيجة اجتماع أسباب وظروف في تاريخها سواء في ذلك عهدها الذي كانت فيه في شيء من العزلة عن العالم غير مضطلعة بعبء القيادة ، أعني العهد الذي سبق الاسلام وعهدها الذي تحملت فيه عبء القيادة·· وسارت أمام ركب الامم بعد الاسلام ··ان طبيعتها الاصلية التي تجري فيها بين أفق محدود وأفق انساني عام والمثـل الاعلى الغامض الجزئي في الجاهلية والكامل الواضح بعد الاسـلام ·

واذا ألقينا نظرة سريعة على العرب ومن حولهم قبل الاسلام وجدنا أنهم يمتازون بفطرة انسانية سليمة لـم يصبها ما أصاب الفرس من انحلال خلقي وانغماس في الملذات ، ولا ما وقع فيه اليونان من هذيان الفكر الفلسفي المنفصل عن الحياة وعن الاخلاق العلمية ومنخيال أسطوري مغرق في الخرافة وأخلاق بعيـدة عـن مثاليـة الفلسـفة ونظرياتها الكلامية وعن الانسانية بتمييزها العنصري بين الناس،ولا أفسدها ما كان عند الرومان من روح استعمارية استثمارية ·

ان عرب الجاهلية هم الذينكانوا بعد الاسلام خير أداة لتنفيذ الرسالة في العالم فمعدنهم واحد ولم يتغير وانما الذي تغير هو طريقة استثمار هذا المعدن ·· فالناس ــ كما قال الرسول الكريم صلوات الله عليه ــ معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا ·

ان العربي منذ عهود قديمة ملامسللطبيعة لا يحجبه

عنها حاجز ولا تحول بينه وبينها الاساطير ، منها يتطلع الى الله الخالق لا الى الالهة المزورة المخلوقة ولم تكن الوثنية الا فترة طارئة في حياته دخيلة عليه من الشعوب المجاورة .. غير متغلغلة في نفسه .. وكثيرا ما هزىء بها وسخر منها .

لقد كان العربي واقعيا في تفكيره يعيش في ضوء الشمس وحرها وعلى أرض الصحراء وفوق رمالها ومع حيوانها ونباتها ولذلك كان أدبه كحياته بعيدا عن الاساطير التي حشي بها الادب اليوناني ولم يكن في تفكيره هذا ابتدائيا فقد عرف الحكم المجرّد والكليات العامة .. ولغته ملأى بالمفردات الدالة على الكليات والمجرّدات كما هي ملأى بالالفاظ الدالة على المحسوسات والجزئيات .

وكان العربي منذ تلك العهود البعيدة مثالي الاتجاه يفضل المعنى على المادة والشرف على المال وذخيرة الحمد على ذخيرة الثروة والعز والكرامة على النعيم والرخاء .

ولئن كانت المثل الخلقية والروحية في الجاهلية لم تأخذ شكلها الواضح الكامل الواسع الافق الذي صاغه الله بعد الاسلام .. فانها كانت في حياة العرب قبل الاسلام تتمثل في اتجاه واضح نحو هذا النوع من المثالية الخلقية وفي نظرة ظاهرة الاستعداد لتقبلها سليمة من التردي والتفسخ والانحلال والاسفاف المخزي الذي وقعت به أمم أخرى مغرقة في الحضارة المادية ومختلفة كذلك عن تلك الروحية الخيالية السلبية الانعزالية التي كانت تتجلى في أمم الشرق .

ان أقوال العرب وأعمالهم ـ وكان القول عندهم يطابق العمل ـ تدل دلالة واضحة على هذا الاتجاه . وقصص العرب التي فاضت بها كتب التاريخ وهي قصص حياة واقعية لا قصص خيالية وأسطورية كقصص اليونان تجسم تلك الخلال الكريمة المتأصلة وتدل على ماكان يعتلج في نفوسهم من دوافع معنوية وبواعث خلقية ولو أخطأوا الهدف أحيانا ، أو ضلوا الطريق للوصول الى تحقيق ما يريدون من خير .

واليكم بعض تلك القيم أو تلك الاتجاهات كما يعكسها شعرهم وهو يمثل حياتهم أصدق تمثيل ، وان قيمة المرء بشرفه لا بماله :

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه
خلق وجيب قميصه مرقوع

ذلك أن المال في نظره عرض زائل ووديعة مستردة .

أماوي أن المال غاد ورائح
ويبقى من المال الاحاديث والذكر
أماوي ما يغني الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

ولكن العربي لا يزهد بالمال لان المال وسيلة لعمل المعروف وحماية النفس والذود عن الشرف والعرض والكرامة وليس جمعه غاية لذاته :

وقد علم الاقوام لو أن حاتما
أراد ثراء المال كان له وفر
فاني لا آلو بمالي صنيعة
فأوله زاد وآخره ذخر
يفك به العاني ويأكل طيبا
وما ان تعريه القداح ولا الخمر

ويقول الآخر :

وأجعل أموالي لعرضي جنة
ان خير المال ما أدى الذمم

ويقول آخر واصفا الفرق بين استعمال المال في موضعه وبين الطمع والشح :

ونقي بآمن مالنا أحسابنا
ونكف شح نفوسنا في المطمع
ونقيم في دار الحافظ بيوتنا
زمنا ويظعن غيرنا للأمرع

ولذلك يفضل عيش الكرامة مع الفقر أو الموت :

فعش معدما أو مت كريما فاني

أرى الموت لا ينجو من الموت هاربه

والعربي أقدر الناس على أن يفهم عمق الحكمتين العظيمتين « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » و « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد القطيفة ، تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش » والاول حكمة قالها المسيح عيسى والثانية من قول الرسول محمد عليهما الصلاة والسلام .

ذلك انه كان يحتقر من يكون همه في الحياة وغايته الطعام والشراب والملبس أو المال .. بل كان صعاليك العرب وهم خير من أشراف الامم اليوم لا يقبلون لانفسهم هذه الفلسفة .. يقول عروة بن الورد وهو من الشعراء الصعاليك :

لحا الله صعلوكا مناه وهمه

من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما

ولله صعلوك يساور همه

ويمضي على الاحداث والدهر مقدما

لم تكن فلسفة العربي في يوم من الايام فلسفة البطن والمعدة حتى في جاهليته لانه كان يحتقر هذه الفلسفة وليس معنى ذلك طبعا أنه كفقراء الهند ورهبان البوذية لا يسعى لملء بطنه الجائع ولو بالقوة اذا اقتضى الامر فالعربي لم يكن يقبل فلسفة الفقر ولم يكن يرضى بالمعيشة الدنيا :

فتى ليس بالراضي بأدنى معيشة

ولا في بيوت الحي بالمتولج

لان المال عنده وسيلة لغايات كريمة كما يقول عروة أيضا :

دعيني أطوف في البلاد لعلني

أفيد غنى فيه لذي الحق محمل

أليس عظيما أن تلم ملمة

وليس علينا في الحقوق معول

يريد أن يكون غنيا لا ليملأ البطون ولا لينال الرغيف ولكن ليقيم الحق ويعين الضعفاء ، لذلك لا يبطره الغنى لانه لا يرى فيه شرفا ، ولا يذله الفقر لان المال لا يكسب صاحبه شرفا ولكن العمل الطيب هو الذي يزينه :

غنينا زمانا بالتصعلك والغنى

وكلا سقانا بكأسيهما العصر

فما زادنا بغيا على ذي قرابة

غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

ولم تكن كذلك شهوته الجنسية وسائر الشهوات المادية مسيرة له في حياته بل كانت العفة وحفظ الانساب والاعراض أمرا أساسيا في الحياة .

قال الاعشى :

لا يهتك الستر عن أنثى يطالعها

ولا يشدّ الى جاراته النظرا

وقال حاتم :

وما ضرّ جارا يا ابنة القوم فاعلمي

يجاورني أن لا يكون له ستر

بعينيّ عن جارات قومي غفلة

وفي السمع مني عن حديثهم وقر

وقال عنترة :

وأغض طرفي ان بدت لي جارتي

حتى يواري جارتي مأواها

★ ★ ★

وأكتفي بما ذكرت للدلالة على ما كان عند العرب في الجاهلية من مظاهر الاتجاه المثالي في الحياة ، ولو أردت أن أستشهد لسائر هذه المظاهر ولمكارمهم الاخرى كحماية الجار والحليف واستعذاب الموت في سبيل الكرامة ، والكرم في المال والشجاعة والاقدام والوفاء بالعهود والوعود ، وغيرها من المكارم لطال بنا القول .

وهذا هو أدبنا الاصيل لا تلك القصص الخليعة الماجنة

التي نعيش فيها عالة متطفلين على الادب الاوروبي المنحط .. وهذا الاتجاه المثالي عند العرب في الجاهلية لا ينافي وقوعهم في كثير من الخطأ والاسراف والضلال في اتخاذ الطريق الى هذه المثالية وفي تحديد المثل الاعلى .. وليس الثأر للقبيلة ووأد البنات عند بعض القبائل واتلاف المال بدافع الكرم والمناصرة بالعصبية والفخر بالآباء والانساب الا مظاهر لهذا الخطأ في تحديد الهدف واصابة المثل الاعلى

ولكننا اذا وازنا بين هذه الفطرة الصالحة والاستعداد النفسي للحياة الكريمة المثالية وبين ما كان عند كثير من الامم الاخرى من انكباب على الشهوات واستئثار بالملذات وانحلال خلقي ومادية طاغية وأخلاق غير انسانية عرفنا الحكمة العظيمة في أنه في هذه البيئة نزلت رسالة الاسلام وعلى صعيد بلادنا العربية تنزلت رسالات سماوية عديدة من ابراهيم عليه الصلاة والسلام التي أسست على التوحيد وانتهت برسالة الاسلام التي رسمت الصورة الكاملة للمثل الانساني الاعلى فكان التجاوب العميق بين الامة العربية ذات النزعة المثالية والفعالية القوية المعطلة الا في حدود ضيقة .. بين هذه الامة وتلك الرسالة الالهية المصدر ، الانسانية الهدف ، العالية الافق . أعطاهم الاسلام المثل الاعلى الذي أرادوه وأعطوا هم للاسلام العقل المفكر والنفوس المستجيبة واليد العاملة .. أعطاهم المبادىء العامة فأعطوه المادة البشرية والقوة المنفذة وصاغوا من تلك المبادىء حضارة انسانية نموذجية هي الشكل الحي المجسم لتلك المبادىء فكان لها قوة انتشار في العالم مزدوجة باتجاهها الانساني العام في أصلها وبالصورة التي طبقت فيها وجسدت في حياة عملية قدمها العرب أنفسهم من أتباع الرسول العظيم وتلاميذ النبي العربي من أمثال : علي وفاطمة وعمر وعائشة وأبي عبيدة وأبي بكر وأسماء وخالد وسعد وأضرابهم قدموا صورة للانسان النموذجي وللأسرة المثالية وللحكومة المثالية .

ان ما كان عند العرب من استعدادات ونزعات وامكانيات أظهرها الاسلام واستثمرها لخيرهم وخير الانسانية ووسَّع أفقها ونقلها من الصعيد القبلي الضيق الى الصعيد الانساني حتى لم يعد العرب ملكا لانفسهم بل ملكا للانسانية ودواء لها وروادا لشعوبها وقادة لاممها.

ان المجال الذي فتحه الاسلام للانسانية أمام العقل ليفكر واليد لتعمل وتستثمر والنفس لتسمو وترتقي من واقعها الارضي المتقلب الى الكمال الالهي الازلي ، ان ذلك كله كان لا بد له من معلم يفهم فيحسن الفهم ويتمثل فيحسن التمثل ويطبق فيحسن التطبيق .. وكان هذا المعلم « الامة العربية » .

ان في تاريخ البشرية ظاهرة عامة يجب دوما أن تلفت نظرنا وهي ظاهرة التفاعل بين المبادىء والشعوب ولذلك كان من المهم جدا تتبع الفهم العربي الاول للاسلام وجعله مصدرا أساسيا لتفسيره ، ويرى الشاعر الاسلامي الهندي « محمد اقبال » أن العقل العربي كان أقوى على استساغة الاسلام استساغة صحيحة وأجدر بحمل أمانته .

(٣)

لقد تلاحقت الموجات الروحية على صعيد بلادنا يؤكد بعضها بعضا ويتمم بعضها بعضا فقد نزلت في أرض العرب ديانة ابراهيم وهي الديانة التي دعت الى التوحيد ووطدت دعائمه فكانت القاعدة الاولى القديمة والمستقر الاول لعقائد العرب وأخلاقهم ..

وبعد أن بعث الله المسيح عليه السلام بتعاليم النصرانية في فلسطين وصلت أصداؤها الى العرب فدان فريق منهم بها ... وظهر الاسلام مصدقا لما بين يديه من النبوات والكتب ومجددا لملة ابراهيم ، وهكذا توالت الديانات والملل الروحية والمبادىء الخلقية وتلاحقت وكان صعيد بلادنا مستقرها ومستودعها ومجتمعها ظهرت فيه مجتمعة متعاونة مشتركة في جوهر العقيدة .. النظرة

الاساسية الى الوجود وذلك بربط الانسان قلبه وعقلـه وشعوره بالله الخالق ·· خالق الناس أجمعين فالخلق كلهم عباد الله ·· ومن هنا كانت الفكرة الانسانية والمسؤولية أمام الله الخالق أساس هذه الديانات في عقائدها ، وكانت معاملة الناس على أنهم مخلوقات الله وعباده يتساوون في الانتساب اليه المنبثقة عن عقيدة الايمان بالله والمسؤولية في الحياة الآخرة ، أساس التعاليم الاخلاقية المشتركة بينها ·

لقد ارتبطت مكارم الاخلاق عند العرب وتفضيل القيم الخلقية عندهم بأساس عقائدي عميق الجذور في نفوسهم منذ عصور بعيدة جدا ولذلك كانت الوثنية دخيلة طارئة على العرب في فترات قصيرة من حياتهم وكان الالحاد كذلك بعيدا عنهم لا يظهر في تاريخهم الا مقترنا بالشعوبية الحاقدة على العرب فالعربي سواء أكان على دين ابراهيم أو كان نصرانيا أو مسلما أو يهوديا كان دوما مؤمنا بالله ايمانا عميقا تصله به الطبيعة التي يعيش في أحضانها ·· ولا تفصله عنه ولا تحجبه الوسائط ولا الخرافات والاساطير ويشعر في أعماق ضميره بالمسؤولية أمامه فيوقظ الايمان ضميره ويرهف حسه الخلقي ·

ولا شك أن المثل الروحية انسانية عامة ومن هنـا كانت قيمتها ، وليست محصورة بالعرب ـ ومعاذ الله أن ننكر ذلك ـ ولكن هذه المثل الروحية توضعت على صعيد بلادنا ·· وتوطدت ورسخت واتخذت لها فيه جذورا أكثر من أي صعيد آخر ·· لقد وجدت فيه أحسن صور تطبيقها وأروعها وأقواها وأكثرها توازنا وواقعية ·

لقد شهد الصعيد العربي مولدها وبعث صوتها كلما خفت ، واتقاد شعلتها كلما خبت ،وعاصرها طويلا وتجاوب معها ومنه كان انطلاقها واليه كان موئلها واعتصامها ، وشحب لونها وهزلت في العصور التي غاب فيها العربي عن الاشراف والقيادة وتولي حراستها غيره فأصابها التشويه والانحراف ···

ولقد كانت معارك الامة العربية الكبرى معارك يكون فيها الخصم دوما عدو القيم الخلقية والمثل الروحية ويقف العرب دوما مدافعين عنها ·· ألم يشـهد القرآن بشهداء النصرانية في سبيل العقيدة والايمان الذين كانوا يحرقون في الاخاديد ؟ ···

« قتل أصحاب الاخدود ، النار ذات الوقود ، اذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » ·

ألم يبشر القرآن المؤمنين بانتصار الايمان والمثـل الروحية على المجوسية والمزدكية ؟ ···

« آ لم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعـد غلبهم سيغلبون ، في بضع سنين ، لله الامر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » ·

وهل كانت معارك الفتوح الاولى في الاسلام الا في سبيل تحرير البشر من أن يعبد بعضهم بعضا ·· وتحريرهم من الظلم ··؟ ·· فكانت مضرب الامثال ·· في انسانيتها ·· في وصاياها وفي تطبيقها للحقوق والمحرمات والحريات ، ولذلك لم تزل آثارها باقية حتى يومنا هذا رغم خروج الفاتحين من أفغانستان وباكستان وغيرهما حيث لا تزال الثقافة العربية واللغة العربية والمثل الروحية التي حملها العرب ولا يزال أهل تلك البلاد يعتزون بها ·· رغم أنه لم يبق للعرب فيها أي نفوذ سياسي ومعاركنا مع المغول والتتار لم تكن الا معارك بين معالم الحضارة ومؤسساتها وقيمها الانسانية من جهة والهمجية البدائية من جهة أخرى ·· ومعاركنا مع أوروبا قديما وحديثا هي من هذا النوع ، كذلك فمعاركنا مع أوروبا في الحروب الصليبية هي معارك بين شعوب لا تزال الهمجية غالبة عليها ·· ولم يكن لها من المسيحية الا الرداء الظاهر والصبغة الخارجيـة · ومعاركنا الجديدة معها سواء في الحرب أو السلم هي معارك

مع وثنيتها الجديدة مع الرأسمالية والنفعية والجشع المادي والتمييز العنصري والاستعلاء القومي ٠٠ أو مذاهبهـــا المادية الاخرى في صورها الاشتراكية التي تطرد من الحياة الانسانية كل نسمة روحية أو نفحة الهية أو عاطفة انسانية ولا تحسب الحساب الا للانتاج ووفرته وطريقة توزيعه فالانسان فيها حيوان منتج ومستهلك وحسب وليست عقائده ولا أخلاقه ولا آدابه وفنونه الا خادما للانتاج والاستهلاك أو منبثقا عنها ٠٠ ومع ذلك فاننا اذا جافينا المذاهب المادية فاننا لا نتقاتل مع أصحابها الا اذا قاتلونا ومنعونا حقنا في أرضنا وعقائدنا وأنفسنا وأوطاننا ٠٠

ان ثوراتنا ومعاركنا لبناء كياننا الاسلامي وبعثه من جديد ليست الا ثورات ضد الظلم والشر والباطل وانتصارا للحرية والعدالة والخير والحق ٠٠ ان لمعاركنا وثوراتنا لبناء كياننا الاسلامي وبعثه من جديد غايات بعيدة وأهدافا عليا من ورائها ٠٠ انها غايات انسانية وأهداف خلقية ٠٠ ان في قوتنا ووحدتنا وتحرر وجودنا كمسلمين خدمـــة للانسانية جميعا فصعيد بلادنا العربية بتراثه العريـــق واستعداده الاصيل معقل الانسانية والاهداف الخلقية بما استقر فيه من ايمان عميق بالله ورسالاته وضمير يقظ حساس وفطرة سليمة ٠٠ وبسابقته التي أثبت فيها خلال فترة من الزمن طالت أو قصرت ٠٠ ان الحضارة بدوافعها النفسية وبواعثها الاعتقادية ونتائجها الانسانية أكثر مما هي بنظمها ٠٠

ان الروح الانسانية العميقة تنتج نظما خلاقة عادلة ولكن النظم الرأسمالية والنظم الاشتراكية المادية التي جاءت بها أوروبا بمعسكريها لم تنتج عواطف انسانية ٠٠ ان الروح الاسلامية استطاعت أن تخلق نفوسا تطبق الاخاء والتعاون والفداء في سبيل المجموع وتسير في الخط الذي رسمه تشريعه من غير تعقيد ٠٠ ولم تستطع الانظمـــة الاشتراكية المعقدة والقوانين الرأسمالية الملزمة الزاجرة أن تولد العواطف في النفوس وتغير أخلاق الانسان وتهذب غرائزه وعواطفه ٠٠ ولذلك فان لمعاركنا اليوم صدى عاليا ٠٠ لعظيم مغزاها ٠٠

ان العالم اليوم بحاجة الينا ٠٠ بحاجة الى هذا التراث الذي نحرسه ونحن الاوصياء عليه ٠٠ ان العالم كله بحاجة الى العرب أما العالم الشرقي الاسلامي فليصحح له العرب ما شوهه من تعاليم الاسلام وما غير من معالمه ودثر من قيمه ٠٠ وأما العالم الغربي فلنعيد اليه روح الايمان والاخلاق ٠٠ ونبعث فيه العواطف الانسانية والمبادىء الخلقية المنبثقة عن هذا الايمان وقد نسيها كذلك وشوهها بل مسخها وقلبها ثم طردها بعد ذلك من أرضه ٠٠ ولنخرجه من حمّى المادية وحمأة الطين التي غاص فيها ٠٠

ان هذا الصوت قد خرج من الشرق في أوائل هذا العصر وفي السنين الاخيرة منه ٠٠ من مسلمي العـــرب ونصاراهم ٠٠ سمعه العالم من الكواكبي ومحمد عبده ومحمد عبد الوهاب والرافعي وعبد العزيز آل سعود ومن مالك بن نبي كما سمعه من ميخائيل نعيمة وفيلكس فارس والشاعر القروي ٠٠

أما ميخائيل نعيمة ٠٠ فيقول « واها لهذا الشرق ما أضعف ذاكرته وأوهن قلبه ٠٠ سرعان ما نسي ميراثه وسرعان ما تخلى عن سلاحه الذي لا يفل ليستبدل به سلاحا يتأكله الصدأ ٠٠ كم كنت أتمنى لو يسترد ميراثه وسلاحه ٠٠ لعله يستطيع أن يرد العالم الى رشده بدلا من أن يفقد هو الاخر رشده في عالم جن جنونه ٠

لئن أحسن الغرب توجيه العقل البشري وتدريبه وتنظيمه حتى بلغ به ما بلغ من بعيد الشأو في دنيـــا الصناعات والعلوم والفنون فقد أهمل القلب كل الاهمال والقلب هو مهب العواصف التي تعبث بنتاج العقل ٠٠ ومصدر السموم التي تفسد على الناس الاستمتاع بذلك النتاج وهو على ضآلة حجمه ذلك العالم الشاسع الذي يلاصق فيه الانسان الحيوان من جهة ٠٠٠٠ ويعانق الله من الاخرى وحتى اليوم ما تمكن أحد من سبر أغواره السحيقة وتسلق أعاليه الربانية غير نفر قليل مـــن

الناس أنجبهم هذا الشرق هداة للبشرية وقادة لخطاها أولئك هم أنبياء الشرق رسل الله الى الكون بأجمعه الذين مروا بالارض مرور الشهب في الفضاء فرسموا للناس طريق الخلاص بخطوط من نور (١)...

وفي موضع آخر يقول : أما معجزة العرب فهي القرآن .. وهي وحدها التي تستطيع أن تجعل من العرب قوة أين منها قوة الاساطيل البحرية والجوية والقنابل الجهنمية ... وأين منها قوة المال والرجال فالاساطيل للصدء والرجال للموت والمال للزوال .. أما معجزة القرآن فللبقاء ... ذلك أنها أقامت للعرب ولغير العرب هدفا من حياتهم وكانوا بغير هدف .. واختطت طريقا لهم الى الهدف وكانوا بغير طريق .. وما اكتفت بأن أقامت لهم هدفا واختطت طريقا بل انها برهنت لهم بحياة النبي وصحبه .. أن ذلك الهدف مستطاع بلوغه على من سار في الطريق .. لو لم يترجم النبي وصحبه القرآن الى أفعال لما كانت المعجزة معجزة ... أجل ... ان معجزة العرب هي القرآن ... الا أنها أصبحت اليوم وكأنها عندهم ليست بمعجزة .. ذلك لكثرة ما ألفتها الشفاه والاذان والعيون .. وأغلقت أمامها القلوب ، وقلوب العرب غدت مغلقة دون معجزة العرب بعد أن حكموا دنياهم في دينهم .. فهم اليوم يؤمنون بالراديو والرادار وبالدبابة والطيارة ثم بالفلس يبتاع كل هذه .. يؤمنون بها كما لو كانت المفاتيح الى الراحة والهناء والسلام والحرية والكرامة الانسانية أما المفتاح الذي أعطي لهم في القرآن فجوهرة يتبركون بلثمها ويباهون بجمالها ولكنهم يتهربون من استعمالها .

وميخائيل نعيمة هو صاحب كتاب (أبعد من موسكو وواشنطن) الدال بعنوانه على فكرته ..

أما الاستاذ فليكس فارس فيقول : ان لهذه الشعوب المنتشرة في الشرق العربي فطرة واحدة كونتها العقيدة والتقاليد والبيان .. فهي تنشد مثلا عليا للحياة تتوافق وحوافزها المستقرة في أساليب تفكيرها لذلك كان لزاما على هذه الشعوب أن تتجه الى جامعة واحدة تبعث لها الحضارة الملائمة التي ترتاح اليها سريرتها ... ان عظماء المصلحين قد قضوا على كثير من سخافات الجاهلية وعادات الفرس ، ولكن ضلالات روما وتقاليد الغرب الحديثة التي يبكي لها عقلاء الغرب ومصلحوه لم تزل تهاجم الفئة المخدوعة بنظم الاجتماع ناسية أو متناسية غرائزها الشرقية وما في كتابها من روائع الطهر وآيات العفاف . أقيموا الحضارة القرآنية المحررة في الغرائز الشرقية السامية تتبع خطواتكم الامة المفرقة قبائل وشعوبا ... فالثقافة الشرقية العربية هي العقل الباطن لامم هذا الشرق العربي وهي اللوح الذي سطرت عليه مبادئه » .

ثم بعد ذلك ينقل عن المستشرق الاسباني «فيلا سبازا» قوله : « لقد حجب الغرب أنوار المسيحية الاولى وبدل ما في المسيحية السامية من مواساة .. وحول فلسفتها الى أحاج ومعميات .. ان جميع اكتشافات الغرب العجيبة ليست جديرة بكفكفة دمعة واحدة ولا خلق ابتسامة واحدة .. وليس أجدر من أمم الشرق العربي المحتفظة بالثقافة العربية والقائمة على اذاعتها بوضع حد نهائي لتدهور الغرب المشؤوم الى هوة التوحش الاقتصادي » ..

ويقول أيضا هذا المستشرق الاسباني : ليس في طاقتنا نحن الاندلسيين المعتنقين بايمان ثابت دين المسيحية أن نجحد دين أسلافنا فلئن كان الاول مستقرا في

---

(١) في مهب الريح لميخائيل نعيمة .

ضمائرنا فان الثاني ⋅⋅ أي الاسلام ما برح مستقرا في نظرة قوميتنا المزدانة بالبدائع كما أننا لو انتزعنا بعض الالوان التي موهت بها جدران كنائسنا نجد وراءها لما مذهبة لاسم الله الصمد ⋅⋅ محفورا بالكوفية ⋅⋅

« فاننا لو خدشنا بشرتنا الاوروبية الصفراء لبرز لنا من تحتها لون بشرة العرب السمراء ⋅⋅ فما قوميتنا الغربية الا العرض الظاهر ⋅⋅ أما حقيقتنا الخالدة فهي القومية الشرقية » ⋅ ولكن فليكس فارس يعلق على ماقال المستشرق اذ فصل بين الاسلام والمسيحية بقوله : «ولاقف هنا أمام هذا الشاعر الكبير الذي يرى المسيحية مستقرة في ضميره والاسلام مستقرا في فطرته ⋅⋅ لاقول له ⋅⋅ انه بالرغم من ادراكه أن الغرب قد بدل فلسفته المسيحية لم يتمكن من ايصال الاسلام الى ضميره كما انه امتنع عليه أن يبلغ بالمسيحية الى فطرته وبقي النزاع مستحكما فيه بين الفطرة والضمير لان ثقافتهالمسيحية لم تزل متأثرة بالاحاجي والمعميات » ⋅⋅

ثم يقول : ان هذا الوحي الواحد في أصله المنزل لاصلاح الحياة في ثلاثة أزمان مختلفة لا يتجلى للغريزة الشرقيــة الا صوتا واحدا تعالى ثلاث مرات داعيا الى المعروف ناهيا عن المنكر **وما كان عيسى مناقضا لموسى** ⋅⋅ ولاكان محمد ناقضا لعيسى ⋅⋅ اننا لو عرينا حياة المسيحي مما علق بها من عادات الغرب وعرينا حياة المسلم مما علق من عادات الفرس ورجعنا بالرجلين الى الكتب السماوية الوضيئة لصعب علينا أن نعين موضع الفرق بينهما » ⋅

ويقول : « انني أعترف جهارا ⋅⋅ أنني برغم امكاني تفهم روح الموسيقى الغربية لان أمي أنشدتها فوق سريري وأنا طفل وأمي من وطن (جان جاك روسو) مستلهم الشرق في ثورته ⋅⋅ انني بالرغم من ذلك لا أفهم الموسيقى الغربية الا بدماغي ⋅⋅ أما أصداء روحي فانها لا تتجاوب الا اذا سمعت في السحر أصوات الاجيال القديمة في أمتي تهتف في أعالي المآذن ⋅⋅ حي على الفلاح ⋅⋅ حي على الفلاح ⋅⋅ الله أكبر الله أكبر ⋅⋅لا اله الا الله ⋅⋅» ⋅⋅

وأما الصوت الثالث الذي ذكرته لكم فاكتفي أن أحيلكم على ما كتب وسطر وكأنه أراد أن يبلغ هذا الصوت الى الغرب فكتب كتبه بالفرنسية ثم ترجمت الى العربية وأعني به الفيلسوف العربي مالك بن نبي الجزائري ⋅⋅ وهو كتاب : « مستقبل الاسلام » وكتاب « وجهة العالم الاسلامي » وكتاب : « الفكرة الاسيوية والافريقية » و « الظاهرة القرآنية » و « شروط النهضة » وكتب ومحاضرات أخرى ⋅

ان خلاصة نظرية مالك بن نبي ⋅⋅⋅ ان الحضارة الغربية قد آلت الى افلاس ⋅⋅ وشرح هذا شرحا مفصلا ⋅⋅ وأما ما آل اليه الشرق في عصور انحطاطه فهيكل فارغ ⋅⋅ وألفاظ جوفاء ⋅⋅ والحضارة اليوم تنتظر ظهور الانسان الجديد ⋅⋅⋅ الذي رسالته التوفيق بين العلم والضمير ⋅⋅ بين الاخلاق والصناعة ⋅⋅ والطبيعة وما وراء الطبيعة ⋅⋅ ان مالك بن نبي يمثل مرحلة التحرر من التبعية ، والشعور بالذات بعد الشعور بالنقص ، انه طليعة ورائد ⋅⋅⋅

ومع أننا اليوم نعيش مرحلة التحرر من التبعية السياسية والتي تكون في تاريخنا الحديث الاطارالصحيح للتحرر من التبعية الفكرية والحضارية فلا يزال يعيش الكثيرون من المثقفين العرب ⋅⋅ على فتات موائد الغرب ⋅⋅ ولا يزالون يقفون موقف الذاهل المندهش أمام حضارة الغرب ⋅⋅ موقف التلميذ الصغير أمام أستاذ كبير ⋅⋅⋅ وأما ⋅⋅ « مالك بن نبي » فهو الذي يقف أمامنا ليقول

لنا سنقف بعد الان من الغرب موقف الاستاذ من التلميذ

.. يكفينا هذا الشعور بالضعف والنقص والطعن في تاريخنا وتراثنا وحضارتنا . والقول أن أولئك الذين نهضوا بالانسانية منطلقة رسالاتهم من بلادنا .. من ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وأمثالهم من الانبياء لم يصنعوا شيئا بالنسبة الى فرويد ونيتشه وماركس وانجيلز .. انه قول من يحتقرون أنفسهم وأمتهم وينكرون الحقيقة ويجهلون ما بعثه هؤلاء الذين سموا بنفوسهم فوق البشر من روح انسانية عميقة ونفحة الهية في أجيال البشرية المتعاقبة .. ان هؤلاء أناس سطحيون من صغار تلاميذ الغرب وان دورهم في حضارتنا الحديثة قد انقضى فهم ليسوا الا نقلة ومقلدين ومترجمين .. وقد انتهينا من مرحلة النقل والتقليد والترجمة وبدأنا في مرحلة الابداع مرحلة الشعور بالذات .. ومن هنا تفهمون ذلك المغزى البعيد الذي تستمد بلادنا منه معناها وقيمتها .. ان المملكة العربية السعودية هي الدولة الاولى التي رسمت بالاسلام طريق التحرر المزدوج .. التحرر السياسي والتحرر العقائدي .. والتحرر الحضاري .. والتحرر الفكري .. ولذا تجدون لهذه الدولة الاسلامية في كثير من واقعها معنى وصدى عالميا ...

ذلك أن الغرب يفهم أكثر من الكثيرين منا مع الاسف المغزى البعيد للانسان الجديد الذي سينبثق من الحضارة الاسلامية التي تبنيها بلادنا ... لتعبر بذلك عن معنى هو في أغوارنا وفي أعماق نفوسنا وتصل ما بين تاريخنا البعيد الذي بدأ من العربية الاولى قبل الاسلام ثم ازدهر وارتقى على العالم بعد الاسلام .. ثم انحدر في العصور الاخيرة ..

ينبغي منذ الان أن نعرف أين هي حضارة الغرب الحديثة وأين نحن الان وماذا نستقبل كما قلت ... لنعرف هدفنا .. ونتحكم في أدق وأصغر تفصيلات حياتنا .. ولنعي من جديد رسالتنا وأن القضية ليست فقط في أن نطرد المستعمر من بقية بلادنا العربية التي ما زالت تحت نير الاستعمار .. ولكن وظيفتنا أن نطرد المستعمر ، وأن نطرد نفسية الاستعمار من بلاد المستعمر نفسه .. أن نحرر الانسانية جميعا .. أن نحررها في الغرب كما نحررها في الشرق ...

اننا نريد أن نرقى بالعالم .. نريد أن نحرر البشرية من نفوسها ... ومن شهواتها .. لنعيد الى العالم الرخاء والسعادة والعدالة والفضيلة .. والسلام.

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

صدق الله العظيم

محمد كامل الخجا

عدد كانون الأول ١٩٧٧

من

مجلة الثقافة

عن الأدب في سورية

الأدب السعودي الحديث في الميزان

أسيمة الشهيل

تاريخنا العربي الاسلامي .. سطر لنا صفحات المجد والبطولات الخالدة .. وتاريخنا الحضاري الاسلامي ... شهد لنا بأننا كنا السابقين في ارساء علوم الطب والرياضيات والكيمياء والفلك وغيرها من العلوم .. وتاريخ المرأة في الاسلام .. شهد لها بمكانة مشرفة رفيعة ، فهي المحاربة المجاهدة .. وهي البليغة الفصيحة لست هنا في صدد الحديث عن تاريخنا وأمجادنا وبطولاتنا ومشاهير نسائنا فقد كفاني ذلك الكتاب والادباء والصحافة ... وكأن العقول العربية قد نضب معينها من الافكار والبحوث .. وتضاءلت قدرتها على الابداع والابتكار .. فأصبح موضوع التغني بالامجاد الغابرة قاسما مشتركا بين الجميع . ولئن دلت تلك الظاهرة على شيء فانما تدل على ثقة مزعزعة بالنفوس .. فالتفاخر بالماضي عادة جاهلية قطع دابرها الاسلام .. وأحل محلها ثقة راسخة العمق تستقي متانتها وأصولها من الايمان بعقيدة سمت بالعقول العربية الى حد الكمال ! والان .. ماذا عن تاريخ الادب العربي في جزيرة العرب ؟ ... انه الادب العريق في أصالته وخلوده ! فماذا اذن عن تاريخ الادب السعودي الحديث ؟ بكل أسى نقول : لابد لنا من الانسياق في نفس المسلك الذي سايره الكتاب والمؤلفون الصحفيون ... فلم يظهر في ساحتنا من نتغنى بأمجاد عطائهم وانتاجهم ... فلا بد اذن من الرجوع القهقرى مئات السنين لنرفع عقيرتنا ونقول : في يوم من الايام .. وقف على أطلالنا أعظم الرجال .. ووصف نجومنا وسماءنا افصح الادباء ... وتغزل بجميلاتنا أرق الشعراء ... وخلد مثلنا وشجاعتنا أبلغ الفصحاء ! ... في يوم من الايام ترجم أسلافنا ثقافات العالم ، فتلاقح فكرنا مع أفكار الشعوب .. فأخذنا عنها وأعطيناها ونقدناها فاكتسبنا ليونة الاخذ والعطاء .. .ثم البسنا معارفنا ثوب الاصالة العربية الخالصة .. .في يوم من الايام كنا مدرسة فكرية حضارية متكاملة أصلها في الارض ، وفرعها في السماء .. .فأين نقف الان ؟ ..

أين أدباؤنا وشعراؤنا ومؤلفونا ومترجمونا ؟ أين شاعراتنا ومحارباتنا وفصيحاتنا وملهماتنا ؟ بالامس كان ضياء نجومنا يفتق ظلام من عميت أبصارهم وكانت صحراؤنا برمالها وتلالها وأطلالها تفجر المواهب وتطلق المشاعر فما بالنا اليوم ؟؟ ... ان ظاهرة القحط والجدب

في حقل الادب في بلادنا لظاهرة مفجعة اذا ما قورنت بخصوبة العطاء الادبي لتلك الديار .. وبما أن قصة العظمة والاصالة للادب العربي قديمة قدم التاريخ وغير خافية على أحد .. فان هذه الحالة من الاعسار لتسلتفت النظر ، وتثير التساؤل وتستدعي وقفة كبرى . واذا كان معظم أدبائنا ومفكرينا يعزون تخلفنا في مجال القصة والرواية والمسرحية الى كون هذه الفنون الادبية مستحدثة ولا أصول لها في الادب العربي ، ويرجعون تفوق البلدان العربية الاخرى علينا في هذا المجال الى سبقهم وتقدمهم علينا بالانفتاح على الثقافات الاجنبية .. واذا كان في هذا الدفاع حجة ملؤها الصحة والاقناع .. فما هو تفسير تخلفنا الواضح في مجال احياء التراث العربي القديم ... ؟ فطلابنا في الجامعات يقرر عليهم الرجوع الى أكداس من الكتب كمراجع لدراساتهم وأبحاثهم .

ولكن يكاد يكون من النادر أن تعثر بين اسماء المؤلفين على اسم واحد أو اثنين من الكتاب السعوديين .. !

ولئن كان رواد الادب السعودي في العصر الحديث اكثر نشاطا وعطاء في مجال الشعر والمقالة ، الا أن ذلك لا يمنع اعترافنا مجددا بأن عطاءنا في هذا المجال اذا ما قورن بعطاء الدول العربية الشقيقة عطاء هزيل كشجرة أصابها المن ، فعريت الا من بعض وريقات متناثرة على أغصانها هنا وهناك .. أما اذا ما قورن بتاريخ هذه الامة وعراقة هذه الديار بالفصاحة والبلاغة والعطاء لساقتنا النسبة الى نتائج غاية في السلبية والجمود ولئن شعرنا برغبة في أن نشير الى حاملي النهضة الفكرية والادبية في البلاد بيد اللوم والعتب الا اننا لازلنا نأمل تعويضهم ما أصابنا من التقصير والعقوق تجاه مكتبة الادب العربي ونتلهف لظهور مواهب جديدة .. نملأ الفراغ وتزيح عبء القصور في الانتاج والتأليف .

هذا .. ولئن بدت ظواهر للانتعاش الادبي السريع في السنوات الاخيرة الا أن ذلك لا يمنع مناقشة الاسباب والظروف التي لازمت حركة الادب السعودي الحديث فكان لها أثر سلبي في حركة نموه وتطوره .

اولا : تدني منزلة الشعر والادب في العصر الحديث :

فقد كان الشاعر في الجاهلية الناطق الرسمي بلسان القبيلة . تحدد قصائده المعايير الاجتماعية والسياسية والاخلاقية ، وكان العرب يعشقون الفصاحة والبلاغة ، ويتذوقونها باحساس فني أصيل ففتح الخلفاء والولاة أبوابهم لاهل العلم والادب وأجزلوا لهم العطاء وأولوهم المنازل الرفيعة والاحترام والتقدير . .الا أن هذه المنزلة الرفيعة بدأت بالانحسار التدريجي حتى بلغت أسوأ مراتبها في هذا العصر ..

ولشرح هذا المعنى نستشهد بما قاله الدكتور غازي القصيبي في محاضرة ألقاها في نادي الطائف الادبي بتاريخ ٢٧ـ٨ـ١٣٩٦ هـ :

ان فترات التاريخ التي تلت الجاهلية شهدت انحسارا تدريجيا في مجد الشعر ودوره السياسي والاجتماعي ويكفي أن نتحدث عن أربعة أسباب ساهمت في عملية الانحسار :

١ ـ كان الشعر في الجاهلية الفن الوحيد ، ثم مالبث أن نافسته فنون أدبية أخرى كالخطابة والكتابة بأنواعها .. .ثم ظهرت علوم جديدة لم تكن معروفة من قبل كالعلوم الشرعية وعلوم النحو والرياضيات والطب والفلك والاحياء .

٢ ـ كان أهم سبب لانتشار الشعر هو سهولة حفظه في مجتمع لا يحسن القراءة والكتابة ولقد كان من الطبيعي أن يؤدي انتشار الكتابة الى امكان تداول النشر بسهولة مما أفقد الشعر ميزة كبرى .

٣ ـ أدى تطور الحضارة وتعقد المجتمع الى أن يفقد الشعر تأثيره السحري على العقل العربي ، ولا أظن أحدا يشك في أن انسان العصر العباسي الذي عرف قدرا كبيرا من الثقافة وعاش في بيئة فكرية متطورة ، ما كان

يمكن أن يستجيب للشعر بنفس الاندفاع والحماس الذي عرفه انسان العصر الجاهلي الذي كان ينام ويصحو ويسير على ايقاع الشعر .

٤ ـ أدى انهماك معظم الشعراء في المديح ، وتحولهم الى اجراء يقولون ما لا يعنون افقدهم بعض احترام الناس وبالتالي بعض قدرتهم على التأثير بالناس وبقدوم عصور الانحطاط فقد الشعر محتواه الفني ومضمونه الاجتماعي، ورغم أن بداية القرن العشرين شهدت محاولات من الشعراء العرب للنهوض بالشعر واعطائه بعدا اجتماعيا سياسيا . .الا أنني لا أجد أي دليل يقنعني بأن هذه القصائد كانت رافدا من روافد العمل السياسي العربي ، واستطيع القول ،اننا اذا استعرضنا المؤثرات الفعالة في حياة المجتمع العربي خلال السبعين سنة الماضية .. لم نستطع .. رغم ما نكنه للشعر من محبة أن نعتبره أحد هذه المؤثرات . ولعل أحدا لا يجادل بأن كتاب المقالة السياسية والصحفيين والعاملين في أجهزة الاعلام الاخرى ، لعبوا دورا يفوق بكثير دور الشعراء في رسم خارطة العقل العربي .

ثانيا : تأخر أدبائنا عن الاتصال بالثقافات الاجنبية :

وبتعبير اخر خمود حركة الترجمة ، وعدم دراسة اللغات الاخرى ، مما سبب في تأخر اطلاعنا على الاداب العالمية الاخرى .. ! فماذا كانت نتيجة ذلك على أدبنا؟

.... اذا رجعنا الى الفكر العربي في عصر صدر الاسلام نجد أنه كان يستقي علومه من رافدين : جاهلي وأعظم مظاهره الشعر وأنساب القبائل واسلامي يبدأ في القرآن الكريم والحديث وسيرة الرسول (ص) وغزواته .. ثم الفتوح الاسلامية وأحداثها .. ! وما أن أتى عصر بني أمية والعباسي من بعده حتى ظهر رافد ثالث أجنبي وهو جداول الثقافة التي وردت على العرب من اختلاطهم بالامم الاخرى بعد الفتوحات الاسلامية الكبرى . واندفع العرب يبحثون وينقبون عما لدى هذه الامم التي سبقتهم بالحضارة .. يبحثون عن المعارف الجديدة سواء أكانت تطبيقية مثل تخطيط المدن والبناء والزراعة والري وطرق جباية الخراج وضبط الدواوين وانشاء الاساطيل ... ! أو المعارف النظرية التي تمثلت في ثقافات الامم الاخرى كالفارسية واليونانية والهندية .. وابتدأت حركة الترجمة الكبرى ... فانتقلت الكنوز الفكرية الى الامة العربية .. وعرف العرب الفلسفة اليونانية .. والمنطق .. وأحبوا الجدل .. وكانوا ناشرين لدينهم .. يجادلون النصارى وأصحاب الملل الاخرى .. وبرعوا باستظهار الادلة والبراهين .. وظهرت اثار تلك الثقافات والعلوم الجديدة في شعرهم ونثرهم .. فكانت حركة الترجمة هذه وسيطا أضاف للفكر العربي الكثير من الدعم الذي زاد في اثرائه وتطوره رغم محافظته على أصالته العربية والاسلامية !

أما في العصر الحديث . .فيبدو لنا أن دول العالم العربي قد تقدمت علينا في مجال استيراد الفنون الادبية الحديثة الغربية بمختلف القوالب والاتجاهات . فهذه مثلا مصر وبلاد الشام .. قد تفوقتا في مجال القصة والرواية والمسرحية ، بسبب اتصالهما المباشر بمواطن هذه الفنون الحديثة ، عن طريق الاستعمار الغربي الذي نشر ثقافته ومدارسه في هذه المناطق .. ثم مالبث أن ظهرت حركة الترجمة والتعريب لهذه الثقافات الواردة على مبدأ ابن خلدون القائل « يتشبه المغلوب بالغالب في ملبسه ومأكله ومركبه وسلاحه » ! أما بالنسبة للجزيرة العربية ... فلم تكن متأخرة عن غيرها بالاطلاع على الاداب الغربية فحسب ،بل كما قال الدكتور منصور الحازمي في احدى محاضراته بجامعة الرياض عن الادب العربي الحديث عام ٩٤ ـ ٩٥ هـ : (لم يكن اتصال أدبائنا بالحضارة الفكرية الغربية متأخرا وحسب ، ولم يكن في معظمه اتصالا مباشرا ، بل كان عن طريق الوسيط اللبناني أو المصري أو المهجري ، وتلك حقيقة تكشف لنا المسار

الذي اتجه اليه الادب في بلادنا منذ بداية نهضته في الربع الاول من هذا القرن وحتى الان . .وهو مسار ترفده مراكز الثقافة العربية المجاورة بكل ما فيها من عناصر متباينة ومزيج مركب من القديم والجديد)

من هذه النظرة الخاطفة يتبين لنا أن الروافد الفكرية تدفع بالثقافات الى الحركة والتطور والنمو .. ولسنا هنا ندعو لان يكون فكرنا نقليا مقلدا .. كلا .. انما نعتبر في تلاقح المعرفة والثقافة المتنوعة حافزا للتطور والتحرك نحو التكامل . فقد استوردت أمريكا ركائز نهضتها الصناعية من مراكز القوة في أوروبا ثم ما لبثت أن طورتها حتى تفوقت بها على العالم كله .. واستوردت اليابان الحضارة الامريكية ولا زالت دائبة بالعمل المتواصل .. حتى غدت منافسة لها ! ...

ثالثا : الوضع الاقتصادي والدعوة العلمية :

كلنا نعلم أن الحركة الانمائية التصاعدية في هذه البلاد ارتبط ظهورها بحدثين :

١ ــ توحيد البلاد وتأسيس الحكم الرسمي للمملكة العربية السعودية من قبل المغفور له جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود .

٢ ــ اكتشاف الثروة البترولية بعد أن كانت المنطقة تعاني من قحط الموارد بكل ما تحمل هذه الكلمة من أصول وفروع ...

وخلال تلك الفترة تضخم عبء العمل بصورة تصاعدية مستمرة .. ووجد المسؤولون أنفسهم وقد حملوا عبئا هائلا من برامج التنمية التي يجب تنفيذها في المنطقة بصورة سريعة . .ومما يزيد العبء ثقلا كوننا بدأنا بالتنمية والتطوير في القرن العشرين ، الذي كانت سمته التفوق العلمي الهائل ، وطابعه السرعة المذهلة في تحقيق المنجزات العلمية وتطويرها في العالم . .فكان علينا أن نركض ونلهث لنلحق بالركب الذي تأخرنا عن مسيرته .. وانطلاقا من هذا الوضع ظهرت الدعوة الى التركيز على الاختصاصات العلمية البحتة .. فالوزارات التي امتلأت رفوفها بخطط التنمية ومشاريع فتح الطرق وانشاء المطارات وتوسعة الموانىء وبرامج الاسكان وتطوير الجيش وتحلية مياه البحر وانشاء المدارس والجامعات واقامة المدن .. أصبحت محتاجة بالضرورة للكفاءات العلمية والاختصاصات التي تسد احتياجات طور التأسيس الحضاري في البلاد ... وتضاءلت فاعلية الادب ... وأصبح الرأي العام مشغولا عن انتاج الكلمة .. يحصي مشاريع الدولة وما حققته من انجازات ..

ولا نستطيع أن ننكر ، أن هذه الدعوة العلمية البحتة جاءت نتيجة حتمية لاوضاع البلاد الحالية .. وما فرضته من حركة التطور السريع .. الا أنها ليست مقصورة علينا فقط .. بل هي قائمة في جميع الدول العربية الشقيقة .. بل وفي العالم اجمع ، فقد بهرت الانجازات العلمية الغربية المتفوقة .. العقول .. فدعت الناس الى غربلة أعمالهم ومراجعتها .. فقد حمل العالم العربي لواء الفكر والبلاغة والفصاحة والشعر والادب زمنا طويلا .. والان أعاد النظر بالماضي وقرر اللحاق بركب العلم والتكنولوجيا .

ولكن .. هل معنى ذلك أننا لا نوافق أمتنا في اتخاذ هذه الخطوة .. وهل معنى ذلك أننا نطالبها بالعدول عن اتجاهها نحو العلم والتطور .. ورجوعها الى عزة ماضيها في الادب والشعر ... ؟ كلا .. ليس هذا ما قصد في تلك اللفتة اطلاقا وانما ذكرنا ذلك لسببين :

١ ــ لاظهار هذا التحول العلمي كسبب قوي أدى الى تضاؤل فاعلية الادب في العصر الحديث .

٢ ــ للتنويه .. بأن الحضارات لا يمكن أن تبنى على العلم وحده والمادة وحدها مع اغفال النواحي الفكرية والمعنوية . فقد كانت وستبقى معطيات الفكر الادبية والمعنوية .. ميزانا لحضارة الشعوب وتطورها .. .ولم ينم قط .. أدب رفيع عند الامم المتخلفة ..

والامثال قائمة في صفحات التاريخ فالامم : الفارسية ٠٠٠ واليونانية ٠٠ والهندية ٠٠ والعربية ٠٠ عندما كانت أقوى شعوب عصرها ٠٠ كانت ادابها أعظم الاداب الانسانية قاطبة ٠٠٠ وصدرت الفكر والثقافة للعالم ٠٠ وعندما تخاذلت وتفككت ٠٠ انحدرت ادابها ٠٠ وانحسرت اثارها ٠٠٠ وانزوت في كهوف مظلمة !

رابعا : اهمال خطط التنمية للقطاعات الفكرية والمعنوية :

والتحدث في هذا الموضوع ذو ارتباط متكامل بالبند السابق الذي تحدثنا عنه وهو الوضع الاقتصادي والحضاري في المملكة السعودية ، الا أننا سنأخذ بمناقشة وجه اخر لنفس الموضوع ، يختلف اختلافا كاملا عن سابقه ٠

فكما ذكرنا ٠٠ ان الظروف التي فرضتها الحاجة الملحة على المسؤولين عند دراستهم لخطط التنمية أن يكثفوا الاهتمام على النواحي المادية النفعية البحتة ٠٠ ونحن اذ نقدر ضخامة المسؤولية التي تفرض عليهم العمل الحثيث لوضع تلك الخطط موضع التنفيذ ، الا أننا نتساءل ؟؟ ماذا عن خطط التنمية الفكرية والمعنوية ؟؟ أين يقف الاديب بفكره ٠٠ والشاعر بقصائده ٠٠ والرسام بلوحاته ٠٠ وسط زحام المادة ؟؟ وهل حظي هذا القطاع بنسبة معقولة من الميزانية كي تخصص لدعمه وتطويره ؟ بل هل حظي هذا القطاع بالدراسة والتخطيط لايجاد الوسائل التي يمكن توفيرها لاتاحة فرص اكبر لتشجيع العطاء والانتاج ؟

الحقيقة أن الاهتمام الذي لقيه أهل الفكر والقلم لايتناسب مع ضخامة الخطط المرسومة للتنمية في البلاد وخاصة اذا ما نظرنا الى الاهتمام البالغ الذي حظيت به القطاعات الاخرى (القطاع الرياضي مثلا) ٠

وهناك حقيقة لا يمكننا أن نغمض الطرف عنها ٠٠ وهي أن أهل الفكر والقلم عندنا مجبرون على العمل بصرف النظر عن نوعية الاعمال ٠٠ طلبا للقوت والرزق ٠٠ ٠فما هي النتائج التي حصدناها من ذلك ؟

١ ــ عدم تواجد الظروف الملائمة للامتهان الادبي والتفرغ ٠ ٠فمهنة الادب لاتسمن ولا تغني من جوع ، ومشاغل العمل تذهب فرص التفرغ للقراءة والاطلاع والبحث ومن ثم الانتاج ٠

٢ ــ اتجاه المتخصصين بالثقافات العليا الى مهنة التدريس الجامعي ٠٠ ولسنا هنا بصدد التخفيف من عظمة شرف التدريس الجامعي ، ومسؤوليته في تعليم الاجيال وبناء الاساس الفكري والثقافي للامة ٠٠ وانما نقول ان الاعباء الضخمة التي يحملها الاساتذة تقف حائلا دون تفرغهم للتأليف أو الترجمة أو احياء التراث أو طرح البحوث الهامة التي تتعلق بمجالات اختصاصاتهم ٠

٣ ــ اتجاه الجزء الاخر من أصحاب الفكر والقلم الى امتهان الصحافة ٠٠ والصحافة لا تشبع من العطاء ٠٠ ولا تتوقف عن الاخذ ٠٠ فتلتهم الوقت والاقلام والجهود وما اكثر من فقدهم الادب عندما تفرغوا للصحافة واكبر مثل على ذلك كلمة اعتراف للاستاذ أحمد عبد الغفور عطار في كتابه ــ كلام في الادب ــ حيث قال :

نعم جنت الصحافة عليّ أفظع جناية حيث أجبرتني أن أترك الادب الحق لاعمل بالصحافة ، وما اشتغلت بها الا مجبرا لاعيش ، ولو كنت ذا ثروة أو مكفيا في المعيشة لما رضيت أن تلتهمني وتتحكم بي وتستبد وتظلم ٠ وكان بين يدي بضعة أعمال أدبية ضخمة تركتها مضطرا ومنها : تحقيق كتب مطبوعة طباعة غير موثوق بها وبعضها مخطوطات أدبية وعلمية ولغوية وتاريخية ٠ ومنها دراسة الاتجاهات الحديثة للفكر العربي ، ودراسة مقارنة للمجتمعات ، ودراسة الطبقات والاقتصاد في الاسلام ٠٠٠ ولكن جاءت الصحافة فشغلتني وصرفتني عن طريقي ٠٠٠!

٤ ــ أدت الاسباب السابقة مجتمعة الى ظاهرتين :
الاولى ــ النقص الهائل في حقل التأليف والانتاج ٠

والثانية ـ اقتصار محاولات معظم أدبائنا وكتابنا على تجربة واحدة أو اثنتين أو اكثر قليلا عند قلة منهم في المدة الاخيرة ... فالكاتب الذي يخوض تجربة التأليف دون أن يكون متفرغا لها ، لا بد وأن يصادف كثيرا من الارتباك والارهاق لمحاولته التوفيق بين عمله ومسؤولياته من جهة وبين مصاعب البحث والتأليف من جهة أخرى . فاذا انتهى بعون الله من تجربته الاولى تردد كثيرا قبل أن يغامر بالثانية .

ومن هنا نجد أن كتابنا باقلالهم هذا لا يدعون المجال للتطور والنضج من خلال تكرار التجارب والمحاولات .. فتتوقف محاولاتهم عند البداية .. وتبقى تجاربهم عائمة على السطح عاجزة عن اكتشاف الاعماق .

خامسا : الارتباك في حركة النقد الادبي .

عندما بدأت بوادر التحرك الادبي في البلاد منذ أواخر الربع الاول من هذا القرن رافقتها بطبيعة الحال بوادر لحركة النقد الادبي .

وقد كان النقد منذ عرفه العرب بالجاهلية بصورة فطرية بدائية والى عهدنا الحالي غربالا يميز بين الجيد والرديء ،ودافعا لتهذيب المواهب وصقل الملكات .. وبما أن ظهور الحركات النقدية ملازم أصلا لظهور الحركات الفكرية والادبية ، فان خمود الفكر وضمور الادب بالتالي يستدعي ارتباكا وخمودا في حركات النقد .

وقد بدأت حركة النقد في أولها في أواخر العقد الثالث من هذا القرن كما ذكر الدكتور محمد الشامخ في كتابه (النثر الادبي في المملكة العربية السعودية) عندما ظهرت الدعوة للثورة على الادب التقليدي والانتماء للمدرسة الادبية الحديثة . الا أن الكتابات التي طرحت في هذا المجال كانت متسمة بالغموض والتعميم والاندفاع ولم تعرف العمق والموضوعية وأصول النقد . ثم مالبثت أن ظهرت جريدة ـ صوت الحجاز ـ في أوائل العقد الرابع من هذا القرن .. فتحولت معظم أعمدتها الى المعارك الادبية النقدية التي لم يقم معظمها لخلاف حول مفاهيم نقدية معينة بل تحولت الى معارك ذات دوافع شخصية ونزعات ذاتية .. مما جعل محرر صوت الحجاز في العدد ٨١ ـ تاريخ ١ـ١١ـ١٩٣٣ م يعلن بأن الجريدة لن تنشر شيئا من مقالات النقد الهجومية قائلا (وكأنهم بذلك يريدون القضاء على تلك الروح الادبية في مهدها).

ومن الزلات التي وقع فيها النقد الادبي عندنا في بداية ظهوره .. نظرة الترفع عن كتابة الادب والشعر بصورة خاصة .. ففي فترة زمنية معينة نظر الناس الى الشعر .. والقصة .. على انها تجارب شخصية بحتة وترجمة ذاتية لمشاعر الاديب وعلاقاته الخاصة .. مما سبب حرجا لبعض الكتاب والشعراء في طرح انتاجهم ونشره خوفا من انتقاد المجتمع لهم . وفي هذا يقول محمد سرور الصبان في كتاب أدب الحجاز بالصفحة السادسة : « قرض الشعر وروايته .. والنظر في كتب الادب مما لا يليق ... والترفع عنها من الكرامة » .

هذا ولئن تلاشت تلك النظرة في الوقت الحاضر .. الا أنها لازالت تحجب عنا الكثير ... الكثير .. من الادب النسائي !

ولا يفوتنا أن نذكر ، أن حركة النقد قد أخذت بالانصاف والنضوج والموضوعية وتدرجت نحو الكمال والوعي للاصول والاسس التي بني عليها النقد الهادف الصحيح ، وابتدأت حركة النضج هذه في تصاعدها منذ العقد الخامس من هذا القرن الا أن ماعاناه النقد الادبي السعودي قبل هذه الفترة ، من الارتباك والضعف كان له أثر سيء على التحرك الادبي وقد أسلفنا سابقا شدة الالتصاق والترابط بين النقد والادب .

سادسا : الدعوة الحديثة للادب الحر :

لسنا هنا في صدد المناظرة والموازنة بين الادب القديم والحديث أو الانتصار لاحدهما على حساب الاخر ... وانما سنأخذ من الموضوع الجانب الذي نشعر بارتباطه

وأثره على الادب السعودي الحديث . فمنذ أن قامت حركة التجديد في الادب الحديث بثورتها العارمة على القيود التي التزم بها الادب العربي لقرون طويلة من الزمن ... نتج عن تلك الدعوة المتجددة ظواهر متعددة طرحت جوانب ايجابية وسلبية على حد سواء ...! فمن ايجابياتها حركة الابداع الفكري والتجديد العقلي التي بعثت الفكر العربي من رقاده بعد أن احتواه الضياع ولفه العقم ودخل في جحور مظلمة قاتمة قرونا طويلة من الزمن امتدت منذ سقوطه الدولة العباسية الى انتهاء الحكم العثماني ، حيث أصبح الادب العربي حلقة مفقودة سقطت من سلسلة التاريخ .

أما السلبيات للدعوة الحديثة للادب الحر فتجلت في ظاهرتين :

الاولى : أنها فتحت باب الادب ، ونزعت عنه الحجاب والحراس وسمحت دون استثناء بدخوله وارتياد حرمته من قبل الجميع .. فاختلط الحابل بالنابل وأتيحت الفرص أمام الموهوبين والمدعين على حد سواء .. وامتلأت المكتبات بأكداس من الانتاج ندر جيده .. وكانت غالبيته من انتاج زمرة المتطفلين على الفكر والادب .. فكتبوا مايشبه النثر وأسموه أدبا .. وجمعوا كلمات غثة متنافرة متناقضة ، وأسموها شعرا حرا وطليقا .. وانحدر مستوى اللغة العربية .. وأثقلت السطور بالاخطاء النحوية والتراكيب الركيكة .. وأصبح معظم الانتاج المطروح في الاسواق مكتوبا باللغة الثالثة ونعني بها لغة جديدة مفهومة من قبل الجميع ولكنها لا تحمل هوية واضحة ، فلا هي بالعامية الدارجة لمراعاتها للاصول اللغوية العامة ، ولا هي بذات قربى الى اللغة العربية الفصحى . وسبب كل هذا انحدارا في المستوى العام للانتاج الادبي ، فابتعد الجيل عن الاصالة في الادب ولم يعد يجد في المكتبات ما يغذي فكره ويهذب مواهبه ، فكان في ذلك جناية على الذوق العام عند الناس ، واحباط للمواهب الفتية التي ابتعدت عن الاصالة الفنية فتوقفت تلك المواهب حيث هي ... وقد حرمت من أسباب الارتقاء نحو النضج والتكامل .

الثانية : ظهور مهنة حديثة لم يعهدها الادب العربي ولا الاداب العالمية الاخرى وهي مهنة « التجارة الادبية » فقد قام بعض الادعياء بطباعة كتب رخيصة الفكرة والمعنى والاسلوب تدور موضوعاتها في مجالات مختلفة لاعلاقة لها بالمفاهيم الانسانية التي ارتبطت بالاداب الراقية .. ومنها كتب الجنس والاثارة والمتع المبتذلة ، أو المغامرات السطحية المفتعلة ، أو البطولات الخارقة الخالية من الغاية والمعنى ، أو الكتب المأجورة التي كان الغرض من تأليفها نشر مبادىء أو عقائد معينة ، ولا علاقة لها بأصول الادب ومفاهيمه وغاياته .

وصرفت الاموال لترويج الدعاية لهذه الكتب .. للاسراع في جني الارباح والاموال من ورائها وهكذا دخلت التجارة في نطاق الادب ، وقذفت المطابع اكواما من الكتب الرديئة نثرا وشعرا ... وكانت النتيجة ، أن افتقدت أجيالنا القدرة على الانتقاء فدفعت بهم تلك الظروف الى متاهة البحث عن الجيد حينا .. ومتاهة الانسياق وراء الانتاج الردىء أحيانا أخرى !

والان .. وبعد ذلك المرور على مناقشة أسباب آفة الجمود التي أصابت الادب السعودي لفترة طويلة فاننا نود أن نعقب القول ببعض الملاحظات . ان الارض التي شرفها الله واصطفاها لنزول القرآن الكريم باعجازه وكماله لن ينضب فيها العطاء .. وان الاصالة التي اتصف بها الفكر العربي الذي انطلق من هذه البلاد لن تتلاشى مهما جنت .. وان الحضارة الفكرية العريقة التي صدرتها تلك الديار فأصبحت مدرسة يأخذ عنها العالم لن تمحى وان بهتت ألوانها .. ! فالجوهر موجود .. كامن في رمالها وتلالها .. وما علينا الا نفض الغبار عنه

ليعود الى لمعانه ويستدعي ذلك اتخاذ بعض الحلـــول والخطوات مثل :

• اهتمام الاعلام بكل أجهزته في زيادة البرامج الادبية سواء في التلفاز أو الاذاعة أو الصحف والمجلات ... وعلى سبيل المثال فهناك برنامج تبثه اذاعة بغدادتحت اسم ـ رسائل جامعية ـ يناقش فيه الاساتذة طلابهـــم برسائل الماجستير والدكتوراه في مجالات الاختصاص .. ومثل هذا البرنامج يطرح فوائد هائلة ، ان لم ينتفع بها الجميع .. فانها ولا شك تنفع طلاب المراحل الثانوية والجامعات والكليات والدراسات العليا .

• محاولة النهوض بتلك البرامج الادبية ســـواء أكانت في الصحف والاذاعة والتلفاز أو في الندوات الادبية والشعرية ، وذلك باستقطاب الاساتذة المتخصصين وأهـــل الفكر والادب والشعر .. ومثال ذلك أننا لم نشاهدالشيخ حمد الجاسر على الشاشة الصغيرة سوى مرة واحدة حتى الان .. ولطالما شاهدنا الدكتور غازي القصيبي والدكتور ابراهيم العواجي وغيرهم من أهل الفكر والادب يتحدثون عن التصنيع والتنمية وبرامج الدولة .. فلمـــــاذا لاتستضيفهم الشاشة في ندوات عن الشعر والادب ؟

• التركيز على زيادة النوادي الادبية وزيادة دعمها المادي ، وايجاد الوسائل لخلق التنافس بين هذه الاندية . كتخصيص مكافآت مالية ومنح أرض واقامة مبان واهداء كأس رمزي لاحسن ناد يثبت جدارته بالعمل والنشـــاط والانتاج .

• تخصيص مكافآت مالية مرتفعة لاوائل الطلبة في جميع مراحل التعليم ، ومثلها لاجود كتاب .. وأحسن قصيدة .. وأنفع بحث .. وكل انتاج يعود بالفائدةوالنفع للمصلحة العامة .

• اصدار مجلة أدبية ثقافية على مستوى عالرفيع، يستكتب فيها أهل الفكر والعلم والادب .. ويثار فيهـــا النقاش النقدي السليم المتصف بالموضوعية والبعيد عن الهجوم الشخصي واللهجة العنيفة ، وتأمين ايصال هذه المجلة الى الطلبة .

• ادخال طريقة البحوث الثقافية في مناهج التدريس ابتداء من المراحل المتوسطة فيعهد للطالب بقراءة بعض الكتب .. أو نقدها .. وتقديم بحث عن معلوماتهـــا ومن ثم احتساب جزء من العلامات ـ مثلا علامات أعمال السنة ـ لجهود الطالب في تلك البحوث بعد مناقشتهوالتأكد من استيعابه لها .

• توجيه الاهتمام في خطط التنمية المرسومةللنهضة الحالية الى طرح خطط تنمية مماثلة تهتم بتطوير القطاع الفكري ودعمه .. الى جانب القطاعات المادية والعملية الاخرى .. بحيث تتماشى اليقظة الفكرية مع التطـور الحضاري الهائل والسريع .

• اصدار قانون « بدل التفرغ » لاهل الفكـــر والتأليف والبحوث والترجمة والنشر وقد صدر هـــذا القانون فعلا في السنوات القليلة الماضية (......) والامل الكبير معقود على نتائجه التي ظهرت بوادرها في السنوات الاخيرة بشكل مشجع وعظيم .

• محاولة دعم حركة الترجمة والاطلاع على الاداب العالمية الراقية حتى تعمق ثقافتنا بمعرفة الثقافـــات الانسانية المتعددة الجوانب مع التركيز على الاحتفـــاظ بالاصالة العربية . ومن ثم فتح المجال أمام احياء حركات النقد الادبي الموجه لان النقد دليل على وجود الادب والاهتمام بالنقد دليل على الاهتمام بالادب، أما الصمت، وخلو الميدان من الاراء فهو دليل على الجمود وضعف الحاسة الادبية . واحياء النقد في الساحات الادبيــة ذو ارتباط كامل مع سعة الاطلاع والقراءة المتنوعة والشاملة لجميع ما أنتجه الفكر سواء في النطاق المحلي وذلـــك بالاطلاع على التراث العربي قديمه وحديثه ، أو في النطاق العالمي بالاطلاع على الاداب الاخرى في العالم قديمها وحديثها ... وكثرة القراءة واتساع المعرفةتعطي

المجال للانتقاء والمفاضلة والتفريق بين الجيد والرديء ·· وفي هذا المعنى قال الدكتور محمد مندور في رابطة الادب الحديث في القاهرة الكلمة التالية « ان الكتاب الناشئين يكتبون أحد عشر شهرا ويقرأون احدى عشر ساعة وكان الواجب أن يقرأوا أحد عشر شهرا ويكتبوا احدى عشرة ساعة » ·

واذكاء هواية القراءة والاطلاع بحاجة الى التوجيه والرعاية من عدة قطاعات :

١ – الاسرة : وتشكل المهد الاول لتربية النشء وتوجيهه وذلك بجعل المكتبة احدى الاركان الرئيسية في المنزل ، مع الابتداء بعادة اهداء الكتب للاطفال في المناسبات ومحاولة مناقشتهم وتبسيط المعلومات لهم واثابة الطفل المحب للقراءة بالهدايا الرمزية ·

٢ – المدرسة : ويتوجب عليها الاهتمام بانشاء المكتبة المدرسية كاهتمامها بانشاء المختبرات العلمية والالعاب

الرياضية وغيرها من مظاهر النشاط المدرسي · مع اثابة الطفل القارىء ببعض العلامات أو بخطاب تقدير وشكر وما شابه ذلك من الوسائل التشجيعية ·

٣ – المعاهد والكليات والجامعات : فمعظم المكتبات في تلك القطاعات الهامة تعاني من أزمة النقص في الكتب

والمراجع الهامة ، ويضل طلابها في متاهة البحث عن المصادر الرئيسية المقررة لدراساتهم مما يضطرهم

لاستيرادها من خارج المملكة أو لكتابة ملخصات عن محاضرات الاساتذة ·

٤ – الدولة : ويربطنا الحديث مرة أخرى بخطط الدولة للتنمية الفكرية · فاقبال التجار على تجارة الكتب

نادر جدا ، لان التاجر يسعى – معذورا – لرزقه وما يعود عليه بالربح الاوفر ·· ولذا نجد معظم الاحياء في مدننا

وقد خلت من المكتبات العامة والخاصة على حد سواء · فلنأخذ مثلا الاحياء التالية في الرياض : السليمانية –

العليا – البديعة – الناصرية – المربع الشميس – عليشة – الوشم ·· وغيرها نجدها خالية تماما من دور الكتب ·

أما المطار والملز فنعثر فيهما على ثلاثة متاجر صغيرة تبيع الادوات المدرسية والهدايا والالعاب والصحف والمجلات

·· وفي نفس الوقت نجد الشوارع في هذه الاحياء وقد

اكتظت بالمتاجر المتنوعة في مقدمتها متاجر أشرطة التسجيل الحافلة بالمزامير والطبول وهذا ما دعانا للقول بأن على

الدولة أن تراعي في خططها الاهتمام باقامة المكتبات في الاحياء المختلفة ·

وفي الختام نقول ··· ان مسحة التشاؤم التي لازمت السطور في هذه المحاضرة لا تعني الاستمرارية والثبات ·· وان الافات التي أصابت الحركة الادبية السعودية لآخذة بالضمور والانحسار · ففي السنوات الاخيرة ظهرت بوادر للتساؤل المقرون بالاهتمام والتحرك

·· فتساءل الجميع ·· أين الادب السعودي ؟ وبنفس الوقت ظهرت بوادر الاهتمام بالرد على هذا السؤال ، من قبل الجميع ·· الدولة وأهل الفكر وأصحاب المواهب

الناشئة والصحافة والمواطنين والطلبة ·· وبدأنا نسمع بولادة النوادي الادبية ·· والدعوة الى احياء سوق عكاظ ··· وتخصيص الصفحات الادبية في الصحف ، واحياء الندوات والمحاضرات في الجامعات والكليات والنوادي ،

وأصدرت الدولة قانون بدل التفرغ للادباء والاساتذة ، كما التزمت بالانفاق على تأليف الكتب الجيدة ·· وبدأت أسواقنا تشهد ورود سيل من الكتب القيمة التي تبحث

في معظم النواحي الفكرية شعرا ونثرا · ورافق ذلك كله

الانتشار الهائل الذي تشهده حركة التعليم والثقافة ، مما أدى الى اعادة تقييم النظرة لروادالفكر والادبواعطائهم

حق التقدير والريادة كبناة لاسس النهضة الفكريةوالثقافية التي تشكل حجر الاساس في النهضة الحضارية العامة التي

تمر بها البلاد الان ، كما أدى الى اعادة تقييم النظرة لادب

المرأة الذي قبع في الكهوف المظلمة سنوات طويلة دون أن

يلامس خيطا من نور ! وبذلك دخل الادب السعودي في

مرحلة الانتقال من الجمود الى الانتعاش والعطاء ·· وقد

ملنا الى تسمية تلك الفترة باسم مرحلة الانتقال نظرا لحداثتها وقصر مدتها ·· فالحركات الادبية بعيدة العمق واسعة الشمول يتعذر الحكم عليها في فترة قصيرة المدى ·· ولكنها سحائب غيث انعقدت فوق سماء الادب ·· حاملة

بشائر الخير والبركة التي نأمل أن تبدد برذاذها حالة القحط والجدب التي عانت منها ديار كانت موطن قوم

تجيش البلاغة والفصاحة في صدورهم فتقذفها ألسنتهم بالفطرة والسليقة ومهبط لغة القرآن التي هي من الاصالة والاعجاز والكمال بحيث استطاعت أن تحتوي اللغات ·· وتصهر الحضارات في بوتقة الحضارة الاسلامية العربية الاصيلة ·· من أقصى مشارق الارض الى مغاربها !

شاعر من عبقر

حسن عبد الله القرشي

«قيلت في مهرجان ابن زيدون في الرباط ١٩٧٥»

عبقري الفكر ، فذ الصولجان ساطع كالشمس في أفق الزمان

حاضر ناء ، مطل طيفه في صراع للمنايا والاماني

مشرئب للعلى في فنه رنة العود وأناة الكمان

قد تدانت راية المجد له وهو للراية معقود الرهان

هو في الشعر وفي النثر معا قمة سامقة بل قمتان

ملكي الحب لم يظفر بما يجتدي العاشق من عذب المجاني

غير أن الحب قد علمه كيف يمشي فوق أطراف السنان

كيف يغدو اليم جهما مرعبا وهزيم الرعد أصداء قيان !

★ ★

أيها الشاعر قف في طرب لفتى الخلد ، وصياد الجمان

أرهف السمع لأحلى وتر داعب الارواح في أحلى افتنان

صاغه شاد سماوي الهوى عاشق عتقه عشق الحسان

عاش بالشعر وللشعر صدى فهو والشعر المجلي توأمان

ان مضت ألف على غربته فهو عصري الرؤى نبع معاني

سيد الحرف وكم أبدع في رفقة الحرف بقلب ، ولسان

الخطيب المعتلي هام السهام والاديب المجتلى في المهرجان

لم يكن يهجو وهل يهجو الذي صيغ من اشعاع نور وحنان ؟

ملك في غابة موحشة لا يبالي بوغى الحقد العوان
حسدوه نابغا مبتكرا يتغذى من سناه النيِّران
غيبوا « يوسف » في السجن وكم عصف المأسور بالسجن المهان
فاذا أزهاره ملء الدنى واذا أنواره أنس المكان
واذا الكون على أمدائه مسرح للخالد الحر العنان !

★ ★

أيقظوا النائم من رقدته فلقد أخصب زهر الاقحوان
وسلوا « ولادة » فيم نأت بعد أن علته أكواب الدنان
ويحها رغم الاسى ما شعرت بعميق الجرح في القلب المعاني
فضحته نظرة الشوق لها ان عيني عاشق فاضحتان
أغدقت ثم جفت نافرة يا له الظبى نفور كل آن
فالجوى مورده بعد الجنى والنوى عاد بديلا للتداني
ورؤى الزهراء والحسن بها لم تعد غير جهام ودخان
خسر الحب ولكن كسبت دولة الشعر أفانين الاغاني
وكذا العاشق مهما انطلقت روحه فهو قصي مثل داني !

★ ★

يا ابن زيدون كلانا معرق في المعاني قد نمتنا المروتان
نسب الشعر ، وأصلاب الذرى من « قريش » ، وصراعات الغواني
ومعاناة الليالي حلما لم يزل يوغل في تيه الاماني
كم تلاقينا بظل المنحنى وتنشينا شذى أثل وبان
يا فتى الالهام قد جمعنا رغم بعد العهد اعصار الثواني
ان تكن من لذرى الغيب انتمى فكلانا في المدى مقتربان
مثلك الآن أنا مرتهن لرسيس الشوق ، خفاق الجنان
عابر فوق بساط راعش غارقا ما بين رنات مثاني

ضارب في القفر وحدي أبدا ما خر في البحر من شط لثاني

ولذا عشت نسيجا في دمي ونشيجا يتلظى في كياني

حدثونا عن ثرى « أندلس » حين كنا سادة في المهرجان

حين كان النجم حصباء لنا والدنى طوع اشارات البنان

عن ديار الشمس في نضرتها عن رؤى العز ووادي الصولجان

عن ثمان من قرون عبرت ماج فيها السعد موفور الامان

الاذان السمح كم دوى بها بعميق الجرح في القلب المعاني

حدثونا عن حضارات الالى أزهر الفتح بهم في المعمعان

وأذكروا الشعر فكم أوحت له من فريد القول مخضل المعاني

كم سما فيها « ابن هاني » مبدعا « والخفاجي » وأقطاب البيان

رب ذكرى أشعلت من همم رب نجوى بددت ظل هوان !

★ ★

أنت في « المغرب » في أرض العلى مربض الاسد ، وغاب السنديان

أنت في « مراكش » الشعر وما أقرب المثوى بها من « قيروان »

صدح التاريخ في أبهائها يتحدى صولة الباغي الجبان

حي شعبا في رباها قد سما زاكي العرق أصيل العنفوان

صارع الاحداث حتى انهزمت واستطال النجم في رفعة شان !

★ ★

يا رفاقي في أصيل أو ضحى وعلى مرفأ بؤسي أو ليان

اجمعوا الشمل وسيروا للعلى فالحمى رهن صراع وامتحان

و « فلسطين » جراح تغتلي وثرى مختضب بالارجوان

أذكروا « القدس » وما حل بها فهي ما زالت بكف الحدثان

هي مرقى « المصطفى » من قدم في سراه وهي مرآة الجنان

بارك الله ثراها وسمت بالنبيين فأكرم بالمكان

هل لها من وثبة عارمة تستعيد الحق مرهوب الكيان !؟



لغة الفرقان

ابراهيم خليل العلاف

أهواك يالغتي ، احياك انسانـــا ... شوقا اليك أجوس العمر ظمآنـــا

أهواك منذ الصبا ، التذ منسجمـا ... أحس سحرك يسري فيّ طوفانـــا

فكم نعمت بدنيا الشـعر مندمجا ... بين الدواوين أطوي الليل سـهرانا

وكم سـّعدت بآراء وأخيلـــة ... محلقات وكم مجدت حرمـــانـــا

وكم حظيتَ بومضــات مشعشـعة ... وفلسفات ، وكم أثريت عرفانـــا

وكم هفـوت لالفــاظ مرصعـة ... وللاساليب قد أعجـزت تبيانـــا

وكم تمتعت من وزن وقــافيـة ... كلاهما خلدا للشـعر بنيانـــا

★ ★ ★

وللطبيعة في قلبي منــازلهـــا ... تصويرها يتصبى المـرء وجدانـــا

أما النسيب فروح الروح يبعثهـــا ... وأستحيل بــه صبـــا ونشـوانا

★ ★ ★

كم صاهرت من ثقـافـات مترجمة ... وأنجبت من حصيف الفكر ألوانـا

وكـم تربص مغتـر بغفوتهـــا ... فعـاث يوسـع تمزيقـــا واثخانا

ثم اسـتفاق على يـأس وقهقرة ... مخيبا ، سامه القـرآن خذلانـــا

★ ★ ★

أفديك يا لغتي أفديـك زاخـــرة ... دقيقـــة تبطن الايحـــاء فتانـــا

تغلغلت في دمي حتى اذا وجـــدت ... منى الصَـفاء ، استفزت فيّ فنانـــا

نعم التراث وماضيها وحاضرهـــا ... ونعم مســـتقبل تلقاه جذلانـــا

عبد الرحمن المعمر



المضيفات والممرضات في الشعر المعاصر

ليست هذه محاضرة وانما هي خاطرة ادبية عنت لي وخطرت ببالي وأنا أقلب بعض ألوان من الشعر وشيئا من نثر قليل . فقد رأيت تشابها كبيرا بين المستشفى والطائرة وتوالفا غير منكور بين المضيفة والممرضة . وشبه اجماع بين نزلاء المشافي وزوارهم ومرافقيهم وركاب الطائرات ومستقبليهم أو مودعيهم على تصرفات ونظرات ليست كلها بريئة . وهذه طائفة من عناصر التشابه .

● يحجز الناس سرزا بالمستشفيات ومقاعد بالطائرات ويتصلون قبل الحجز وبعد .

● يتمنى الناس لمن يدخل المستشفى السلامة والخروج معافى ولمن يدخل الطائرة النجاة والوصول سالما .

● يحضر القادم للمستشفى معه حقيبة ملابس وأدوات حلاقة وأمشاط شعر وفرش أسنان ومناشف وكذا راكب الطائرة يصحب معه بعض اللوازم اليومية للاستعمال في الجو .

● تقدم الشوكلاطة والحلويات ليمصها ركاب الطائرات ويهدي الزوار للمريض علب الحلوى والعصير يوزع على من يزوره ويأكل ويشرب منها في ساعات الخلوة .

● ينام الانسان ويشخر بالطائرات وكذا بالمستشفيات ويحدث الناس اذا استيقظ بما مر عليه ورأى في المنام من أحلام .

● كثيرا ما نسمع عن أناس لا يحبون السفر بالطائرة بل يخافون من دخولها وهي واقفة كما يقول الشاعر :

« أركب الليث ولا أركبها » .

ويتحملون وعثاء السفر بالبر أو دوار السفينة بالبحر ومثلهم قوم آخرون لا يحبون الذهاب الى المستشفيات

مهما كانت الاصابات ويتحملون الكي بالنار ومعالجة الكسور بالاخشاب والجبائر ومداواة الصدر والبطن والرأس بالنشوق والصعوط والمروخ والبخور ويجدون لذة عجيبة في تحمل كل هذا العناء ويهربون من تناول ملعقة من الدواء أو وخز ابرة من يد ممرضة حسناء ٠

● يحتفل الناس بوصول المسافر وخروج المريض ويفرحون ويحضرون للسلام عليهما وتهنئتهما بالسلامة ودعواتهما للولائم والاكلات ٠

● بعض النساء يلدن بالمستشفيات وآخر جاءهن المخاض وهن يعتلين متن الريح مسافرات ٠

● يعطى المرء اسعافا بالمستشفى وفي الطائرة يتداركون المصاب بالاكسجين وسريع العلاج ٠

● يقدم الطعام والشراب في أطباق نظيفة على عربات تدفع بالايدي وتسير على عجلات بين الدهاليز والممرات هنا وهناك ٠

● يكثر نزلاء المستشفى وركاب الطائرة من ضغط الاجراس ولمس أزرة اللمبات رغبة في تكرار الطلبات وتكرار النظر معا ولو شاؤا لطلبوا مرة واحدة ولكنه الخبث والمكر من البعض والرغبة في التمتع بالنظر الى بدائع صنع الله بالجملة والقطاعي ٠

● الصحف والمجلات تسلية المسافر والمريض والسرر والكراسي والسلالم والنقالات منظر غير مستنكر في الاثنين ٠

● توحيد زي العاملات في الجو والارض ووضع أوسمة وشارات على الاكتف والرؤوس ٠

● يتعارف بعض الناس لاول مرة في المستشفيات أو بالطائرات وقد تتطور هذه المعرفة الى علاقة وصداقة متينة يكون من نتيجتها تجارة رابحة أو زواج موفق أو اصلاح بين متخاصمين أو غير ذلك ٠

● تدرس العاملات في المشافي والطائرات العلاقات الانسانية وطرق التودد الى الزبائن والرفق بالمرضى وتحمل مطالبهم الكثيرة وممازحاتهم ومماحكاتهم ومعاكساتهم السمجة ولكن الى حد « فليحذر الذين يبالغون في المعاكسة والمزاح أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » ٠

● المرضات والمضيفات من أعرف الناس بالناس فهن اللائي يرين الناس في الكوارث والفواجع ومواقف الخوف فيعرفن كيف يجزعون أو يحتملون وكيف يفزعون أو يصبرون وكيف يضعفون أو يقوون وكيف يتجلدون أو ينهارون أما خارج المستشفى وخارج الطائرة فكلهم شجاع وكلهم قوي وكلهم ليث غضنفر وأسد هصور ٠

● يدخل المرء المستشفى وقد لا يخرج حيا ويركب الطائرة وقد لا يصل سالما ٠ ويكون في السرير تحت العلاج القاسي يغذى بأنابيب ويخرج منه البول بواسطة الشفط وحالته بين اليأس والرجاء ومع هذا نلاحظ أولي العزم من المرضى يحملقون في المرضات وهم في تلك الحالة ٠٠ والمسافر يكون معلقا بين السماء والارض يتأرجح بين الرعب والدهشة قد شد بالحزام فيقرأ آية الكرسي ويتمتم بالمعوذتين وأحيانا ينظر الى المضيفة خلسة بطرف العين ٠

والان تعالوا نطف مع بعض الشعراء ونسبح بأجنحتنا في السماء ثم نهبط الى الارض ٠

في عام ١٩٥٩ سافر الى دمشق طائفة من شعراء مصر لحضور مهرجان الشعر الذي أقيم بسورية وفي جوف الطائرة كانت المضيفة الحسناء « فاندا » تخطر بين الصفوف بهندامها البديع وقوامها المشوق ووجهها المشرق وثغرها البسام فتخلق جوا رقيقا مشبعا بالاريج المسكر وتهاويل الاحلام المبهجة وكانت ابتسامتها الوديعة مبعث الامن والطمأنينة في النفوس ٠

وكانت حلوياتها التي توزعها على الركاب تنسيهم محاذير الشر وكان سمتها الباهر الذي يشبه سمت الملائكة في هذا الافق الشعري الموشى الذي نحس فيه قربا من الملأ الاعلى والذي يؤمن فيه الكافر ويتقي الفاجر ، يضفي

على القلوب بشاشة الايمان ويصلها بمصدر الجمال وخالق الجمال ومحب الجمال البارىء المبدع المصور · تبارك الله أحسن الخالقين ·

كانت ـ فاندا ـ تقدر ما وهبها الله من سحرٍ وفتون وكانت تعرف أن هذه العصابة التي تناوشتها من كل جانب هم شعراء يستهويهم الجمال ويدركون من مفاتنه ما لا يدركه غيرهم ·

وأخرج أحدهم ورقة كتب فيها الشاعران محمد فوزي العنتيل ومحمد محمد علي قصيدة مشتركة :

يا حلوة كالسكر
وغضة كالزهر
تخطري تخطري
فوق الربيع الاخضر
وخالطي أرواحنا
مثل نسيم السحر
يامشرق النور الذي
هفا اليه بصري
وجنة الخلد التي
أهدي اليها عمري

ومرت الورقة على جماعة آخرين من الشعراء فأضاف اليها علي أحمد باكثير قوله :

رحماك شاعر هنا
جودي له بالنظر
جودي بنصف قبلة
تنقذه من سقر
سافر يبغي وطرا
وأنت كل الوطر

ومرت الورقة على الاستاذ علي الجندي فنظم قصيدة طويلة نختار منها هذه الابيات :

رعاك الله يا « فندا »
وحاط جمالك الفردا
وصان محاسن أهدت
الى أكبادنا الوجدا
ولا برحت عنايته
«لطيرك» في السرى جندا
وأجراه على الاقبال
أما خب أو شدا
رأينا الحسن في وجه
تجلى كوكبا سعدا
فكبرنا وسبحنا
وأزجينا له الحمدا
وقلنا هذه حوراء
شاهدنا بها « الخلدا »

وقال الشاعر عبد الرحمن صدقي بعد هبوط الطائرة وكأنه يودعها ويودع مضيفتها اللطيفة :

مضيفة تخطر في الاعالي
كأنها الملاك في خيالي
لطيفة الخطوة والتثني
في غير ما كبر ولا اختيال
بسمتها الحلوة في حياء
طارت بعقلي وقضت خبالي
أنت التي أعليت من تحليقنا
فزاد أميالا على أميالي
يا ليتنا في الجو ما برحنا
لم نهبط الارض من الاعالي

وهكذا يتمنى الشاعر لو بقي محلقا في الجو مع من أحب قريبا من عالم الصفاء وسماء الملائكة حيث لا حاسد ولا عذول مبتعدا عن الارض وعالم الطين حيث الصدام والصراع الرهيب بين الآدميين ·

ونترك ـ فندا ـ وحزبها لتلتقي مع الشاعر السعودي محمد بن علي السنوسي في قصيدته التي عنوانها

ـ شد الحزام ـ وركوب الطائرة أسر واعتقال فالانسان أسير المقعد لا يستطيع التحرك الا باذن من جاره وفك لحزامه فاذا انفك من أسر الحزام والمقعد وقع في أسر آخر وقيد معنوي ذلك هو فتنة المضيفات الحسناوات فالله ما أعجب هذه الحياة التي طوقت الانسان بالقيود الحسية والمعنوية في الارض والجو •

رسمت على الشفتين بسمة
جذابة كشعاع نجمه
ورنت رنو الظبي أبصر
في يد القناص سهمه
تتزاحم الالحاظ حول
لحاظها والحسن زحمه
ومشت فما خطو الحمام
وما اليمام يهز جسمه
تهتز أعطافا وتغري
فتنة وترق خدمه
وتكلمت فسمعت أرخم
نبرة وارق نغمه
تتساقط الالفاظ تحت
لسانها كعصير كرمه
شد الحزام تقولها
وأقول لست أجيد حزمه
أنا خصم كل يد سواك
تشده وتفض ختمه
مدت أناملها تزيح
خصائلا كالليل ظلمة
فبدى ضياء الفجر
فوق جبينها نورا ونسمه
قلبي يحب وانما في
حبه خلق وحشمه
ويهيم بالغيد الحسان
ولا يبيح لهن حرمه

ونعود للشاعر عبد الرحمن صدقي فقد كان يكره الخروج للمطار في وداع أو استقبال ولكن مضيفة في الخطوط الجوية السورية جعلته يسعى للمطار طرفي النهار وزلفا من الليل لعله يراها أو يرى من رآها •

بنفسي سقيم الطرف مهضومة القد
جنوني بها سيان في القرب والبعد
فهل بك منه يا ابنة الشام بعضه
أو أني حمال لاهواله وحدي
لقد كان يمضي العام منذ لقائنا
وقلبي بليل من جهالته مردي
فما اختلفت بيني وبينك في الهوى
رسول ولا جادت رسائل بالرد
أيا جارة الوادي هواي كعهده
فهل أنت مثلي ما برحت على العهد
كرهت ركوب الريح من قبل موفدا
فأصبحت أسعى للمطار بلا وفد
وكان اتفاقا أن تطرقت للحمى
ولكن عودي للحمى اليوم عن عمد
أعاود فوق السحب حجي قاصدا
ولا علم لي ان كنت مبلغتي قصدي

والان وقد أعيانا التحليق والطيران فلنهبط الى الارض بسلام ـ فما طار طير وارتفع الا كما طار وقع ـ ولنتجه من المطار الى المستشفى لنزور شاعر العرب الكبير أحمد الصافي النجفي فقد طال مكثه في المستشفى وهو لا يريد الشفاء السريع لئلا يفارق من أحب •

بخديك أحببت زهو الورود
وفي مقلتيك عشقت الذبولا
اذا ما نظرت سبيت القلوب

واما نطقت سلبت العقولا

ينافس فيك العليل الطبيب

ويحسد فيك الصحيح العليلا

تمرض كفاك أهـــل السقام

وحبك يولي الضنى والنحولا

عليلك ليس يريد الشـــفاء

لئلا يكابـــد عنـــك الرحيلا

ولا يبعد شاعرنا النجفي عن نظيره صدقي فتحمل الالم بقرب الحبيب خير من الشفاء الذي يبعده عنه فهو لا يريد أن يبرأ حتى لا يبارح من نظراته تسبي القلوب ومسة منه تجري الكهرباء في الجسم ·

مرض الحبيب فزرته

فمرضت من حذري عليه

وأتى الحبيب يزورني

فشفيت من نظري اليه

وأصيب الشاعر محمود سليم الحوت بكســور في الاضلع وشرخ في الجسم عطله عن الوثب والقيام ولكن من تقوم بتمريضه أنسته ذلك العذاب وكانت له عوضا عن نشاطه فتمد له يدها اذا رغب القيام وترفده بصدرها اذا مال وتعضد له اذا سار فلا تثريب عليه اذا هتف قائلا :

ممرضتي كدت أنسى المرض

وكسرا بضلعي وشرخا أرض

وأوجاع صدر وهي عظمة

وجرحا بداخله قد أمض

وآلام نفس تعـــاف الرقـــاد

وان كان جفني له ما غمض

كرهت انطراحي وليس الطريح

على ظهره كالذي قد ربض

اذا شاء نام قرير الجفـــون

وان شاء كالليث وثبا نهض

فلولاك أنت ملاكـــي الحنون

لضاقت بجسمي روحي مضض

لقد كنت لي شمس عمر جديد

وقد كنت لي عن نشاطي عوض

ونلتقي بالشاعر ابراهيم طوقان الذي هام بناعمة اليدين واستشفت مهجته بالغيد الحسان حتى قرر أن نظرة من الممرضة تشفي قبل ابرة الآسي · وأقول يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا اذكر ما قاله الاخر :

ويلاه ان نظرت وان هي أعرضت

وقع الســـهام ونزعهن أليم

ولكن شاعرنا المعلم ابراهيم يقول والله لواقترفت أعظم ذنب في الوجود ثم جاءتني بعده بعذر واه لغفرته لها على ما كان منها ولا أبالي ·· ومن هنا صدق من قال ـ الحسن مرحوم ـ وكلما يفعل المحبوب محبوب ·

يا حلوة العينين يا قاسيه

سرعان ما أصبحت لي ناسية

أما أنا فلست أنسى يـــدا

ناعمـــة تجـــود بالعافيه

لئن شفي الطب ضنى عارضا

فمهجتي أنت لهـــا شـافيه

وابرة الآسي على نفعهـا

أفعل منهـــا نظرة ساجيه

تبثها عينـــاك في أضلعي

فياضـــة بعطفهـــا آسـيه

تلأم قلبا نكـــأت جرحـــه

فعـــاد يهـــوى مرة ثانيه

وتطفىء النار التي حـــركت

فارجعتهـــا زفـــرة حاميه

قيصرة الحسن ألا أشـــتكي

اليـــك من جورك يا طاغيه

هل كـــان نسيانك لي هفوة
أم خطة اشراكهـــا خافيـه
ســيدتي ذنبك مهمـــا يكن
تغفـره أعـــذارك الواهيه

ولطوقان في ملائكة الرحمة قصيدة أخرى شبه فيها الحمائم بالمحسنات الى المرضى وهو تشبيه جد موفـــق فالممرضة في مشيتها ونعومة ملمسها وبياض ثيابها ورقة صوتها تقترب من الحمامة كثيرا وتلتقي معها في أوصاف عدة • وأشباه متعددة :

بيض الحمائم حسبهن
أني أردد سجعهنه
رمز السلام والوداعـة
منذ بدء الخلق هنه
في كل روض فوق دانية
القطوف لهن أنــه
ويملن والاغصـــان ما
خطر النسيم بروضهنه
فاذا صلاهــن الهجير
هببن نحو غدير هنه
يهبطن بعد الحوم مثل
الوحي لا تدري بهنه
فاذا وقعن على الغدير
ترتبت أسـرابهنـــه
صفين طـول الضفتين
تعرجـــا بوقوفهنه
كل تقبل رسمهـــا
في الماء ساعة شربهنه
يطفئن حر جســومهن
بغمسهن صدورهنــه

يقع الرشـــاش اذا
انتفضن لآلئا لرؤوسهنه
ويطرن بعد الابتراد الى
الغصـون مهودهنـه
تنبيك أجنحة تصفق
كيف كان ســرور هنّه
ويقر عينك عبثهن
اذا جثمن بريشهنـه
وتخـــالهن بلا رؤوس
حين يقبـــل ليلهنه
أخفينها تحت الجنـــاح
ونمن ملء جفونهنـه
كم هجنني ورويت عنهن
الهديل فديتهنه

★★★

المحسنات الى المريض
غدون أشباها لهنه
الروض كالمستشفيات ،
دواؤها ايناسهنه
ما الكهرباء وطبهـــا
بأجل من نظراتهنه
يشفي العليل عناؤهن
وعطفهن ولطفهنـــه
مر الدواء بفيك حلو
من عذوبة نطقهنه
مهلا فعندي فارق
بين الحمام وبينهنـه
فلربما انقطع الحمائم
في الدجى عن شدوهنه

أما جميل المحسنات

ففي النهار وفي الدجنه

ونغادر الشاعر المتيم طوقان الى القاهرة ونلتقي بالشاعر السعودي الشيخ محمد بن بليهد حيث كان يستشفي من داء لم ينفع فيه نطس الاطباء وانما أجدى معه لمس كف ـ سعاد ـ وطلعة ـ فائزة ـ وهما ممرضتان مليحتان كانتا تقومان على خدمة الشيخ والعناية به فقد كان يأخذ علاجا بواسطة الجلسات الكهربائية فيحس اثر ذلك في الكتفين والركبتين • وكان يشاركه في العلاج بنفس المستشفى اللواء منصور العساف من رجال الجيش السعودي وهكذا اجتمع على الشيخ واللواء هز الكهرباء وانتفاض الشوق • نلاحظ ذلك في القصيدة الاولى التي نظمها الشيخ • وفي القصيدة الاخرى التي قالها أيضا على لسان صديقه منصور في الممرضتين نفسيهما :

رأيت غزالا في الضحى كامل الوصف
كوتني بنار في فؤادي وفي كتفي

فأما التي بالكتف تذكي بكهرب
وهاتيك تذكي بالملاحة واللطف

تفاءلت من كفي سعاد سعادة
وفائزة فوزا فطلعتها تشفي

خليلي هل تأسو المراض خريدة
بقامتها الهيفاء سهم من الحتف

لعمري ما دائي سوى نظراتها
وبلسمي الشافي لديها وما أخفي

وقد عالجوا نصفي بكف رقيقة
وبالسحر من عينيها أهلكوا نصفي

اذا طفقت كلتاهما في علاجها
رأيت المنايا من أمامي ومن خلفي

وما أنا الا في هواهم متيم
ضعيف القوى شيخ فهل رحموا ضعفي

وجاء في القصيدة الثانية على لسان زميله منصور العساف •

اذا دعيناك فأهرج أيها القمر
هل عندكم من علاج الكهربا خبر

أما محمد قد زالت شكيته
وليس في كتفه مما شكا أثر

قال احترز من غزال كلما طلعت
فليس في عودها طول ولا قصر

اذا رأيت الثنايا الغر باسمة
هناك من بينهن الموت ينتظر

في ركبتيك ترى للكهربا أثر
يطير للقلب من جرائه شرر

وهكذا لم يستطع المدفع مع اللواء منصور ولا القلم مع الاديب محمد أن يقفا في وجه الحسن والجمال وأي قوة في الارض تستطيع أن تقاوم قوة الملاحة في الوجوه والجاذبية في الاجسام •

فاذا جاءت مواكب الوسامة والجمال فلا عاصم في ذلك اليوم من أمر الله الا من رحم •

الطائف ـ عبد الرحمن بن فيصل المعمر

من عصبة الادباء

تحية الى المغرب العربي

زاهر عواض الالمعي

ألقيت في الاسبوع الثقافي السعودي المقام في المغرب العربي ما بين ١٣ ابريل الى ١ مايو عام ١٩٧٧ م

عبقت بالنشر في أسنى مكان — وبدت شماء في أفق الزمان

وتهادت بين أزهـــار الربا — غضة هيفاء كالدر المصـان

قلت يا حسـناء اني مفعـم — بوداد يتنـامى في كيـاني

فأجابت أنا في أوج العـــلا — والعـــلا لا تتأتى بالاماني

فاستبق ان كنت من أوجى فما — برحت عيناي في سبق الرهان

ومضت تمعـن في أصعادهـــا — تتعـــالى في مراقي العنفوان

تحسب الانجم قـد مالت لهـا — فاستنالتهـا بأطراف البنان

قلت قد بالغت في العجب فمـا — باعث الاعجاب يازين الحسان

فاشرأبت للعـــلا قائلـــة — أنا من أرض القداسات مكاني

أنا من أرض البطـولات التي — خفقت راياتها عبر الزمان

وانبرت ترهف سمعا كالـذي — في الذرا يشتف أطياف الجنان

نظرت حينا وقـــالت انني — ألمح الموكب خفـاق الجنان

فالى المغرب تنســـاب الرؤى — فتخطى شوقنا شم الرعـان

أيها المغرب يا رمز الفــدا ياعرين الدين والمجد المصان
لك من قومي تحيات الوفــا لك من أرض الهدى غر الاماني
أنا في الشرق وفي الغرب معـا ديني الاسلام والفصحى لساني
نحن من (بغداد) من (أم القرى) من (دمشق) الشام أو من (قيروان)
وحد الاسلام من راياتنــا وبنانا للدنى خير كيــان
نحن في المغرب من مهد العلا معقل الابطال في يوم الطعان
في عرين (الحسن الثاني) وما فاقه في الهمة القعساء ثان
(خالد) والحسن الثاني هما لحمى الاسلام دوما حارسان
في رباط الفتح ينداح المدى فيظل الشعر مخضل المعاني
نلتقي اليوم فيزهـو محفـل ضمنا أسرة فكر وبيــان
الانوف الشم والمجـد الذي يتجلى في سمـاء المهرجان

★ ★ ★

أنا في أرض سما المجد بهـا ونمت أيامه في كـل آن
فاذكروا القادات في راياتهـا عندما خاضت عباب المعمعان
وتسامى (طـارق) في أوجهـا يتخطى فوق أطراف السنان
واستقامت في ربا (أندلس) جنة الدنيا ونبراس المغاني

★ ★ ★

يا رفاق المجد قد مدت بنـا وثبة للشاطىء ألحان الجنان
أنا ان حلقت في الافـق وان غصت في الاعماق فالمجد جماني
ألمح الشطآن من (أندلس) وابن زيدون أمامي وابن هاني
فاذكروا بالفضل أقطاب النهى واجعلوا المغرب رمز العنفوان

محمد بن أحمد العقيلي

الدولة السعودية الأولى

في جنوب غرب الجزيرة

★ محاضرة ألقيت في قاعة المحاضرات في جامعة الرياض

نحن في عام ١٢١٣ هـ ١٨٩٨ م تقريبا ، وأمير المخلاف السليماني (منطقة جازان) ـ حاليا ـ هو الامير (علي بن حيدر الخيراتي) والحالة قد بلغت النهاية من الفوضى واضطراب الامن ، وتفشي الجهالة والبدع ـ كما هي الحالة في أكثر جزيرتنا العربية ـ والاسرة الحاكمة (الخيراتية) ، قد أنهكتها الاختلافات العائلية والمنازعات الشخصية ، على الامارة ، ففي خلال ثمانية وعشرين عاما تداول مركز الامارة ستة من أفرادها اثنى عشر مرة ، أي بمعدل سنتين وثلث في المرة الواحدة ، والمنطقة موزعة الى شبه اقطاعيات بين بقية الاخوة الذين لم يرتقوا مركز الامارة . ونجد أحسنهم قسما ناصر بن محمد الذي منحها في سنة ١١٨٩ في عهد امارة عمه القصيرة الامد اذ لم تطل مدتها أكثر من سنة ، والان قد أشرف على أعتاب الشيخوخة فتنحى عنها لابنه الشاب منصور بن ناصر .

في تلك السنة عاد من الدرعية أحد أبناء المنطقـة الداعية أحمد بن حسين الفلقي الذي هاجر اليها لتلقي مبادىء التوحيد من منبع الدعوة السلفية ، عاد يحمل الرسالة الآتية : ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن محمد بن سعود الى من يراه من أهل المخلاف السليماني خصوصا أبناء الشريف محمد بن أحمد ، وبني النعمي وكافة أهل تهامة ، وفقنا الله واياهم الى الحق والهداية وجنبنا وإيّاهم طريق الشرك والغواية .

أما بعد ، فالموجب لهذه الرسالة أن أحمد بن حسين الفلقي قدم الينا فرأى ما نحن عليه وتحقق صحة ذلك لديه ، فبعد التمس منا أن نكتب لكم ما يزول به الاشتباه، فاعلموا ـ رحمكم الله ـ أن الله تعالى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل فهدى به الى الدين الكامل ، والشرع التام ، وأعظم ذلك وأكبره وزبدته ، اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له والنهي عن الشرك وذلك الذي خلق الله الخلق لاجله ، ودل الكتاب على فضله ، كما قال تعالى : ـ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن

اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ـ وقال تعالى : ـ وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ـ واخلاص الدين هو اخلاص العبادة لله تعالى وحده لا شريك له ، وذلك بأن لا يدعى الا الله ولا يستغاث الا به ، ولا يذبح الا لـه ، ولا يخشى ولا يرجى سواه ، ولا يرغب الا فيما لديه ، ولا يتوكل في جميع الامور الا عليه ، وان كل ما هنالك لله تعالى لا يصلح شيء منه لملك مقرب ولا لنبي مرسل ، ولا شيء غيرهما وهذا هو بعينه توحيد الالوهية الذي أسس الاسلام عليه ، وانفرد به المسلم عن الكافر ، وهو معنى شهادة أن لا اله الا الله • ولما من الله علينا بمعرفة ذلك ، وعلمنا أنه دين الاسلام اتبعناه ودعونا الناس اليه ، والا فنحن قبل ذلك كنا على ما عليه غالب الناس من الشرك بالله ، من عبادة القبور والاستعانة بهم والتقرب بالذبائح لهم ، وطلب الحاجات منهم ، مع ما ينضم الى ذلك من فعل الفواحش وارتكاب المحرمات ، وترك الصلاة وترك شعائر الدين ، حتى أظهر الله الحق بعد خفائه على يد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب أحسن الله له المآب ، فأبرز لنا ما هو الحق والصواب من كتاب الله الذي ـ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ـ فتبين لنا أن الذي نحن عليه ـ وهو دين غالب الناس اليوم ـ من الاعتقاد في الصالحين وغيرهم ودعوتهم والتقرب اليهم بالذبح لهم والنذر لهم والاستغاثة بهم في الشدائد ، وطلب الحاجات منهم انه هو الشرك الاكبر الذي نهى الله عنه ، وتهدد بالوعيد الشديد عليه ، وأخبر في كتابه أنه لايغفره الا بالتوبة منه • قال تعالى ـ ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ـ •

اذا عرفتم هذا فاعلموا رحمكم الله تعالى أن الدين الذي ندين الله به هو اخلاص العبادة لله وحده ونفي الشرك ، واقامة الصلاة جماعة ، وغير ذلك من أركـان الاسلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يخفى على ذوي البصائر والافهام والمتدين من الانام أن هذا هو الدين الذي جاءنا به الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى: ـ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ـ فمن قبل هذا فهو حظه في الدنيا والاخرة ، ونعم الحظ دين الاسلام، ومن أتى غيره واستكبر ، نحيناه عن ذلك وقاتلناه ، قال تعالى : ـ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ـ •

وقصدنا بهذه النصيحة لكم ، والقيام بواجب الدعوة، قال تعالى : ـ قل هذا سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله وما أنا من المشركين ـ وصلى الله على محمد وسلم تسليما • انتهى

وصل الفلقي وسلم الرسالة وانتظر النتيجة بـدون جدوى بل لمس من الجفاء ما حفزه على الابتعاد ، وبعد اجالة الفكر رأى أن يقوم بواجب الدعوة الى الله بنفسه فسار الى جهة ساحل « الجعافرة » لان أهلـه ـ آنـذاك ـ بدو قليلو الاختلاط بغيرهم ، ولديهم قبر لشخص يسمى أبى سبعة فتنهم الشيطان بالاعتقاد فيه ، تقدم اليه الذبائح والنذور ،ويعتقدون فيه الضرر والنفع مندون الله تعالى• فاستقر في قرية من قراهم تسمى ـ الاثلة ـ وأخـذ في تعليمهم وارشادهم فأقبل الناس عليه وازداد التعلق به ، فكان يرسل الناجحين من طلابه مرشدين الى القرى التابعة لهم ، والقريبة منهم ومرت الايام فاذا الدعوة منتشرة في جميع قراهم بل وفي القرى القريبة منهم : ك « الجمالة » و « الجارة » •

فسار الى قبر أبي سبعة وسواه بالارض ، وتبـرع القوم بهدم ما لديهم من المزارات ، وترك الشرك والبدع ، فعمرت المساجد بالعبادة ، فلا تسمع الا تلاوة القرآن ودروس التوحيد ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكـر ، فتآلفت القلوب بعد النفرة ، واجتمعت الكلمة بعد الفرقة. فأجمع رأيهم على معاهدة الفلقي على العمل بكتاب الله

وسنة رسوله والسمع والطاعة للامام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وخلع طاعة الامير علي بن حيدر • رفع عاملهم صاحب صبيا منصور بن ناصر الى ابن عمه الامير علي بن حيدر بواقعهم فوصله الامر بأن يرسل اليهم خراصا لثمرة الزراعة الحاصلة لديهم ، فان تركوا الخراصَّ يقومـون بواجبهم فذاك ، والا أقمنـا عليهم بدفـع الزكـاة وقاتلناهم ،فبعث اليهم الخراص فأعادوهم اليه وقالوا لهم• ان زكاتنا ندفعها الىامامنا فيـ الدرعية ـ بواسطة الفلقي• فكتب عامل صبيا لاميره بذلك فوصله الامر بالتأهب • جمع الامير ما لديه من جنود من المرتزقة وكتب لعمه حمود بن محمد المقيم في اقطاعيته في « وادي تعشـر » للاشتراك في الحملة بخيله وبوصوله اليه في مدينة « أبى عريش » • خرج الامير الى غزوة الجعافرة وداعيتهم الفلقي وخيم في قرية الحجرين في غربي وادي صبيا ، وهناك وافاه عامله على صبيا منصور بن ناصر مع شوكة أهل صبيا • علم الفلقي بدنو الحملة فنادى بالنفير في الجعافرة ومن دخلوا في الدعوة معهم وحدد مركز التجمع في قرية البطيح فلـم يتخلف أحد عن داعيه •

كان من الاصوب أن يظلوا في مركز تجمعهم الذي هو في وسط منطقة الدعوة ، فان تقدمت عليهم الحملة فستجد نفسها محاطة بقبائل الجعافرة من كلجانب ، وانما حماسة العقيدة دفعتهم الى التقدم نحو معسكر الحملة •

وبطبيعة الحال لم يكن لدى الفلقي الاستعداد الكافي والقوة اللازمة لمهاجمة مثل تلك الحملة ولم يكن قد مرت على الفلقي التجربة والخبرة القتالية التي تعينه على ادارة المعركة بالفوز ، والحملة يقودها أمير المنطقة ويساعده عمه حمود وكبار رجال الاسرة ممن أتقنوا الفروسية وتمرسوا بالحروب ، وقد تقدموا الى المعركة بكل ما لديهم من قوة واستعداد نظرا لما يترتب على نجاحها من بقاء سلطتهم ونفوذهم العائلي ، ولعلمهم بما تشربته نفوس أهل الدعوة من قوة الايمان وصدق اليقين •

وصلت عيون الامير تخبره بتقدم القوة على معسكره فاستعد للقاء وعبأ جيشه فجعل عمه حمودا وخيله في الميمنة وعامل صبيا في رعيل من الخيل في الميسرة ، وتولى هو نفسه قيادة القلب •

لم يترسم الفلقي (التكتيك) المعروف في حرب الاخوان كالبيات أو (الهجاد) أو الصباح من حروب المباغتة الناجحة ، بل تقدم في وضح النهار بهجومه على القلب ، فثبت الامير وهو يعلم أن الجناحين سيقومان بحركة الالتفاف المرسوم ، وفعلا تم ذلك وكانت الهزيمة على الفلقي وأهل الدعوة ، وأخذت خيل الامير في مطاردة المنهزمين بغية استئصالهم حتى أسدل الظلام ستوره فحال دون البقية الباقية التي نجحت بعد كل جهد ومشقة مع قائدها الفلقي الى جهة « أم الخشب » وعاد الامير الى أبي عريش •

انقضت سنة ١٢١٤هـ التي جرت فيها المعركة وبعدها وثب حمود أبي مسمار في أول ١٢١٥هـ على ابن أخيه الامير علي بن حيدر ينازعه على مركز الامارة واستمر النزاع نحو ثمانية أشهر أرغم في آخرها الامير على التحصن في قصره ثم التنازل عن الامارة لعمه حمود بن محمد •

كان في ذلك النزاع والقتال بين الامير وعمه الفرصة الذهبية التي أتاحت للفلقي استرداد أنفاسه المنبهرة فجمع فلوله واتخذ من بلده ـ أم الخشب ـ مقرا للدعوة ، منتظرا وصول الامدادات التي طلبها من الدرعية •

في أثناء هذه الاحداث عاد الى شمال المنطقة داعية آخر من أبنائها هو عرار بن شار الشعبي من قبيلة بني شعبه ، وأخذ في بث دعوة التوحيد بين قومه فأطاعه ناس وخالفه آخرون، فرفع الى الدرعية مستنصرا ، فوافتها رسالته مع وصول رسالة الفلقي فصدر الامر لحزام بن عامر العجماني بالغزو الى الجنوب فقابله (عرار) وانضم اليه بمن معه وساروا الى المخالفين فأرغموهم على الدخول في السمع والطاعة ، ووالى حزام سيره الى منطقة الفلقي فالتقاه الفلقي وسارا جنوبا الى قرية الحجرين فضرب خيامه هناك وكتب رسالة الى وجهاء أهل المخلات السليماني يدعوهم الى الطاعة والدخول في الدعوة الى الله وحمل الرسالة الفلقي نفسه وسار بها الى صبيا التي اجتمع فيها أكثر وجهاء الجهة الشمالية من المنطقة الذين أزعجهم وصول (حزام) فأقبلوا على صبيا للتفاهم مع عاملهم على ما ينبغي عمله حقنا للدماء ، ومصالحة حزام ، وصل الفلقي وهم مجتمعون لدى عامل صبيا فسلم الرسالة وبعد قراءتها أخذوا في التداول وأخيرا استقر الرأي على بعث وفد من المجتمعين مع خطاب من عامل صبيا الى الامير علي بن حيدر ، في أبي عريش ، وبوصول الوفد وجد أن الامير محاصر في قصره وعمه حمود في شغل شاغل بتشديد الحصار والضغط عليه ، فاجتمع بكبار الاسرة الحاكمة المحايدين فتم رأيهم على الكتابة الى الامير الاسبق يحيى بن محمد المقيم على اقطاعاته في قرية النبيض ، ليتدبر الامر مع الوفد وعالم المخلاف السليماني الشيخ أحمد بن عبد الله الضمدي ، وما تم الاتفاق عليه أمضوه ، سار الوفد الى الامير السابق فبعث للشيخ وساروا جميعا الى صبيا واجتمعوا مع الباقين وناصر بن محمد العامل الاب وأبنه منصور وتم الاتفاق على تشكيل وفد منهم الى (حزام) للتفاوض والدخول في الطاعة• قابل الوفد حزاما والفلقي في الحجرين وعاهد على السمع والطاعة وأنابهم حزام على جهاتهم على الوجه الاتي :

١ ـ يقوم الامير يحيى بن محمد بالامارة العامة ونشر دعوة التوحيد في ضمد والمنطقة الجنوبية •

٢ ـ يقوم عامل صبيا بنشر الدعوة في جهته •

٣ ـ يقوم الفلقي بشؤون (بيش) والجعافرة •

٤ ـ يقوم علامة المنطقة الشيخ أحمد بن عبد الله بالافتاء •

البقية في العدد القادم

جازان ـ محمد بن أحمد العقيلي

الطير الاسير

مقبل العيسى

يروق لبعض الناس حبس البلبل في القفص لانـه يشدو بصوت جميل !!

أيهــا البلبــل الحبيس المعنــى ... ارو ·· عنك الشقاء دوما وعنا !!

ان تكن ترتجي الخلاص من الاسـر ... فقلبي الى انطــلاق ·· تمنــى !!

أنت تشكو الاسى ·· بصوت جميل ... وأنا في الحياة ·· أقــرع ســنا !!

أنت تهفــو الى أليف ·· وقلبــي ... مــن شــقاء الى التحرر حنــا !!

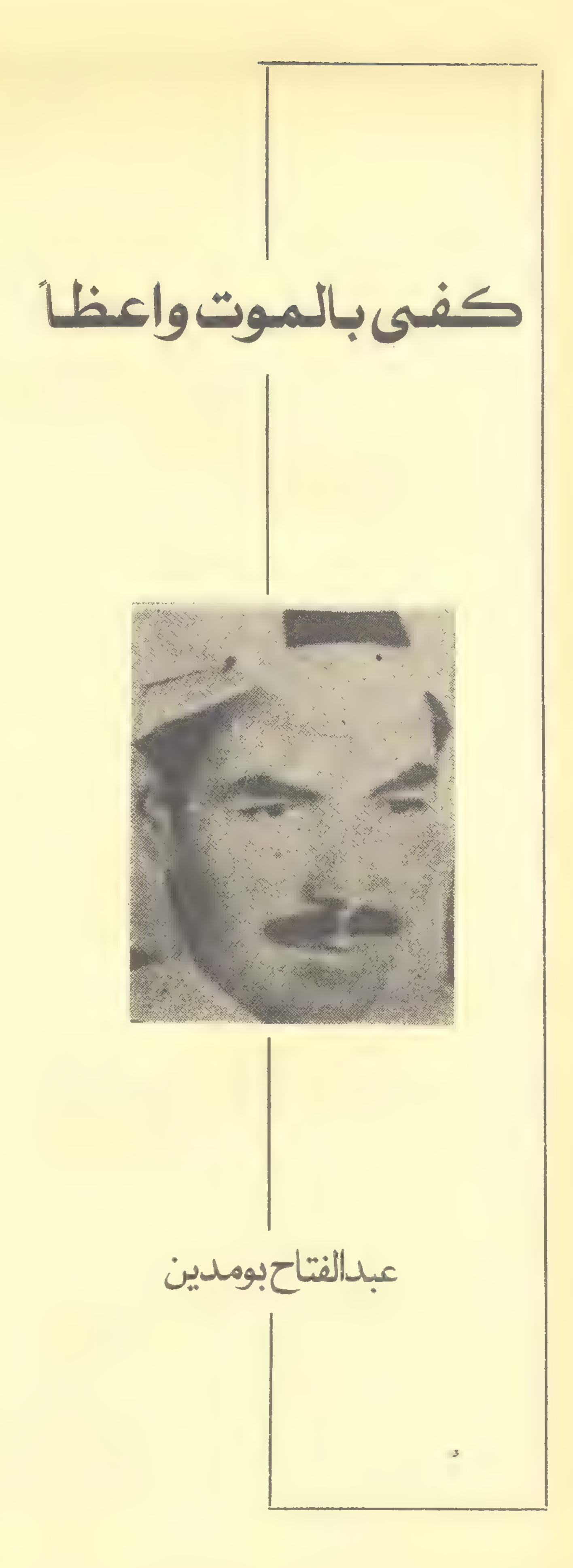
صوتـك الحلــو اذ تغرد يغــري ... بـك قومــا يرون أســرك فنــا !!

قــدر قــد رماك في قبضة الاســر ... وطــير لــدى الربــى يتغنــى !!

فالذي قــد رمــاك في القيــد حظ ... مثــل حظــي من قسوة قــد تجنى

ليت شعري ·· يا بلبل الروض حقا ... ما الــذي تبتغي المقاديــر منــا ؟

كفى بالموت واعظاً



عبدالفتاح بومدين

ما أكثر غفلاتنــا وما أكثـر نسياننــا ، ونحـن الفانــون ، أو الفانين ، على التخصيص ..
ومــا أحقنا أن نتعظ ، وأكبـر عظــة في الحيــاة ـ المــوت ـ هادم اللــذات ..
هناك تموت أحلامنا ، وتفنى آمالنا ، ويتوقف العمل فلا دخل جديد ، لا مرتب لا تقاعد ، ولا شيء ، الا مـــا ادخرنا ، كثيرا ، أو قليلا .

وكفي بالموت واعظا كما قيل .. ولكنا نتعظ ساعة ونخشع في موقف الموت برهة ، ونحتقر الحياة ونندم على ما فرطنا فيها ، ونزهد في الدنيا ونخاف في هذا الموقف الجلل ، بين المقابر ونحن نحمل ميتا ونبكي أيامنا التي ذهبت ولم نحقق فيها ما يكون لنا سندا ورصيدا ، حتى تصل الحال ببعضنا فيتمنى لو أنه لم يخلق ، من الخشية والتفريط ..

حرص في الحياة وتكالب وظلم وقتال .. وفي النهاية يكون المصير ترك كل شيء ، الى حفرة مظلمة موحشة في وحدة بعيدا عن الحياة وملذاتها واطماع النفس فيهـــا وشحها وتشبثها بها كأنها خالدة فيها ..

وفي القبر يتحدد المصير المحتوم ان خيرا أو شرا .. وقد تركنا الحياة كارهين وأضعنا الكثير ولكن ما يفيد الندم بعد فوات الاوان وطوبى للذين يتراجعون وأمامهم الفرص .. فيحسنون العمل ويحسبون للعاقبة حسابها ، ويحاسبون أنفسهم قبل أن يدركهم هادم اللذات ومفرق الجماعات .. الموت .. نقلة من دار عمل فانية الى دار حساب وبقاء ، الى أن تقوم الساعة فتوفى كل نفس ما عملت دون أن تظلم شيئا .. لها ما لها وعليها ما عليها .
نحن في غمرة الحياة والصحة ننسى النهاية التـي لا مفر منها ، ونحن نمر بقوله تعالى : (كل نفس ذائقة الموت) .. ونقرأ (كل من عليها فان) ومع ذلك ننسى في غفلة محزنة .

ننسى ان امامنا مصيرا .. لا مفر منه .. ولا نجاة من الموت .. نتذكر ساعة في موقف يأخذنا الرعب ويملك علينا كل أمورنا .. نخشع في هذا الموقف ونرهب نفوسنا ونحن بين الاموات ونحس بالشعور الذي ينتابنا ، ان مصيرنا سيكون هذه النهاية .. فقد كتب الله على الخلق الفناء .. ثم تفنى الدنيا بزخرفها وزينتها وثرائها وظلمها وخيرها وعدلها فسبحان الحي الباقي ..

تملكني هذا الشعور مساء الجمعة الماضية ، ونحن ندفن والدة الاصدقاء محمد وحمدان وعبد الرحيم صدقة ، في مقبرة الرويس بجدة .. مررت بين القبور وقلـت لنفسي : هؤلاء كانوا معنا بالامس البعيد أو القريب ينعمون بالحياة حريصين عليها ، متمسكين فيها ، ثـم

أدركتهم المنية وهم غافلون فتركوا الحياة غير محبين لتركها ·· ولكنه الفناء الذي كتبه رب العباد على جميع المخلوقات ·· هكذا سنة الله في خلقه : (ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا) ··

هذه القبور التي نمر بينها كان من فيها حيا يعيش كما نعيش اليوم ، ثم تحولوا الى رفات ، عادوا الى ما خلقوا منه وهي الارض ثم هم ينشرون ويخرجون منها في يوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ··

سبحان ربي ·· أهي هذه عاقبة ·· هذه الحياة الدنيا ، رفات ·· بين اللحود ورمائم تذوب مع الايام ، تحسب وترى مصيرها ·· فقدت الاهل والولد والمال ، وانتهت اليك بما لها وما عليها وما اكثر ما عليها من أوزار لا تنسلخ منها الا بواسع رحمتك وجميل عفوك وعظائم مغفرتك ·· نحن الفقراء اليك وانت الغني الحميد ··

هذا السكون الذي لا نحس من ورائه شيئا هو النهاية المؤكدة ·· لهذه الحياة الزائلة ·· تبا لها من حياة ·· ما اتفهها ويا ضيعة من اتخذها غناه ومبتغاه وهو يعلم انه مقيم فيها الى حين ، وانه يجهل اجله ، وان الموت يأتيه بغتة دون أن يشعر ، فيغادر الدنيا كما جاءها ليس له الا ما قدمت يداه ··

وحق علينا ان نزور قبورنا ، لانها تذكرنا بالاخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ·· ان في ارتياد المقابر لعبرة وأي عبرة ·· وان فيها لذكرى وتذكرا ·· فلابد من تجديد العبرة ومعاودة الذكرى لتحزن النفس

البشرية التي زينها العقل ، فتخفف من اثقالها ، وتحد من غلوها ، وترجع عن اسرافها في أمرها وتحرث لدار الحرث الباقية وتتحلى بالعدل والقناعة واحسان العمل ·· تترقب الموت الاتي وتجري الحساب في يومها وفي ليلها ،

ماذا أخذت وماذا اعطت ·· ماذا ربحت وماذا خسرت ·· حسابا لا مغالطة فيه لان كل شيء محسوب فمن وجد خيرا ·· فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فليغير منهجه مسرعا الى ذلك ويعجل بالتوبة ويكف عن الاذى قبل ان يباغته الاجل ·· وليعمل بمبدأ الكريم والوصايا النبوية الراشدة .

عش في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ··

نعم ·· نحن عابرو سبيل ·· ينبغي أن نفقه هذا ونعيه ، وان يكون نصب اعيننا دائما وابدا ·· والا فنحن نظلم انفسنا ولن نجني من ذلك الا الحسرة بعد ان نغادر دار الفناء الى دار البقاء ·· وتقول نفوسنا : ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله ··

نسألك يارب في هذا الشهر العظيم أن تلهمنا الرشد وأن تمن علينا بالهداية وأن تصلح قلوبنا وتطهر نفوسنا ، وأن تشدها اليك وتنصرنا عليها حتى لا نضل ·· وأن تحسن عاقبتنا وان تدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ·· وتتوب علينا توبة نصوحة ·· وتملا نفوسنا بحبك وأبصارنا بنورك ·· وأن تعاملنا بما أنت له أهل ·· انك أهل التقوى وأهل المغفرة .

لا تجعل يا رب بفضلك ورحمتك التي وسعت كل شيء الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا ·· خذ بنواصينا الى الخير ويسرنا له ويسره لنا واعطف عنا فنحن عبيدك العاجزون نقر لك بالوحدانية ونشهد بأنك انت الله الحي القيوم ·· ولا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا وقصرنا في عبادتك وطاعتك ··

اجعلنا من المتقين لنكتب في جناتك وتشملنا رحماتك وانت الكريم القائل : (ان رحمتي وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتقون) .

اللهم أمن روعاتنا واستر عوراتنا واربطنا بحبك فلا نحب شيئا غيرك ، عليك نتوكل واليك ننيب ·· الهنا

وسيدنا لا تكلنا الى أنفسنا واربط على قلوبنا واصرفنا عن الهوى وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي

الاخرة ·· نعوذ بك من عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ··

الهي ·· لا تخيب رجاءنا ، فنحن نطمع أن تغفر

لنا خطايانا ، ولا نقنط من رحمتك ، فأنت تغفر الذنوب

جميعا ، وأنت الغفور الرحيم ·· اجعلنا من الشاكرين

لا نعمك ، لك الحمد الذي يليق بجلالك ومقامك ، لا

نحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ·· نسألك

بأسمائك الحسنى أن تجعلنا من عتقاء شهر رمضان ، وأن

تهدينا للتي هي أقوم الى الطريق المستقيم ·· وأن ترحمنا

حين تتوفانا وترحم موتانا ، وأن تصلح قلوبنا وتطهرها

من الاوضار وتصرفها عن الدنيا ، وأن تربطها بك حتى

تصلح أعمالنا فتكون خالصة لوجهك الكريم ، ولا تخزنا

يوم القيامة ·· ولا حول ولا قوة الا بالله . ●

اشتريت الحب

محمد عبد القادر الفقيه

لم يعد حبي كالحـ   ـب ولا قلبي قلبا
اشتريت الحب من بعـ   ـد زمان كان نهبا
ليس ما يمنح بالطبـ   ـع كما يؤخذ غصبا
غبن البائع والشا   ري فما أضمر عقبا

★ ★ ★

يا لماضيّ فكم كا   ن من الحب نضيرا
كم لثمت الورد مخـ   ـضلا وعانقت العبيرا
ورأيت الشعر منهلا   على وجهي غزيرا
وانتشى قلبي من الحـ   ـب مساء وبكورا

★ ★ ★

المروج الخضر كم سرنا   بها يوما سويا
وليالي البدر فا   ض بها الحب سخيا
والنجوم الزهر كم شا   مت غرامي العبقريا
يا لماضيّ فكم كا   ن من الحب نديا

★ ★ ★

ذاك ماضيّ فما أرضى   من الماضي بديلا
ان شربت الحب هل أشـ   ـفى من القلب الغليلا ؟
أترى يمرع في قلـ   ـبي وقد أمسى محيلا
فوداعا أيها الحب   لقد كنت الجميلا

★ ★ ★

عبثا أنعم بالحب   وقد جف اهابي
عبثا أرجع ماضي   وأحلام شبابي
والاماني التي أغفت ونا   مت في التراب
عبثا تورق أغصا   ني على حلو الرضاب

★ ★ ★

فوداعا أيها الحب   وداعا يا أماني
قد سئمت اليوم أكـ   ـوابي وأهرقت دناني
وارتضيت اليأس من حبـ   ـي فما أعجب شاني !

خيرية السقاف

النار .. والنور

بعضهم يجلس الى الوادي يرقب انحدار الشمس نحو المغيب تودع الارض وقد كساها الخجل وغطى على جمال اشراقتها الحياء ! ! يتساءل لماذا تخجل وتستحي ؟! ولماذا يحزن الوادي وتحزن الارض بعد رحيلها فتتشح السـواد ؟!

ولا يدري الناس عن حزن الوادي ولا عن كآبة الارض ولا عن رحيل الشمس ؟! يضحكون ويضحكون ، يسهرون أو ينامون ؟

أما هؤلاء فيرقبون الوادي ! وحزنه الازلي !

وبعض آخر يجلس الى كومة من الحجارة تساقطت ذات يوم بفعل العواصف والامطار واجتثت عن أصلها الكبير تتساءل عن أحزان الجبل حين انفصلت عنه بعض أجزائه ..

ترى الحشرات الصغيرة وقد اتخذت من الثقوب منافذ تحتمي فيها من الضوء والريح والندى ؟ تتساءل هل استعاض الجبل بالحشرات عن هذه التي اجتثت منه ؟!

والناس لا تدري عن أحزان الجبل ولا تسمع حديث الحشرات ولا تشعر بآلام قطع الحجارة التي تجمعت وكونت بعض المرتفعات على جزء من الارض !!

فتأتي بمعولها تهدم .. وتحطم تنسى آلام الحجر ومشاعر الجبل ، همها الاوحد أن تبني بيتا وتتعالى من خلف الغيوب أصوات تهز الارض .. ولا يسمعها غير

الهواء والضوء والجبال والشجر والحجـر ·· وقلبـي :

يأتيني الصوت في المنام ·· وفي اليقظة ·· يجري ورائي صداه في كل مكان حتى وأنا أعد الحساء لافراد عائلتي الصغيرة · يأتيني سؤال واحد له أبعاد عميقة وله حجم ضخم كبير :

كيف لا يسمع الناس وتســـمعين ؟ كيف لا يحس الناس وتحسين ؟! أوتريدين أن تقولي أنك أرقى بعض الشيء درجة عن هؤلاء الذين ينتشرون حولك ؟!

وتسقط دمعة كبيرة من عينيها تملأ الرحب كلـــه لتتخيل بأنها تسبح داخل طبق الحساء ويصر الصوت على أن تأتيه بالاجابة والا فانه سيحاكمها !!

تحاكمنـــي ؟ !

أنا التي أحس بآلام الحجر · وأشعر بخوف الحشرات ·· وأتحسس مواجع الضوء ·· وأحزن على كآبة الشمس في المغيب ·· وأواسي الوادي والتل والمنبسط من الارض حين يكتئب لحزن الشمس وخجلها ؟! تحاكمني لانني أشعر !! وهل أنت الذي خلقت الشعور لتسألني عن حجم شعوري ؟! هل أنت الذي زرعت الحس في الوجدان وأغلقت عليه الضلوع لتكون له سياجا من وهج الشمس ومن نعومة المساء ؟! هل وهل ··· ويسقط في يدها ·· الصـــوت تلاشى ·· وتبخرت دمعتها الكبيرة ·· ولا شيء في يدها سوى وعاء الحساء فقط ·· وتخرج من مكانها ذاهلـــة تفكـــــر ؟

وفجأة ·· يتجسد السؤال أمامها ·· كيف يبكي الحجر ·· وكيف يحس البشر وكيف تمشي الحشرات وكيف ينام الكون ويسهر القمر ؟!

لكن من الحجارة ما يتفتت من خشية الله ، ولكـــن الحشرات قد استودعها الله بطون الحجارة تبحث عن مكمنها ومأمنها ·· ولكن القمر والشمس كليهما في فلك يسبحان يعلمان الناس الحساب والزمن !

ولكن الانسان يشعر فاذن هو مسؤول :

عما يمكن أن يتساءل المرء ولا يجد اجابة ؟! كيف له أن ينحسر يوما عن درب هو يدرك يقينا بأنه فيه وله وعنه سيصدر كل ما يفعل !

انها المهزلة البشرية التي لا تعي دورهـــا ولا تدرك مسؤوليتها ؟!

ويضحك من خلفها الصدى !

وهل تعين دونهم · وتدركين ما لا يدركون ؟!

والتفتت للصدى تجابهه !

كفاك سخرية أيها السؤال العنيد ·· فرق بين بؤرة يقظة منتفخة وبين بؤرة قد علاها الصدأ وغطتها أكثفة من الدخان والسحاب !!

انني أشعر ببؤرة النور منفتحة صافية لا يعكرهـــا شيء تتضح وتتضح حتى لتتسع لشعور الجبل وآلام الحجر وكآبة الارض كـــل الارض ·· الحـــزن الابدي الازلـــي الذي تعيشه النسمة وهي تمر بالناس ، ويعيشه الضوء وهو يلف الناس وتمارسه الظلمة وهي تستر الناس له مكمن في عمق هذا النور الذي يلفني رغم أننا نضيع ·· ونحزن ·· ونجهل :

ــ ونضيع في لجج الغرابة ·

(العالم المحزون يا أمي) ·

سحابات كآبــة ··

من يسير اليوم لا يدري ما به ··

انها الدنيا ·· ودنيانا سراب ··

العالم محزون محزون أيها الصدى ··

حزين حزين أيها الصوت ··

كئيب كئيب أيها السؤال !

أفلا ترى كيف يهرب الناس من الحزن •• يضحكون ••• يبتسمون ويخفي كل منهم آلامه •

يخرج اليك من منزله وهو قد تشــاجر مع زوجه أو أحد أبنائه أو أحد أقاربه ! سرقه هذا ، خدعه ذلك ، خانه هذا ، اغتابه أولئك ، وتجرعوا كل السموم وتقيأوا كل الحسد لكنهم بمجرد أن يقابلوك خارج دائرة أحزانهم يضــحكون !!

كفاكم غشا وتمويها !! لا تضحكوا فان الضـــحك يميت القلب ! وربما قلوبكم قد ماتت !

ـ ويضحك الصدى وقلبك ألم يمت ؟!

ـ أنا لا أضحك ! ـ قال الصدى ـ ولكني أسمعك تضـــحكين •

ـ عندما أكون سعيدة غير حزينة أضحك !! حين أفلت من سياج الاحزان أبتسم ؟

وحين أمارس حزن البشر •• لا أضحك حتى لو جئتني تحمل أحب الاشياء الي لن أضحك ! ان عملية الضحك عملية مرهقة للاعصاب •• ولكن الحزن سيد المواقف ! انه الوسيلة الصادقة للصدق، وانه أيسر السبل لان تتكشف لك حقائق السحاب والدخان اللذين يغطيان بؤر النور في مكانــك !!

قال الصدى : عجزت عن المتابعة ••

قالت : دعني وما أحس لما أحس •• دعني أفكر كيف أشاء وأمارس حزني أو فرحي كيف أريد اني لاخالك بحاجة الى الهروب •• اهرب عن عالمنا فان لك قدرة الانعكاس الى أبعد من حدود الارض •• الارض مكمن العبر •• وعساني لا أكون مخطئة بأنك في غنى عن متابعة العبر !!

وتسلل الفجر رويدا رويدا يشق ستار الظلام • يمزق برأسه غطاء الارض الكئيب •• وهناك مجموعة يجلسون الى النار يعدون ما يسد جوعهم !

ومن بين النار كانت هناك قطعة خشب قد احترق جزء منها ولم يحترق الاخر قالت :

أو يمكن أن يفكر أحد من الناس بأن هنا في ثقوبي تعيش عائلة من النمل ؟!

بالامس قدمت قافلة محملة بزاد أشهر الشتاء •• أودعتها داخلي •• حملتها أمانة وما فتئت أحافظ عليها • نصف هذه القافلة قد أحرقها البشر !!

والنصف الاخر قد تشتت في الارض !!

والزاد ما زال في عمقي •• ستلتهمه النيران ••

مدت يدها •• سحبت قطعة الخشب من النــــار •• وتركتها جانبا ••

عسى قافلة النمل المتشتتة تعود •• واحدة فقط أخذت تراود نفسها بالدخول في ثقب صغير من قطعة الخشب عساه يكون هو هذا الدار المهجور !!

ـ وعندما ابتسم سليمان وهو يسمع النمل يتحدث •• ابتسم ليؤكد بأن النمل لا تقصده ظالما محطما لكنه وجنوده ان حطموها فليس عن نية بذلك •

وأسدل الفجر برداء نوراني على بقية الارض ••

وأطلت الشمس بوجه متفائل من جديد يخصبه نوع من الخوف من ثقل حزن يوم جديد وتفرق الناس يبحث بعضهم عن فراشه لينام •• وبعض آخر عن عمله ليبدأه ••

وفريق ثالث لم ينم ولم يعمل ولكنه بدأ رحلــــة الضياع الازلي •

فاطمة حناوي

العرجاء

بهتت الدكتورة رابعة ٠٠ عند اطلاعها على التقرير الذي أجمع عليه « كونسلتو » الاطباء ٠٠ بصدد مرض صديقتها خديجة ٠٠

وشعرت أن الارض تميد من تحتها ٠٠ وهي تقرأ تلك السطور المؤلمة ٠٠ يا لله ما هذه الفاجعة ٠٠ أحقا أن خديجة مصابة بمرض السرطان في ثديها ؟

وهل صحيح أنهم سيبترون الثدي المصاب ؟
يالها من حقيقة مرة ٠٠ وواقع أليم ٠٠
رباه كيف سيكون وقع الخبر على أهلها ؟

ترى ماذا سيكون مصير أولادها الاربعة ؟

ليتولكم الله برعايته أيها الابرياء ٠٠ وليجعل لكم في قلوب الاخرين رحمة وحنانا ٠ ليعوضكم حب وحنان ذلك الينبوع الذي سينضب ماؤه بعد حين من الدهر ٠٠ وهيهات ان أفلحوا ٠

آه ما أضعف الانسان وما أقل حيلته أمام خبث المرض ٠

من كان يخطر بباله ٠٠ انه سيجيء اليوم الذي تكون فيه خديجة صريعة المرض ؟! يصرعها ٠٠ ولا تصرعه ٠٠ خديجة تلك الانسانة التي عاشت طوال حياتها متمردة على الشدائد ٠٠ هازئة بكل فقير ومريض ٠٠ غير آبهة بمشاعر الناس وغير مكترثة باحترام عواطفهم !

أجل لقد كانت خديجة ليسامحها الله ٠٠ أسيرة شيء اسمه المال ٠٠ أما الفقراء والمرضى فكانوا في نظرها مجرد شوهات عليلة ٠٠ لا وجود لها في عالم الانسان الغني ٠٠ الانسان الصحيح المعافى ٠

لطالما اشمأزت من المرض وتحدت شيئا اسمه المرض ٠٠ وها هو المرض اليوم يتحداها فيرديها أرضا ٠٠ فتكون ضحية مرض لعين عنيد ٠ جعل لحياتها حدودا ٠٠ في أيام معدودات أصبح هو السيد الامر ٠٠ وهي الخادم الذليل المنصاع لاوامر سيده ٠٠ مسكينة أنت يا خديجة ٠٠ ليسامحك الله على أخطائك ٠

وانني قد سامحتك على كل اساءة بدرت منك ٠٠ أنت التي ما توانيت يوما عن معايرتي بالعرج ٠٠ وأنت كنت تعلمين أن هذه ارادة الله ٠٠ لا ارادة انسان ٠٠ ولكنك تتجاهلين ذلك ٠

ولن أنسى يوم أن كنا صغارا نلعب مع أترابنا في الحي.. يوم أن كنت تجمعين الاطفال حولك.. وتتصايحون .. ها هي ذي العرجاء آتية .

ليتك كنت تعلمين بما أشعر من حسرة وألم حين سماعي اصواتكن التي كانت تنزل مني نزول الصاعقة فتدمر كياني .. تحطم كبريائي .. تدمي عواطفي واحساسي .

ولكثرة ما بكيت بين أحضان أمي .. بكيت بكاء الثكلى على وحيدها .. فكانت أمي هي التي تخفف عني آلامي .. وتحاول أن تغرس في نفسي شيئا اسمه الحب والتسامح .. وقد نجحت في ذلك الى أبعد مدى .

وها أنا اليوم .. أجني ثمار ما غرسته يدا أمي ثمرا طيبا شهيا .

وكيف أنسى يوم حفل خطوبتك .. وكنت أنا قد حصلت على شهادة الثانوية العامة .. أجل انني أذكر ذلك الوقت تماما .. لقد كان قبل سفري الى الخارج بأيام للانتساب الى احدى كليات الطب هناك .

جئت لاهنئك .. فما كان منك الا أن تجرحيني بكلمة لا أحبها تمحى من ذاكرتي .. حين قلت ما دمت أنك مسافرة لدراسة الطب يارابعة فيجدر بك أول ما تحصلين على شهادة الطب أن تعالجي عرجك .. والا فلا أعتقد أننا سوف نحضر لك حفلة خطوبة .. ما دمت عرجاء .. لان الشباب لا يرغبون في زوجات عليلات . وانما يريدونهن صحيحات معافيات ..

لقد قلتها أنت بكل بساطة .. وبلا مبالاة .. واتخذتها الحاضرات بمثابة الطرفة .. فضحكن جميعا .. وشعرت أنا بسهام مطعمة بالسم الزعاف .. أصابت قلبي الغض الذي ما عرف الكراهية .. ولا حمل الاساءة .. ولا الضغينة يوما ..

فافترقنا .. ولم نلتق بعد ذلك .. الا هنا في المستشفى .. حيث أنت المريضة وأنا التي تطببك .. وأحاول أن أخفف عنك آلامك التي تحسينها أنت وألمسها أنا ..

لست شامتة .. فاللهم لا شماتة في المرض .. وليتني أستطيع أن أفعل شيئا يمحو مرضك ويبرئك منه . ولكن لا حول لي ولا طول . الا أن أقف بجانب زملائي الاطباء وأشارك في اجراء العملية .. لنخفف عنك حدة الالم ..

وانه ليحز في نفسي ويؤلمني .. أن يكون بتر ثدييك هو الشيء الوحيد الذي أجمع عليه خيرة الاطباء .. ويا ليت الامر يقف عند هذا الحد .. اذن لهان الامر .. وكانت المصيبة أخف وطأة .. ولكن هذه مشيئة الله .. ولله في عباده شؤون .

فقطع ثديك يا أخية .. ما هو الا تخفيف للالم لمدة أقصاها عشر سنوات وأوسطها وأدناها سنة .. والذي أعتقده أن الاخيرة هي الارجح .. ويكون منتهى مطافك فالمرض قد أخذ منك مأخذه . سنة وبعدها سوف ترحلين الى عالم الصمت حيث لا ضجيج ولا همس .. لا غني .. لا فقير .. لامريض ولا معافى .

هناك حيث لا ينفع الانسان الا عمله .. فاللهم اجعلنا من عبادك صالحي الاعمال .

وانتهت رابعة على صوت الممرضة وهي تقول لها :

ـ غرفة العمليات جاهزة يا دكتورة وجميع الاطباء على أهبة الاستعداد .. وينتظرون حضورك .

ـ حاضر يا سعاد .. ها أنا آتية .

ونهضت رابعة .. تسير الهوينا في ممر المستشفى المؤدي الى غرفة العمليات وعبراتها تحجب عنها الرؤية .. وقلبها يقطر .. دما على مصير انسانة أساءت اليها الايام .. فجعلت منها بقايا أشلاء .

فاطمة حناوي

الجيولوجيا الاقتصادية

والثروة المعدنية في المملكة العربية السعودية

تأليف : د. محمد عبده يماني

عرض وتقديم : حسان الكاتب



الدكتور محمد عبده يماني

كتاب قيم أصدرته دار الاصفهاني للطباعة في جدة للدكتور محمد عبده يماني وزير الاعلام في المملكة العربية السعودية حاليا .

تميز الكتاب بطباعته الانيقة الفاخرة وبغلافه الجذاب وهو بعنوان « الجيولوجيا الاقتصادية والثروة المعدنية في المملكة العربية السعودية » .. وقد ضم مجموعة كبيرة من الصور والمقاطع والمصورات والمخططات والخرائط الملونة بلغ عددها ـ ٩١ ـ لوحة وصورة ، ويقع في ٣٣٥ صفحة من القطع الكبير .

أخرج الكتاب ورسم بعض صوره الاستاذ غالب الاسعد المعيد في جامعة الرياض وقام بمراجعة بعض مواضيعه الدكتور زكي زغلول .

لقد أثرت في كلمة الاهداء التي تصدرت الكتاب والتي دلت على انسانية سامية من مؤلف الكتاب واحترامه الزائد لوالديه واعترافا بجميلهما حيث يول :

اليكما أبوي العزيزين ..

أهدي باكورة ما غرستما ، حامدا الله أن أبقاكما حتى تريا ثمرة ما رعيتما .. داعيا ربي لكما بخير الجزاء .. ولهذا العمل المتواضع بجميل النفع ومطرد النماء ..

وقد اعتمد المؤلف الفاضل على المراجع الاجنبية والعربية في تأليف كتابه ١٨ مرجعا أجنبيا و ٥ مراجع عربية ، وضم الكتاب جدولا يبين السلم الزمني أو العمود الجيولوجي يضم الحقب والزمن والعصر والعمر الارضي بملايين السنين والملاحظات التي أضافها المؤلف حول كل فقرة وهو يقع في ٦ صفحات .. كما أضاف الدكتور يماني كشافا بحسب الحروف الهجائية عن المعادن مع ذكر رقم الصفحة الى جانب كل معدن باللغتين العربية والانكليزية وهو يقع في ٦٧ صفحة .

أعد المؤلف كتابه حين كان يدرس مادة الجيولوجيا الاقتصادية لطلاب العلوم في جامعة الرياض ولم يكن بين يديه أي مرجع عربي يعتمد عليه في تدريس هذه المادة ولذلك فقد عكف على ترجمة بعض المصادر الاجنبية والتقارير العلمية لخبراء وزارة البترول والشركات الاستشارية . وبدا له بعد حين ، أن يسرع في وضع كتاب عن الجيولوجيا الاقتصادية والثروة المعدنية في المملكة العربية السعودية بصورة خاصة . وعندما انتهى من الكتاب اعتمد عليه في صورته الاولية بالتدريس منه .. ومن هنا نفهم بأن الدكتور يماني وضع كتابه لاول مرة حيث لم يكن هناك مراجع عربية للمادة التي يدرسها باللغة العربية وبعمله هذا أضاف صرحا جديدا في ميدان الجيولوجيا الاقتصادية والثروة المعدنية في المملكة العربية السعودية ، فقد بذل جهدا كبيرا في وضع هذا الصرح وقدم بكتابه هذا خدمة جلى لطلاب العلوم في جامعة الرياض وبالتالي أضاف مادة جديدة للمكتبة العربية في هذا الميدان .

ويعرّف المؤلف علم الجيولوجيا الاقتصادية بقوله : هو علم الرواسب المعدنية وأحد فروع العلوم الجيولوجية ، يختص بدراسة الخامات المعدنية ذات القيمة الاقتصادية ويهتم بدراسة أشكالها وامتدادها وتراكيبها ومكوناتها المعدنية وطريقة تكوينها وكميتها وأصلها وامكانية استغلالها وهو يمثل في حقيقة الامر ثمرة العلوم الجيولوجية التي تخدم اقتصاد العالم .

ولقد قسم المؤلف الفاضل كتابه الى تسعة فصول و ١٣ بحثا .

وأخيرا لا بد من تسجيل كلمة شكر وامتنان الى معالي وزير الاعلام في المملكة العربية السعودية الدكتور محمد عبده يماني على تأليف هذا الكتاب النفيس في الجيولوجيا الاقتصادية . والذي أضاف فيه بحثا جديدا في المكتبة العربية هي بأمس الحاجة اليه في ميدان العلوم الجيولوجية الاقتصادية .

عبد العزيز الرفاعي

محمد بن بليهد

رائد أدب المنازل والديار

كما أغدق الله عز وجل ، على الجزيرة العربية ، فأودع في أعماق أرضها كنوزا من الزيت والمعادن الثمينة ٠٠ فان على سطح أرضها أيضا الكثير من المعالم ، التي يهتم بها علماء الادب العربي ودارسوه ، والباحثون في أغواره ٠٠ تماما ٠٠ كما يهتم علماء باطن الارض بما اندس في أغوارها وأعماقها من ثروات دفينة ٠٠

ذلك لان هذه الارض ، التي تبدو قاحلة خالية من الانهار والغابات ، الا فيما ندر هنا أو هنالك ٠٠ كان سكانها شديدي الالتصاق بها ٠٠ أحبوها ٠٠ وأحبوا كل ذرة رمل فيها ٠٠ فلم يدعو جبلا ولا كثيبا ، ولا واديا ، ولا ماء ، ولا أجمة ولا روضة ٠٠ ولا نبتة الا وأسموها ، ووصفوها ولهجوا بذكرها ، بل تغنوا وحنوا ٠٠

حقا ٠٠ لقد انطلقت عن هذه الارض هجرات كثيرة ٠٠ وساح منها أفواج تلو أفواج ٠٠ ولكن الانسان العربي لم يهجر أرضه البتة ٠٠ فقد ظل فيها منه بقية هي أرومة العربي التي لم تنفذ ٠٠
كانت الهجرات منها ، كالدلاء تأخذ من بئر سخية ، لا يغور ماؤها ولا ينضب ٠٠

ولئن ساغ لسكان هذه الارض ، أن يستعينوا بالعلم الحديث والمتخصصين فيه من أهل الجيولوجيا ٠٠ والقادرين على استخراج كنوزهم من أعماقها ٠٠ من غير أهلها ٠٠ فانه لا يسوغ لهم البتة ٠٠ أن يستعينوا بغيرهم على استطلاع تلك المعالم البارزة على سطح الارض التي يهتم بها علماء تأريخ الادب ودارسوه والباحثون عن دقائق أسراره ٠٠ ذلك لان صاحب الدار أدرى بما فيها ٠٠ ولانهم ما يزالون يرتبطون بأرضهم بنفس الرباط القديم الذي شد الانسان العربي في عهد الجاهلية ، الى أرضه ٠٠ ولا يزال انسان الجزيرة ٠٠ وخاصة ابن البادية ، جوّاب الارض ، متطلعا الى ما حوله ٠٠ يعرف معالم بلاده ٠٠ وما يحيط بها ٠٠

وقبل أن تشرئب الاعناق ، الى كنوز جزيرة العرب التي تكمن في أعماقها ، اشرأبت أعناق الادباء والشعراء والباحثين في الادب والشعر ٠٠ الى استكناه تلك المعالم ، والمنازل ، والديار ، والجبال ، والسهول ، التي وصفها امرؤ القيس ، وطرفة ، والنابغة ، وعنترة ، وغيرهم من فحول شعراء الجاهلية ، سواء منهم أصحاب المعلقات ، أو غير أصحابها ٠٠

كانوا يتساءلون أين هي هذه الاماكن ٠٠ ؟ وكيف نتعرف اليها على الخريطة ٠٠ ؟ وهل لا تزال الاسماء هي الاسماء ٠٠ ؟ أم تغيرت الديار ٠٠ ؟ وكأنهم يقفون مع امرىء القيس قائلين ٠٠

قفا نبك .. من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى، بين الدخول فحومل..
فتوضـح فالمقــراة لم يعف رســمها
لما نسجتها من جنوب وشــمأل ..
الــخ ..

أين سقط اللوى ؟ وأين الدخول وحومل ؟ وأين المقراة ؟ وهل لا تزال لم يعف رسمها مع كل عوامل الطبيعة ورياحها وأمطارها .. وعوامل التعرية والتآكل وما لست أعرفه من مسميات أهل هذا العلم ..؟

حقا انهم لا يشعرون بالحاجة الى البكاء مع امريء القيس ، فان الدموع الان أصبحت شحيحة لا تسح على ما كانت عليه في عهد امريء القيس .. ولكن لا أقل من وقفة تأمل وتطلع واستكناه ..

في مستهل عهد نهضة المملكة العربية السعودية ، والتفات العالم العربي وغير العربي ، الى بوادر التطور الاجتماعي والحضاري في المملكة .. كان هناك تطلع ملح الى من يتولى تعريف تلك المنازل والديار والمعالم ، الىعلماء الادب ودارسيه ..

ترى من يتولى هذه المهمة الشاقة .. ؟

لا بد أن يتولاها رائد من أهل هذه البلاد .. خبير بها ، أو يصح أن يصبح خبيرا بها ..

ولكن .. لا بد أن يكون هذا الخبير ، ذا حاسة أدبية .. فلو افتقد هذه الحاسة ، لما استطاع أن يساير هؤلاء الشعراء في أوصافهم ، ولا أن يستشف مقاصدهم ..

ولا بد أيضا أن يكون ذا جلد وصبر .. له دربة على امتطاء ظهور النياق ، والانسياح في الصحارى ، واحتمال جفاف الحياة بها .. وانقطاع الماء والشجر وقلة الانيس والرفيق ، وهجوم الحر والقر ، وأخطار الذئاب والافاعي.

ترى من هو الشخص الذي تتوفر فيه كل هذه المميزات أو كل هذه الطاقات ، التي قلما تتوفر في رجل واحد .. ؟

كان الشيخ محمد بن بليهد مهيئا لكل ذلك، لتوفر كل تلك المميزات فيه ..

ولقد توفرت له ظروف وامكانيات ساعدته على بلوغ هدفه .. فاضطلع بمهمته اضطلاعا جيدا ، سيظل يذكره له التأريخ بالاعجاب والتقدير .

★ ★ ★

ومن خلال الكتاب القيم الذي أصدره الشيخ محمد بن بليهد المسمى (صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الاثــار) سأتلمس بعض ملامح الجهد الذي بذله المؤلف رحمه الله في مادة هذا الكتاب ..

ولست في حاجة أن أقول ، قبل ذلك ، أن الكتاب ليس مبرءا من الاخطاء .. فهو قطعا ككل مجهود بشري لم يخل منها .. ولكنها لا تقل بحال من قيمة ذلك الجهــد الذي بذله هذا الرجل ، ليخرج هذا العمل الكبير ..

ولعل أهم نقدة كتاب (صحيح الاخبار) كان العلامة الشيخ حمد الجاسر .. الذي كان ولا يزال له اهتمــام كبير بالجغرافية التأريخية للمملكة العربية السعودية ، التي تغطي مساحتها معظم أنحاء الجزيرة العربية ، كما تغطي معظم مواطن الشعر العربي القديم .. ولقد فعل الشيخ حمد ذلك ، حياة المؤلف نفسه .. حينما كان ينشــر فصول كتابه في بعض صحف المملكة ..

وقد اشتمل الكتاب على رد الشيخ ابن بليهد على ناقده .. وبيان وجهة نظره ..

واذا كانت الجهود الاولية التي بدأها الشيخ حمد الجاسر منذ نحو أربعين سنة في سبيل التعرف على الجغرافية التأريخية لبلاده ، وقد تطورت الان الى عمل ضخم يضطلع به مع عدد من كرام العلماء الذين يشاركونه اهتمامه ، يهدف الى وضع معجم جغرافي للجزيرة العربية .. فانه لا ينبغي أن تنسى أن الظروف الان أصبحت أكثر مساعفة منها في ذلك الزمن الذي كان فيه الشيخ ابن بليهد يمتطي ناقته

عبر الصحاري في سبيل تحقيق الفكرة العلمية الادبية التي استولت عليه ..

حقا .. لقد وجد الشيخ محمد بن بليهد رحمه الله تشجيعا وحضا من قبل بعض المسؤولين .. وكان الملك فيصل رحمه الله حينما كان نائبا لجلالة الملك عبد العزيز رحمه الله في الحجاز ، يحفزه للقيام بتلك المهمة الجليلة .. كما يقول ابن بليهد نفسه في مقدمة الجزء الاول من كتابه :

« فأمر أن أكتب في هذا الموضوع ، على صعوبته ـ مبينا كل ماء ، أو جبل ، أو واد ، أو كثيب ، وأبين مع كل ذلك ـ ما كان منها باقيا باسمه القديم الى اليوم ، وما تغير اســـمه » ..

ولكن .. لماذا اختار الفيصل رحمه الله ، هـــذا الرجل للقيام بهذه المهمة .. ؟

يجيب الشيخ ابن بليهد رحمه الله على ذلك في الفقرة ذاتها بقوله :

« لكثرة تجوالي في نجد ، ودراستي معالمها وآثارها دراسة وافية .. وفي المثل السائر : قتل كل أرض خبيرها» .

اذن .. فهو يرى نفسه خبيرا ، قتل أرضه علما .. وانه مؤهل تماما للمهمة التي انتدب اليها ..

ولا شك أنه قد أثبت كفايته وجدارته بلقب «الخبير» وذلك في كتابه الضخم الذي يشف عن مجهود جسمي وفكري كبير اضطلع به ..

ولكن .. هل اكتفى الرجل بخبرته القديمة وحدها ؟ كلا .. فقد أخذ ينشىء رحلات جديدة ، بغيـــة التحقق الشخصي ، والمعاينة .. والتأكد .. وهو يعبر عن ذلك في مقدمة الجزء الاول :

« على أني لم أكتف بمعلوماتي الخاصة ، فقد أنشأت أسفارا جديدة ، حبا في الوقوف على الحقيقة ..» ..

ولكن رحلات ابن بليهد الشخصية لا تتسع لمسح جميع الاماكن التي يود أن يتحقق من أمرها ومن مسمياتها الحالية .. فانتدب أشخاصا ممن يتحملون وعثاء السفر في الصحاري ممن يعرفون الطرق والديار ، لكي يتحققوا له من المنازل والامكنة التي يريد ، وهو يقول في مقدمة الجزء الاول ، أيضا تعبيرا عن ذلك : « وبلغ بي الامر ـ اذا اشتبه علي موضوع لم أذهب اليه ـ أن أرسل بعض الاعراب الذين يعرفون البقاع في بلاد العرب الى المكان الذي أتحرى وجوده فيه ، ليبحثوا عنه ، ويأتون بالخبر ، فأبذل لهم الجوائز لقاء تعبهم .. » .

ومن الطبيعي أن يستغرق هذا العمل الكبير زمنـــا طويلا ، فانه ليس بالعمل السهل ، ولا الميسور .. خاصة وأن الطريق أمامه غير ممهدة ..

صحيح أن هناك جهودا ضخمة بذلها في هذا السبيل أصحاب المعاجم ، والجغرافيون العرب ، أمثال ياقـوت الحموي ، والبكري، وصاحب كتاب ـ صفة جزيرة العرب ـ الذي أفاد منه كثيرا الشيخ ابن بليهد .. ولكن الفاصـل الزمني أصبح كبيرا بين عصرنا ، وبين الكثير من هؤلاء .. كما أن الكثير منهم لم يكتب عن مشاهدة وانما نقل نقلا .. فجاءت الاماكن ، أو معظمها غير محددة تحديدا دقيقا .. فكانت هذه هي المهمة الكبرى التي اضطلع بها ابن بليهد فهو لم يقتصر على تعريف المعاصرين على هذه الامكنة والديار ، وانما أيضا عمل على تصحيح وتصويب الاخطاء التي وقع فيها أولئك السابقون أو على الاقل وضع تحديد معقول لتلك الامكنة .

والى الوقت الذي أخذ فيه ابن بليهد ينشر حصيلة جهوده ، أو بعض تلك الحصيلة في الصحف .. كان يعتبر هو السباق في هذا الميدان ، بالنسبة للباحثين من أهل البلاد أنفســـهم ..

حقا .. لقد كان هناك شاب مثقف واسع الاطلاع . شديد الشغف بهذا الاتجاه ،هو استاذنا الشيخ حمد الجاسر، الذي أصبح علامة ثقة في هذا المضمار .

ولقد تصدى هذا الشاب ـ كما أسلفت ـ للشيخ ابن بليهد وأخذ ينشر تصحيحات وتصويبات ، لما كان ينشره من مقالات نتيجة بحثه وتحقيقه ..

وقد تبنى الشيخ الجاسر فيما بعد ، مهمة كبرى ، هي ـ كما أسلفت ـ اصدار معجم جغرافي ضخم للجزيرة العربية ، صدرت بالفعل بعض أجزائه .. وهو عمل بالغ الاهمية .. جدير بالاشارة .. بالاضافة الى أنه يوالي اهتمامه هذا عن طريق نشر البحوث والتعليقات المستمرة في مجلته الرصينة الهادفة ـ العرب ـ التي ينشر بها فصولا من ذلك المعجم العظيم ..

والاستاذ حمد الجاسر ورفقته ، يستندون أيضا فيما يدونونه على المشاهدة العيانية ، مستعينين بالرحـــلات المتتالية .. مستهينين أيضا بما يواجههم في ذلك من مشاق ومصاعب .. !

ولا نكران في اختلاف الزمن والظروف الحالية عنها في زمن الشيخ ابن بليهد رحمه الله .. حيث كان كثيرا ما يمتطي ظهر ناقته ، فيتجاوز بها القفار والصحاري .. وذلك قبل انتشار السيارات والطيارات ، وقبل عهـود الكهربـــاء ..

لقد ظل ابن بليهد يعمل في تلك الظروف الصعبة أربعين سنة .. وهو يصف بعض ما عانى في ذلك ، بايجاز في مقدمة الجزء الرابع فيقول :

« طوّفت بهذه المملكة المترامية الاطراف أربعـين عاما ، وقضيت سنوات طويلة تتقاذفني أنا وناقتي الفلوات أسمع عواء الذئاب ، وأطعم في بعض رحلاتي من الظباء والضباب ، ولقيت من الاهوال والمخاوف والمتاعب ما يشيب له الولدان ، فكثيرا ما فوجئت بحيّات وذئاب، وكثيرا ما نفد زادي ومائي ، وأشرفت على الهلاك ، وكثيرا ما شعرت بالسموم ، كأنه فحيح جهنم ، ولكن الله أنجاني وكتب لي العمر حتى أروي قصص أحد مخلوقاته العظام » .

ولست أشك في صحة هذا الذي قاله الاستاذ ابن بليهد .. ولكني أود أن أذكّر به الناقدين الذين يقفون في هذا العمل الكبير الذي اضطلع به ، على بعض الاخطاء .. أو على خلل في الاسلوب والصياغة .. ليعلموا أي مجهود جبار بذله هذا الرائد لكي يضـع بين أيدينا هـذه التحقيقـات السائغة .. التي قدمها الينا في كثير من التواضع حينما قال في المقدمة ذاتها :

(ليعرف القارىء مدى الجهد الذي بذلت ، وعظم التعب الذي تحملته في سبيل تحقيق المواقع القديمة تحقيقا علميا لا أدعي أنه نهاية الصواب .. ولكن ذلك اجتهادي وعلمي ، وهذا ما وهب الله لي من العلم والجهد ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ، فان أحسنت فذلك فضل الله ، وان أخطأت فذلك آية انسانيتي) .

وبعد .. فقد استطاع الاستاذ ابن بليهد ، أن يربط الحاضر بالماضي ، وأن يقرب الى الاذهان، ما كان بعيدا .. وأن يعطي الشعر الجاهلي ، تفسيرا جديدا ، وأن يجلو كثيرا من اللبس والخطأ ، وأن يصوّب كثيرا من معاجـم الاماكن ، وأن يخدم جغرافية الجزيرة العربية ..

وهو لكل ذلك جدير بالاكبار .. وأن تذكر عمله بما يستحق من ثناء كبير .

الرياض ـ عبد العزيز الرفاعي

العزف بالكلمات

حصة محمد التويجري

حوار مبتور :

ما أشد أنواع الصراع قسوة وجفافا ؟!

ـ الصراع الذاتي . فأنت مع ذاتك الخصم والخصيم والحكم ، في اللحظة ذاتها ، تجهد في أن تدينها متى أساءت الى الغير ، في حين تحرص على أن تجعل منها حكما عادلا . عليها ، أو لها . تدينها ان رأيتها على خطأ ، وتشهد لها بالبراءة ان اقتنعت أنها كذلك . وفي جميع المواقف تمضغ المعاناة وتتجرع المرارة .

حوار مغلق :

قال لها ليتك تدركين كم يكون يومي تعيسا . وكم أكون حزينا ، متى قذفت في مسمعي بكلماتك محملة بالرفض واللا مبالاة . قالت : وليتك تدرك كم أعاني وأنا أفعل لانني أشقى متى تسببت في شقاء الاخرين ..

قال ـ اذن لماذا تعمدين الى اخماد وميض مشاعري بدلا من خلق الحب ؟

قالت : كن واقعيا ..

نستطيع أن نخلق الفرح ، والحزن .. والدهشة ، والاعجاب .. والكثير من المشاعر . في نفوسنا .. ولكننا لا نملك مطلقا أن نخلق الحب .. فالحب يخلقنا . لذلك دع عنك معايشة الآلام والمعاناة ، مما خلقنا بعضا لبعض .

لا تعودي

محمد سعد المشعان

لا تعودي فلم يعد في وجودي — لخريف الشفاه الا برودي

عنفواني كم راح ينمو استعارا — وضحايا الحرير أقوى شهودي

كنت اذ كنت والهوى يتلظى — وسعاري يصيح : هل من مزيد

ثم ألويت كالسبايا وذابت — ذكريات «الرياض» خلف النفود

أملي كالضباب ينمو ويخبو — وقنوطي يموت فيه صمودي

قبضة «الاربعين» تلوي جموحي — غضنت وجنتي وشدت قيودي

كلما ثرت ـ والحنايا جحيم ـ — راح سيف الزمان يجتث عودي

أتسلى لعلني عنك أسلو — فأرى مقلتيك مأوى شرودي

الليالي التي قتلنا صباها — بالتناجي مكللا بالسعود

تتمنى منك التفاتا وترجو — أن تخر النجوم ان لم تعودي

* * *

فخذيني الى المودة يوما — واذبحيني على رمال الصدود

ودعيني بين الرضا منك والهجر — طريدا أضل « بيت القصيد »

أنشد الحيرة الكئيبة في درب — متاهي وأكتوي بالنشيد

أنت ذكرى تغلغلت في خيالي — وأشاعت وجودها في وجودي



ابراهيم حريب

مع الاستاذ

عبد العزيز الرفاعي

الاستاذ عبد العزيز الرفاعي واحد من أعلام الادب والفكر في المملكة العربية السعودية ، هادىء الطبع ، متزن رزين ، تجلس اليه وتتحدث معه فتشعر بانك مع انسان ، بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معاني ، تستطيع أن تسبر غوره بيسر ، فنظاراته لا تستطيعان حجب صفاء عينيه اللتين تعكسان صفاء قلبه ٠٠ ولهذا احتل في قلوب عارفيه مكانة رفيعة تسمو على رفعة المنصب الذي يشغله هو ٠٠ان تكلم ، فكلماته تصدر من قلبه بعفوية صادقة ، وتقع في مواضعها التي أرادها لها ، فلا حشو ولا لغو ٠٠ انه صائغ بارع ٠٠

وللاستاذ الرفاعي دراسات كثيرة في الادب والتراث ، وأخرى اسلامية وتاريخية ، نشر بعضها في سلسلة (المكتبة الصغيرة) التي يصدرها هو ٠٠ وبعضها نشرته صحف ومجلات في المملكة وخارجها ٠

التقيت به في داره في الرياض مرة واحدة ، وقد شئت أن أسميها (دار الندوة) ، اذ يجتمع اليه فيها مساء كل يوم خميس أصدقاء واخوان من رجال الفكر والادب ، يتسامرون ويناقشون ما يعترض لهم من مواضيع في الادب مختلفة ، وقد ينتقل الحديث من موضوع الى آخر ، بلا تنسيق ولا ترتيب ٠.

تحدثت اليه طويلا ٠٠ ونقلت اليه تحية أسرة « الثقافة » وتقديرها لادبه وفكره ٠ وبتواضع أصيل ، رد الاستاذ الرفاعي التحية بأحسن منها قائلا :

ـ انني أحيي مجلة الثقافة وأسرتها ، لقد سررت بتطورها ، واني لارجو لها مزيدا من التقدم والنجاح في أداء مهمتها ، وأرجو أن تصبح نبراسا للثقافة العربية ، لا في سورية وحدها وانما في كل الوطن العربي ٠

سألته : ومتى كانت صلتكم بمجلة الثقافة ؟

ـ قال : صلتي بها قديمة ٠٠ ولكنها انقطعت عني لفترة طويلة من الزمن ، فعدت واطلعت على أعدادها الاخيرة ٠ انها حافلة ، واني لمعجب بالاعداد المتخصصة ، كعددها عن مهرجان ابن زيدون ، فهو يعد سجلا قيما لهذا الحدث الادبي الكبير ، واني لارجو أن تسير على هذا المنهج القويم ٠

شكرت للاستاذ الرفاعي تحيته وتقديره ، وسألته :

ـ هل من ملاحظات تبدونها سيادتكم للمجلة ؟ ٠٠

فأجاب : أبدا ٠٠ انما أرجو أن تعنى بتراثنا ، وأن تهبه المزيد من اهتمامها ليظل القارىء العربي مشـــدودا بجذوره القومية وبأصالته ٠.

ـ وماذا عن الندوة التي تعقد في داركم مساء كـل يوم خميس ؟

ـ انها جلسة لا تعد ندوة بالمعنى الصحيح المحدد لهذه الكلمة ٠ انها جلسة اخوان وأصدقاء أستقبلهم في داري اذ لا يتسنى استقبالهم أثناء الاسبوع ، وكأية جلسة أخوية يدور الحديث فيها حول مواضيع شتى ، قد لا يكون الادب محورها ٠٠ ولكن متى غلب الادب والعلم على الحاضرين ، كان من الطبيعي أن يدور الحديث حول الادب والعلـــم والثقافـــة ٠

وقبل أن يستطرد الاستاذ الرفاعي ، سالته ، أليس هنالك مواضيع محددة ؟ ٠٠

أجاب : ليس هناك مواضيع محددة أو مرسومة ٠٠

ـ اذن ، لماذا سميت (ندوة) ؟ ٠٠

ـ انها في واقعها جلسة أخوية عادية ، لكن كـــرام الاخوة أضفوا عليها من النعوت ما شاء سخاؤهم ٠

عندئذ ، سالته : هذا عن الندوة ، فماذا عن المكتبة الصغيرة ؟ ٠٠ أثمة دافع أساسي لصدورها عنكم بالذات ؟

ـ كان الدافع الاساسي في اصدار « المكتبة الصغيرة » اخراج كتاباتي وبحوثي على شكل رسائل ، وفي حلقـــات متتابعة ، ولكن ٠.

وقبل أن يواصل كلامه ، قلت له : ولكنها ضـــمت بحوثا ورسائل لغيركم ٠٠

ـ أجل ٠٠ ما كان ليخطر ببالي أن تضم رسائل لغيري لكن السلسلة لم تكد تصدر أربع حلقات حتى أحتج أصدقائي وبعض أصحاب الانتاج المهجور ، فوجدتني ملزما أدبيا أن أستجيب لهذا المطلب ٠٠ ليس هذا فحسب ، وانما لافتقار البلاد الى مؤسسات نشر منظمة ٠

سالته : اذا كانت البلاد مفتقرة الى مؤسسات نشر ، والمكتبة الصغيرة تقتصر على الرسائل ، وقد لا تكفي ، فما هو مصير الكتب الضخمة ؟ ٠٠

ـ المؤلفات الضخمة ، لا تزال تفتقر الى من يحتضنها ويعمل على اخراجها ٠

ـ اذن ، أصبح لها دافع آخر غير نشر رسائلكم ؟ ٠٠

ـ ليس هنالك من دافع الا تقديري الشخصي لاهمية هذه الحلقات التي أحاول أن أضعها بين أيدي مواطني والقراء في العالم العربي الذين يجهلون حقيقة الحركة الادبية عندنا ٠

ـ وهل سبق اصدارها تخطيط ومنهج ؟ ٠٠

ـ ليس هناك من تخطيط سابق في اخراج المكتبـــة الصغيرة ٠

ـ أليس لها مجال ثقافي تتخصص به ؟ ٠٠

انها سلسلة ثقافية عامة ٠٠ انها غير متخصصة بنوع معين من أنواع الثقافة ، انها مائدة تحاول أن تقدم كل أنواع الطعام السائغة ، ولكنها مع ذلك تعطي عناية خاصة بتنمية الفكر الاسلامي واعطاء المثل الجيدة من البطولات الاسلامية ٠

ـ اذن لها اطار تتحرك فيه ؟ ٠٠

ـ ان الاطار الذي تتحرك داخله هو الاطار الاسلامي ، وهي تأمل ، في داخل هذا الاطار ، أن تقدم ألوانا من الادب والفكر والتراجم والقصص والشعر ، وتعمل جاهدة على تلافي ما تشعر به من نقص كبير في خدمة الثقافة العربية ، وتركز بالدرجة الاولى على اظهار النشاط الفكـري في المملكة العربية السعودية ، لتعريف القارىء العربي بمدى هذا النشاط ومع ذلك فاننا نرحب بالنتاج الجيد من خارج المملكة ، شعورا منا بوحدة المشاعر العربية ووحدة الثقافة العربية ٠

ـ وهل ترون أن هذه السلسلة حققت أهدافها ؟ ٠٠

وبتواضعه الاصيل ، وبنفسه الواثقة ، أجاب الاستاذ الرفاعـي :

ـ مع الاسف ، لم تستطع هـذه السلسلة أن تحقق أهدافها ، وأحسب أن الطريق لا يزال طويلا أمامها . ان توزيعها لا يزال محدودا جدا ، ومعنى هذا أنها لم تستطع بعد أن تكسب القارىء الغادي ، وهو هدف كبير من أهدافها انني أريدها أن تدخل كل بيت ٠٠ان تقدمها في هذا الجانب بطيء جدا ، والسبب هو عدم وجود جهاز توزيع يتبناها ، اذ أن شركات التوزيع والموزعون الموجودون في المملكة، انما يقتصرون على توزيع الصحف والمجلات ٠

وسكت الاستاذ الرفاعي ، وخلته اكتفى بما قال ، لكنه استانف قوله :

هنالك هدف آخر كبير لم تحققه بعد ، هو تنويـع مواضيعها الى الحد الذي أتطلع اليه ٠ انني أشعر شعورا عميقا بجوانب النقص الكثيرة فيها ٠٠ ان ما أذكره الان ، ليس الا على سبيل المثال ، والا ما أكثر الاهداف ، وما أقل النتائج ٠٠ لكن حبل الامل لا يزال طويلا ٠ والله من وراء القصد ، وأساله التوفيق ٠

ـ وما هي مشروعاتكم في المستقبل للتأليف والنشر في هذه السلسلة ؟ ..

ـ ان هناك عددا لا بأس به من الكتب التي قدمت للسلسلة لمؤلفين سعوديين ولمؤلفين غير سعوديين من مشاهير الكتاب ، وهي معدة للنشر ،الا أن السلسلة تعاني من الطبع فهناك بطء شديد في اخراج أعدادها ، مرده ازدحام المطابع .. ولكنني آمل أن تزول هذه العقبة بزيادة عدد المطابع العاملـة .

كما انني أعتزم تطوير شكل السلسلة والعمل على اخراجها اخراجا جديدا أكثر جاذبية ، وأنـوي تنويـع موضوعاتها ، أسأل الله أن يحقق ذلك ، وأن يعين عليه .

ودار الحديث في أمور أدبية شتى ، وكدنا نخرج في حين عن الادب والثقافة الى ما قد يعترض الناس من شجون وشؤون ، لكن في العودة الى مجالنا الادبي خيرا كثيرا . سألته : ثمة صراع عنيف في الادب بين القديم والجديد ، وهو قديم جديد ، فما رأيكم فيه :

ـ الصراع بين القديم والجديد ، هو صراع الاجيال عبر الزمن الطويل .. ان الشيوخ دائما لا يحبون أن يغيروا مواقعهم ،لانهم لا يحبون أن تميد الارض من تحت اقدامهم، بينما يحب الشباب أن يتخذوا لهم مواقف جديدة ليثبتوا شخصياتهم .. انهم لا يعيشون مواقف مستعارة ، ثم تدور عجلة الزمن ، فاذا الشباب شيوخ ، واذا هم محافظون على مواقعهم وان أدخلوا عليها شيئا من التعديل والاعتدال تجاه الجيل الجديد .. انها سنة الحياة .

ـ ولكنني أريد رأيكم الشخصي ..

ورد الاستاذ وهو لا يزال في تمهله :

ـ رأيي .. أن يكون الهدف هو البحث عن الحقيقة .. الحقيقة حيثما كانت ، ولدى من كانت ، وأينما كانت .. ان الحقيقة دائما هي الارض الصلبة التي يستطيع أن يقف عليها الجميع في اطمئنان . ان الافكار التي يحتفظ بها الشيوخ ليست كلها سـائغة أو مهترئة ، وأفـكار الشباب ليست دائما قيمة ، فلنبحث عن الحقيقة ..

عندئذ سألته : كنت أظن أن موجة الشعر الحديث غاضت في رمال الصحراء عند ثغور المملكة ،فلم يتأثر الشعر بها هنا ، فما هي الحقيقة في ذلك ؟ ..

أجاب الاستاذ الرفاعي :

ـ امتدت موجة الشعر الحديث الى المملكة ، كمـا امتدت الى أي بلد آخر ، واني لا أرى في هذا الشعر غضاضة ولا بأسا متى استطاع الشاعر أن يحتفظ بالتفعيلة وبنوع من الموسيقى تحفظ على الشعر رونقه ووقعه على الاذن العربية التي تعودت على رنين القوافي ..ان الشعر الحديث تجربة جديدة ، علينا أن نفسح لها الطريق كتجربة الموشحات التي وجدت في الاندلس مناخا صالحا .

انه من الطبيعي أن يكون لهذه التجربة في المملكة العربية السعودية أنصار ، وأن يصمدوا في سبيل بقاء تجربتهم ، أما الشيء الذي لا أراه طبيعيا أن يتحول تعارض الافكار بين دعاة هذا الشعر ودعاة الشعر التقليدي الى معركة تخرج عن دائرة النقاش المعقول .. والمهم عندي ، قبل ذلك وبعده ، أن تتوفر في الشاعر الموهبة الحقة التي بدونها لا يكون الشعر شعرا .

قلت : ثمة رأي يقول ، ان عدم قدرة الشاعر علـى استيعاب الاوزان واللغة العربية هو أحد أسباب هـذه الحداثة ، وخروج الشاعر عن الوزن والقافية . ورأي آخر يقول ان سبب ذلك الموجات المستوردة من الشرق والغرب . فماذا ترون أنتم :

ـ قد يكون في بعض الحالات عدم قدرة الشاعر على استيعاب الاوزان سببا في الانصراف الى الشعر الحديث .. ولكن قطعا ليس السبب الرئيسي ، ذلك لان هنالك فريقا من الشعراء المتمكنين من الاوزان يكتبون الشعر الحديث ، ولا نكران أيضا أن للغرب تأثيرا على الشعر الحديث .. ثمة أمر آخر ، ان التجربة الوجدانية التي تفيض بها نفس شاعرة ، قد تثور على قيود الوزن والقافية ، وقد يـرى الشاعر الحديث أن هذه القيود تشكل عائقا دون تحليقه ، بينما يرى شاعر آخر أنه يستطيع أن يخضع هذه القيود لتجربته، بل انه يرى ـ فوق ذلك ـ انها تساعد على اخراج التجربة في اطار مموسق عذب الاداء . ان الامر يعود الى مزاج الشاعر والى قدراته ومواهبه ، والحكم ، على أية حال ، للقارىء أو المتذوق .

عندئذ سألته : يرى بعض النقاد أن الشفافية ضرورة للشعر ، وأن الغموض لا يليق به ، وان أحد أسـباب الغموض عدم تمكن الشاعر من اللغة ، وعدم قدرته أيضا على استجلاء الصورة التي يريد التعبير عنهـا .. فماذا ترون ؟ ..

فرد قائـلا :

ـ الشعر ، في نظري ، تذوق ، أي أن المزاج يتحكم فيه بالدرجة الاولى ، فمزاج الشاعر من جهة ومـزاج المتذوق من جهة أخرى .. هنالك شاعر مزاجه الوضوح يطرق موضوعه مباشرة وبصوت مرتفع ، وربما بجهـارة

شديدة اذا صح هذا التعبير ، ومنهم من يهمس همسا ، ولكل جمهوره ، وللرمز على أية حال عشاق لا يسعنا أن نحول بينهم وبين ما يؤثرون .

أنا شخصيا أحب الوضوح .. أحبه في كل شيء .. والشعر الواضح يطربني متى كان شعرا حقيقيا ، مثل :

ان التي زعمت فؤادك ملها
خلقت هواك،كما خلقت هوى لها

أو مثل :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادني مسراك وجدا على وجد

أو مثل :

ذاك وادي الاراك فاحبس قليلا
مقصرا عن ملامة أومطيلا

دفعتني هذه الشواهد من الشعر العربي القديم الى سؤال لم يكن جديدا ، وانما هو جديد في حديثنا فسألته :

ثمة من يدعو الى هجر التراث ، وقطع صلة الانسان العربي بماضيه وتراثه ، لكي يكون نفسيته وعقليته من جديد تواكبان العصر الحديث بكل معطياته لانه يرى أن التراث أحد معوقات التطور والحضارة .

قال :

ــ حاولت أن أعالج مشكلة التراث في محاضرة ألقيتها في مؤتمر الادباء السابع المنعقد في بغداد في صفر ١٣٨٩ هـ نيسان ــ أبريل ١٩٦٩م . وقد طبعتها في العام نفسه . وكانت هي الحلقة الاولى من سلسلة المكتبة الصغيرة ، وعنوانها ــ توثيق الارتباط بالتراث العربي ــ ، وخلاصة رأيي : ان التراث هو الوطن الثقافي للثقافة العربية ..

فاذا لم نحافظ عليه تشردت ثقافتنا وتبددت وضاعت في غمار الثقافات المتعددة بين انكليزية وفرنسية وروسية ، وهذه كارثة ان حصلت لا قدر الله ، فانها ستذيب شخصيتنا وستفقدنا جميع القواعد التي يقوم عليها كياننا كأمة .

انه أمر خطير .. لا أحتمل تصوره . ان الذين يستهينون بهذا الامر كالذي يستصغر الشرارة الصغيرة التي تحمل القدرة على اشعال حريق كبير ، لا يعلم مداه الا الله ..

وخشيت أن أطيل على الاستاذ الرفاعي حديثي ، أو أدفع الملل الى قلبه ، فقلت له ، معذرة ، هل لي بسؤال آخر ؟ ولم أنتظر منه جوابا ، فسألته ، ماذا عن الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية ؟ ..

ــ قد لا تبدو الحركة الادبية والفكرية في المملكة واضحة وضوحا كافيا ، أو ظاهرة ظهورا كافيا لمن يلقي نظرة عابرة على الساحة الثقافية هنا .. ذلك لانها ــ بكل أسف ــ لا تسلط عليها أضواء كافية تبرزها للعيان أو تعرفها للعالم العربي الواسع .. وقد يشارك المملكة في هذا الوضع نفسه بعض الاقطار العربية التي تجهل نشاطاتها الثقافية .. وهي ظاهرة مؤسفة على أية حال .

لكن المتفحص أو العين المدققة الفاحصة يجدان في المملكة أنشطة فكرية مختلفة، وان هنالك حركة اصدارات جديدة أحسبها ستكون في المستقبل القريب ، ان شاء الله أكثر نشاطا .. هذه من ناحية الكمية ، أما الكيفية فهي أيضا تبشر بالخير . انني متفائل على أية حال ...

فتح لي هذا القول ، طريقا الى سؤال آخر :

ــ ألا يدعو عدم ابراز الحركة الفكرية والادبية في المملكة وفي بعض أقطار عربية ، الى لقاءات بين رجال الفكر والادب في الوطن العربي مرة كل عام أو عامين لبحث مشكلاتهم .. مشكلات الادب التي تعترض ، ووضع الحلول لها أو لتعرف بعضهم على بعض ؟..

ــ حبذا لو أتيحت الفرصة للقاء سنوي بين رجالات الادب في العالم العربي .. ان ذلك سيعطي مردودا حسنا لتقريب الاراء والافكار ، ولتوثيق الصلات والعلاقات بين الادباء العرب ، ولتنمية التطور الفكري ولتنسيق الجهود في البحث والدراسة وخدمة التراث ، ولتكوين مدارس فكرية يأخذ بعضها من بعض ، وللتعرف على الاثار الادبية التي تصدر في العالم العربي ، ولاحكام الصلة بين المشرق والمغرب العربيين ، فضلا عن الالمام بالمجتمعات العربية المختلفة ، فيما اذا أتيحت هذه الاجتماعات في بلاد عربية مختلفة ، ولكن هنالك شيئا هاما يجب أن يدركه الادباء العرب ، وهو أن اقحام القضايا السياسية في هذه اللقاءات يؤدي الى اخفاقها ، أو يشكل عائقا هاما دون انعقادها على نحو منظم ..

وودعت الاستاذ عبد العزيز الرفاعي على أمل لقاء آخر ، أتم فيه هذا الحديث ، فثمة شؤون مختلفة في الادب والثقافة ، تحتاج منه الى رأي وتوضيح ، فهو خير من يعالج مثل هذه المشكلات ، ولكن ..

ابراهيم حريب



مـع الاســـتاذ

عبد العزيز الربيعي

الاستاذ عبد العزيز الربيعي ، اديب من قلب الجزيرة العربية ، التقيت به في الرياض ، سامرته ، تحدثت معه ، احسست اني طويت الزمن القهقرى فالتقيت بذلك العربي الذي صورته لي انطباعاتي من خلال دراساتي وقراءاتي ، العربي باصالته، بمروءته وفروسيته وبجميع القيم التي آمن بها ومارسها • صريح واضح كتلك الصحراء التي يعيش فيها فلا يتخللها سراب ، ولا ترد البصر عنها خاسئا وهاد او هضاب ، وليس الربيعي فريدا في هذا او غريبا ، انهم اكثر الناس الذين عرفتهم او التقيت بهم في الجزيرة العربية •

الربيعي عاشق مستهام ، ولك ليس كما يعشق الناس ويهيمون ، عشق المتنبي فاخذ عليه دنياه ، وتفكيره درس دقائق حياته وعاش خلجات قلبه واستقر في فكره ، فعرف عنه كثيرا مما لم يعرفه دارسوه • احبه من اعماق نفسه ، ولكي لاينساه لحظة لقب اصغر ابنائه بابـــي الطيب •

كان لي في الرياض معه لقاء ولقاء ••• كنا نتحدث في كثير مما يعترض الناس من شؤون وشجون ، لكنه في كل هذا كان يعرج على ابي الطيب ، اما رواية لشعره اومستشهدا ببيت له تقتضيه سانحة ، او ذاكرا قصة عنه ، لقد حيرني امره حتى كدت اضيق به ذرعا وبصاحبه المتنبي ، لكن انى للضيق ان يتسرب الى نفسي منه ، والربيعي كما ذكرت •

ليس ما ارويه حديثا اعددت له عدته ، وهيأت امره وسبله ، لكنه مجموعة حكايا جاءت عفوية في ايام متفرقة، فكتبتها من الذاكرة ، فليغفر لي الاستاذ الربيعي أني نقلت آراءه ونشرتها على الناس فتلك مهمة الصحافة ، وليغفر لي ايضا ان نسيت امرا حدثني به او فكرة اتى بها ، فليس لي من حيلة الا ما اسعفتني به الذاكرة ••

كانت لهذه الاحاديث بداية ككل شيء ، وبدايتهـا كانت :

في ذات امسية ، والجو في الفندق عذب سائغ ، يختلف عن خارجه الملتهب ، وهتف الى بيته في امر ، وسمعته ينادي على الهاتف باسم أبي الطيب ، فبادرته بعد نهاية هاتفه :

ـ ترى ما سر اهتمامك بابي الطيب ؟

ـ اهتمامي بمن ؟ •• بابي الطيب ؟ ••

ـ قلت :

ـ ان تهتم بابي الطيب الصغير فامر بدهي ، فهو الابن ، اما اهتمامك بابي الطيب الشاعر فمسألة فيهـا قولان ، كما يقول الفقهاء •

ـ اهتمامي به •• بالشاعر العربي العظيم ، انـه اهتمام كل عربي احب امته واحب تراثها ومجدهـــا وتاريخها •

وران صمت عميق ، خلت انه سكت ، وحسبت انه اكتفى بما قال ، ولكن انى له ان يسكت ، والحديث عن

المتنبي ؟ ·· وخرج من صمته ليقول : من ذا الذي لايحب القيم التي تغنى بها شاعرنا العظيم ؟ ·· انها تمثل غاية كبرى لما يصبو اليه الانسان ، انها قيم تستحق التأمل والدراسة ، لانها خلاصة ذات الشاعر ، وهي التي تفعل فعلها في نفوس الناس وسلوكهم عبر عصور طويلة ، فقد صدق من قال ـ ان المتنبي يَنطق بخواطر الناس ـ ولعلي لا اكون مبالغا اذا اضفت ـ ليس في زمانه فحسب ، وانما في كل زمان ومكان ـ هذه القيم تستحق الوقوف عندها طويلا للايمان بها وممارستها ، الم يعبر المتنبي عن الخواطر التي تدور في اذهان الناس ، كل الناس عندما يقول :

فقلما يلـؤم في ثوبـه

الا الذي يلؤم في غرسـه

من وجـد المذهب عـن قـدره

لـم يجـد المذهب عـن قنسه

واخذ الربيعي يروي قصائد للمتنبي ، وكلها تجسد القيم الاخلاقية التي آمن بها ومارسها ، فقطعت عليه روايته بسؤالي :

ـ هل جلوت نواحي لم يطرقها الدارسون ، وما اكثرهم ، من حياة المتنبي ؟ ··

اطرق ، واخذ يداعب حبات مسبحته الزرقاء ، ثم قال :

ـ ثمة اشياء واشياء ·· ولسوف اتعرض لها تفصيلا في كتاب الفته بعنوان ـ مع الذين كتبوا عن ابي الطيب في القرن العشرين ـ ·

سألته :

ما هي تلك الاشياء والاشياء ·· ؟

فابتسم قائلا : سبحان الله ·· خلق الانسان عجولا ، ان من الامور التي تحدثت عنها : اثر القرآن في شعره ، مقتله وما قيل حوله ، فروسيته ، عقيدته ، نسبه ·· فقلت له :

نسبه ؟ ·· ان الاديب العراقي عبد الغني الملاح اثبت ان المتنبي ينتمي الى علي بن ابي طالب ، وقد اخفى هذا بسبب الصراع الناشب بين الامويين والعباسيين ·

أجاب على الفور :

ـ المؤلف الكريم اهداني نسخة من كتابه ، ـ المتنبي يسترد اباه ـ ·· انه لم يأت بجديد عما كتبه الاستاذ محمود شاكر الذي افترض ان المتنبي علوي النسب ، وانه اضطر الى اخفائه مثلما اضطرت جدته اليه ، وقد فرقوا بين الزوجين ـ اب المتنبي وامه ـ لاسباب قد اجلوها ، وعلى أساس هذه الفرضية بنى الاستاذ شاكر بحثه والملاح سار حذوه ·

اني ارجح ان المتنبي قحطاني ، وليس عدنانيا ، وساوضح هذه النظرية في كتابي ··

وتشعب الحديث بيننا ، وخرج عن محوره ـ المتنبي ـ وتشتت اذهاننا الى امور اخرى ·

★ ★ ★

تناول حديثنا ذات مرة الفرق المختلفة والمذاهب التي اندست على الاسلام ، وفاجأني بقوله :

ـ ابو الطيب لم يكن قرمطيا ، كما قال عنه خصومه ·

لقد اعتراني ذهول ، اني لم اتهم المتنبي ، وما كان هو او مذهبه موضع حديثنا ، اليس عقله الباطن وحبه لابي الطيب او حبا له هذا القول ، انه لم ينتظر مني كلا ما اوردا ، وانما استمر في حديثه :

ـ القرامطة فرقة باطنية دخيلة على الاسلام، وبرزت على مسرح تاريخه وتاريخ العرب في القرن الثالث · لقد تظاهروا بالدعوة لآل البيت ، وبانصاف المحرومين وعون المقهورين ، لكنهم كانوا يبطنون الالحاد ويسعون الى هدم الاسلام والامة العربية ، بل كل دين ، اليسوا هم الذين انتزعوا الحجر الاسود من مكانه في الكعبة وسرقوه ؟ولماذا؟ ··· لقد تحدثت كتب التاريخ عن سلوكهم ومبادئهم تحدثت عن الفظائع التي ارتكبوها ، عن اراقتهم دماءالعرب المسلمين ، ان الحديث عنهم يطول علينا ان نعرفاولامكان المتنبي من هذه الصور ومن تلك المبادىء · ان القيم التي آمن بها المتنبي ومجدها بشعره ومارسها بفعله تعارض مبادىء القرامطة وافكارهم ·

المتنبي مجد العفة بقوله :

ومن هوى الصدق في قولي وعادته

رغبت عن شعر في الرأس مكذوب

وبقــوله :

اني على شغفي بما في خمرهـا

لاعـف عمـا في سرابيلاتهـا

وترى المروءة والفتوة والابوة

في كل حليمة في ضراتهــــا

هـن الثـلاث المانعـاتي لذتي

في خلوتي ، لا الخوف من تبعاتها

ومطالب فيها الهلاك اتيتهــــا

ثبت الجنان ، كأنني لم آتهـا

وبقولــه :

يرد يدا عن ثوبها ، وهو قــادر

ويعصي الهوى في طيفها وهو صابر

ولعل الربيعي خشي علي من الملل فلم يسترسل في شواهده ، والا لقرأ ديوان المتنبي برمته ، عندئذ استدرك قائـلا :

– اليس في هذا ما يكفي ويشفي ؟

– ربما ٠٠ ولكنك مادمت حشرت المتنبي في مواضيع حديثنا حشرا ، ما قولك في ادعائه النبوة ؟ ٠٠ وقبل ان اتم سؤالي ، اجاب غير مكترث باعتراض :

– حكى ابو الفتح عثمان بن جني ، وقد صحب المتنبي زمنا طويلا وعرف دخيلة نفسه وفكره ، قائلا : (سمعت ابا الطيب يقول : انما لقبت بالمتنبي لقولي :

انا من امة تداركهــا اللــه

غريب كصالـــح في ثمـود

وهو يقول ايضا في قصيدته هذه :

ما مقامي بارض نخلــــة

الا كمقام المسيح بين اليهــود

قوله هذا سبب حقيقي للقبه بالمتنبي ٠٠ انها تهمة الصقها به خصومه وحساده ، **ليست هذه فحسب ، وانما** هي كثيرة ، انه يكره هذا اللقب كما يكره حساده ،وسازيل الركام عن هذه النقطة في كتابي المنتظر ٠٠

ذات مرة اردت فيها ان اغذي حبه لابي الطيـب بجرعة جديدة ، فقد راق لي حديثه عنه ، سألته :

– تضاربت الاقوال في سبب خلافه مع كافــور الاخشـيدي ، فما رأيك أنت ؟ ٠٠

انتفض الربيعي كمن مسه امر ايقظه من حلم رده الى واقعه ، وقال :

– ومتى كان متفقا مع كافور ؟ ٠٠ انه لم يتفق مع الاخشـيدي ليختلف معه ، لقـد خرج شاعرنا من حلب سنة ٣٤٦ هـ مغاضبا سيف الدولة ، وانتهى به المطاف عند كافور في مصر ، ومدحه ، فعلام قصد ابو الطيب كافورا ومدحه ؟ ٠٠ أكان معجبا بالعبد ، ام بدولة الاخشيدي وهي شعوبية ؟ ٠٠ لقد لقي المتنبي عنتا ياغيا مــن الاخشيديين ، حبسه لؤلؤ في حمص وضيق عليه ، وربمـا عذبه ، ان كافورا أبعـد خلق الله عن أن يثير في أحـد اعجابـا :

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى

عدوا له ما من صداقته بـــد

او :

اما في هذه الدنيا كريــــم

تزول به عن القلب الهمـــوم

اما في هذه الدنيا مكــــان

يسر باهله الجار المقيــــم

ابو الطيب هدد بالقتل مرات وهو في بلاط سيف الدولة قبل مضي اربع سنين على اقامته عنده ، وقد قالها صراحـة :

رمى واتقى رميي ومن دون ما اتقي

هوى كاسر كفي وقوسي واسهمي

وفي قصيدة الوداع التي تجاوز فيها كل الحـدود والقيود ، والتي مطلعها :

واحر قلباه ممن قلبـه شبـم

ومن بجسمي وحالي عنده سقم

واذا كنت تريد الدليل القاطع على ذلك ، فاقـرأ قوله في ابي العشائر عندما رماه واحد من جنده بسهم وهو يقول له (خذها ، وانا غلام ابي العشائر) :

ومنتسب عندي الى من احبـه

وللنبل يرمى من يديـه حفيف

فهيج من شوقي وما من مذلـة

فخفت ، ولكن الكريـم ألـوف

وكل وداد لايدوم علـى الاذى

دوام ودادي للحسين ضعيـف

فان يكن الفعل الذي ساء واحدا

فافعاله اللائي سررن الــوف

ونفسي له نفس الفداء لنفسـه

ولكن بعض المالكـين عنيـف

فان كان يبغي قتلها يك قاتـلا

بكفيه ، فالقتل الشريف شريف

ولقد قضت ظروف الحياة على ابي الطيب ان يعاشر غير العرب ، انه ترك سيف الدولة كارها ، وتكاد تحس ما في نفسه من الم وشجن عندما تقرأ قوله مـن قصيدة له في كافور :

كفا بك داء ان ترى الموت شافيا

وحسب المنايا ان يكن امانيـا

أقل اشتياقا أيها القلب ، ربما

رأيتك تصفي الود منليس جازيا

خلقت ألوفا لو رجعت الى الصبا

لفارقت شيبي موجعالقلب شاكيا

اما ما قيل ان طمع المتنبي بولاية هو احد اسباب الخلاف بينه وبين كافور ، فهو قول غير صحيح • المتنبي نفسه لم يبحث عن ولاية ذات يوم ، ومن يريد الدليل يجده في شعره الذي غناه في الفترة التي سبقت لقاءهبسيف الدولة وأثناءه والتـي بعدها ، انه لم يتحدث فيه عـن طموحه خلال فترة وجوده مع سيف الدولة ، لانه وجد فيه الرجل الذي تتمثل فيه اماله هو نفسه ، انه يقول :

تغرب لا مستعظما غـير نفسه

ولا قابلا الا لخالقـه حكمـا

ولا سالكا الا فؤاد عجاجـة

ولا واجدا الا لمكرمة طعمـا

يقولون لي : ما أنت فيكل بلدة ؟

وما تبتغي ؟ ما ابتغيجلان يسمى

واني لمن قوم كأن في نفوسهـم

بها انف ان تسكن اللحم والعظما

كذا انا يادنيا فان شئت فاذهبي

ويا نفس زيدي في كرائهها قدما

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني

ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

قطعت عليه استرساله ، بسؤالي :

ـ مادمنا بذكر سيف الدولة ، اترى احب المتنبي اخته خولة ؟ •• وهل كانت تحبه هي ايضا ؟ •• فرد ضاحكا :

ـ دعني من ـ ايضا ـ هذه ، انني اكرهها في اللغة كرهي حساد ابي الطيب •

وشرد عني ، فحسبته اخذ اغفاءة ، او ان بعضا من الهموم التي تزاحمت على قلبه شق طريقه اليه بين هذا الزحام واعترض سبيله فقطع عليه الحديث ، او انالسؤال قد اثار في نفسه شؤونا وشجونا يريد حبسها في قلبهالشجي واخذتني عدوى الشرود ، لكنه خرج منه ليقول :

ـ لست اشك في ان المتنبي قد احب خولة ، وانها احبته ، وهو الذي يقول :

ولا ذكرت جميلا من صنائعهـا

الا بكيت ، ولا ود بلا سبـب

وعندي دليل على انهما كان يتبادلان حبا بحب ، هو عدول المتنبي عن الرحيل عن سيف الدولة ، وقـد

عزم عليه ، لقد افصح عنه في قصيدته التي قلت عنها . انه تجاوز فيها الحدود والقيود .. انه يقول فيها :

لئن تركنا ضميرا عن ميامننـــا

ليحدثن لمـــن ودعتهـم نـــدم
اذا ترحلت عـن قوم وقد قدروا
الا تفارقهم ، فالراحلون هـــم

قالها ولما يمض على صحبته سيف الدولة أربـــع سنين ، فامضى خمسا اخرى ، نزولا عند رغبة خولة ، اذن تسع سنين قضاها في صحبته ، وهو معرض للقتل مهدد بالموت ... فلماذا بقي ؟ .. ثمة امر اخر .. لم يتعرض له احد الدارسين . انني ارجح ان هذا الحب هو سبـب العداوة بين ابي الطيب وابي العشائر فالمتنبي احب خولة، واحبها ابنا عمها : ابو العشائر وابو فراس ، ولكنها كانت تحب ابا الطيب ، فانصرف قلبها عنهما اليه . اما ما قيل ان مكانة المتنبي عند سيف الدولة وفي بلاطه كانت سببا في هذه العداوة ، فهو قول غير صحيح .

ـ ولكن المتنبي لم يفصح عن هذا الحب في شعره .

ـ حقا ، انه لم يفعل كما فعل غيره من الشعراء ، انه يجل خولة ويترفع بها عن التبذل ، ويسمو عن الغزل والتشبيب ، وهما تشهير لا يريد ان ينالها فتصبـح حديث المجالس والناس ، اعداء كانوا او اصدقاء .

ـ ارى ان هذا ليس حبا لذات الحب ، وان الدافع عليه كان سياسيا ، يهدف المتنبي من مصاهرته لسيف الدولة الى تحقيق طموحه في ولاية او في غيرها .

وكأنما لسعه هذا القول ووخزه ، فخرج عن هدوئه، ورد بعنف :

ـ من يقول هذا ؟ ... انه احب حبا عفيفا نزيها عن الغرض كما يحب سائر الناس ، واكثر من ذلك ، لـم يكن للمتنبي اي غرض سياسي ، ابو الطيب نسي نفسه في بلاط سيف الدولة ، لان طموحه واماله الشخصيـــة والقومية ، وجدها كلها تتجسد في شخص سيف الدولة وفي افعاله وسلوكه .

واردت ان يهدأ روعه ، فسألته :

ـ عبر ألف سنة أو تزيد شغل المتنبي الناس وملأ دنياهم ، اترى في ذلك حقا ؟ ..

ـ الاتراه شغلنا نحن الاثنين ، وملأ علينا كثيرا من دنيانا . انت من الشام وانا من هنا من الرياض ، التقينا بلا موعد ، وتحدثنا بلا هدف ، وظل المتنبي محور احاديثنا وان تشتت في سبل اخرى .

ـ هذا صحيح ، لكن البعد الزمني جعل كثيرا من افكار المتنبي غير ذات موضوع ، وان ما كان يصح في زمانه لا يصح اليوم او لا يصلح ، والحياة حركة وتطور .

فاجاب متمهلا :

ـ جانب من قولك فيه صحة ، ولكن ... ولكن اقرأ قصيدته التي مطلعها :

لا افتخار الا لمن لا يضـــام
مدرك او محارب لا ينـــام

انها الصورة الحية التي يجب أن يتمثلها شباب اليوم:

ذل من يغبط الذليــل بعيش
رب عيش اخف منه الحمـام
واحتمال الاذى ورؤية جانيـه
غذاء تضـوى بــه الاجسام

هذه الصورة هي غاية في الابداع ، تقع امس واليوم وغدا ، ولا علاقة للزمان والمكان بها :

من يهـن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت ايـــلام .

هل تغير الهوان في الحاضر عنه في الماضي او يتغير في المستقبل ؟ ... وهل الجرح يؤلم ميتا اليوم وما كان يؤله بالامس ، انه يعبر عن احاسيسه بالحياة بصدق وبكل ما تحمله من شؤون وشجون .

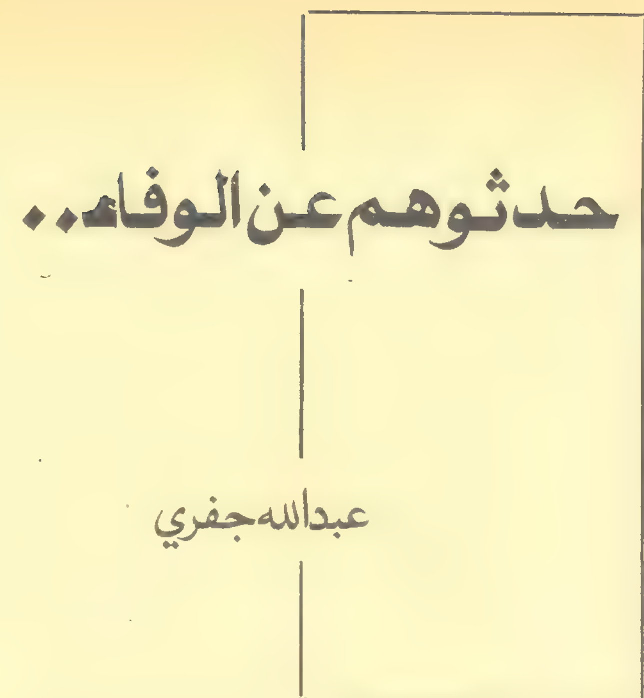
كل حلم اتى بغير اقتـــدار
حجـة لا جىء اليها اللئــام

لو اردت تلاوة القصيدة كلها وشعره كله لرأيت كثيرا من الصور التي كانت عليها الحياة والناس في زمانه تتكرر وتكرر بشكلها الاساسي او باشكال اخرى بحسب انعكاسات الرؤى عند الناس .. انه مدرسة كاملة ، ولو كان الامر غير ذلك لمات المتنبي يوم فارقت روحه الجسد .. ونسي امره فلا يذكره احد من الناس ، فالخالدون هم الذين تبقى افكارهم صالحة لكل زمان ومكان ، وابـو الطيب وافكاره في القمة من هذا .

★ ★ ★

وتركت الاستاذ الربيعي وودعته على امل ، وشعرت بان انفصالي عنه لم يكن بالمكان ، وانما بالزمن ايضا ، وكدت انسى المتنبي لولا ان صورة هذا الانسان العربي ، والتي احسبها قريبة من صورة المتنبي كانت تلوح في خاطري وامام عيني في الطائرة العائدة الى دمشق ، فسجلت بعض هذه الخواطر ، ثم اتممتها . ولعله يغفر لي مرة اخرى ان هتكت سترا عن افكاره يحرص على اضفائه عليها ، ولست أدري سببا لذلك ، ولعله يعفو ان نسيت شيئا ، ولعلنا نلتقي .. ومن يدري ؟ ..

ابراهيم حريب



حدثوهم عن الوفاء..

عبدالله جفري

من الصداقات العميقة جدا والنادرة في الوسط الادبي لدينا .. تلك الصداقة الحميمة التي تربط بين الاستاذين : عبد القدوس الانصاري ، ومحمد سعيد العامودي ، ثم بين الانصاري أيضا وشاعر الجنوب الاستاذ محمد علي السنوسي .. فهي صداقة لم تقوضها ماديات العصر ، ولم ينخرها هذا التسوس المتسلل الى عواطف الناس ووجداناتهم !

فالكلام عن الوفاء جميل .. ويسري في السمع وربما في الرؤية كطيف يلوح رشيقا وسيم اللمحة .. لكن البحث عن الوفاء صعب ومتعب جدا!

وحتى لا أخون تصوركم لخلفية هذه السطور التي أكتبها .. أو ضح لكم هنا أنني قبل لحظة كتابة هذا الكلام لم يخطر « الوفاء » على ذهني .. لانني لا أريد أن أتذكر دائما لماذا يسقط ـ الوفاء ـ صريعا في صدور وفي ذاكرة الناس .. لانني أشعر بما يضنني ، ويعذب أنفاسي كلما تذكرت الذين استعادوا وفاءهم مني ونسوا !

كذلك .. كنت تلك اللحظة لا أفكر في الصداقة .. كان كل ما يهمني في عمري الحالي أن أحافظ على ـ ما تبقى ـ لي من صداقات .. أن أشد عليها بالنواجذ لئلا تهرب مني .. أن أجد الوجه النقي والصادق في « بقية الناس » الذين جعلوني أتمسك برغم كل شيء بالوفاء وبالصداقة . ولا أقول هذا الكلام متوترا .. بل لا بد أن أجعل غيري يسمعه ويعرفه بفهم ، وبهدوء ، وبتأمل لمعنى الروابط الانسانية الحقة !

لماذا نفقد صداقاتنا من أجل موقف واحد .. أو بسبب أتفه المواقف ؟!

ربما .. لأن ما يربط بين الناس اليوم ليس سوى شيء واحد فقط هو : المصلحة المشتركة .. فأين نطوح بالروابط .. بالذكريات .. بالالفة .. بقيم المعاني ؟!

لا شيء يدل على شيء .. بل الشيء يدل على نفسه فقط ، وهذه كارثة !

وأعود لبداية هذا الكلام .. لاكشف عن مناسبته ، والمناسبة أستخلصها من ملامح وجه . أحسست أن تلك الملامح ندية بالصدق . كان يجلس أمامي الصديق الشاعر محمد علي السنوسي ، ولم أره من زمن ، ولكنه شاعر لا ينسى الالفة ، وكنت أعرف عنه من قديم أنه كان يلبي نداء الالفة والود فيرد على ذلك النداء من ـ جازان ـ فيركب طائرة ويأتي الى جدة ليسأل عن صحة صديقه ـ عبد القدوس الانصاري ـ ويتفقد بقية أصدقائه ، وهو اليوم أمامي يبتسم براحة نفسية حينما كنت أسأله عن شيخنا عبد القدوس : لماذا يطبق معنى العمود الذي يكتب تحته فيما ندر بعنوان ـ ما قل ودل ـ .. لماذا هو مقل . وعزوف عن الكتابة ؟! .. ولم أكن أريد أجوبة من الصديق السنوسي ولكنها مناسبة ـ الوفاء ـ التي نتذكرها أحيانا ، فالشيخ عبد القدوس ، أو الاستاذ محمد سعيد العامودي ، أو الشيخ حمد الجاسر .. لا بد أن نسأل عن أفكارهم .. عن كتاباتهم .. عن صحتهم أيضا .. نحن لا بد أن نسأل لاننا الجيل الذي ـ نبت ـ بعدهم بقدرة لا بد أن نعترف أنها أقل من قدراتهم حينما كانوا في مثل أعمارنا وقد أعطوا من ثقافتهم وعلومهم ، ووجدانهم الكثير .. فلا أقل من أن نسأل عن صحتهم !!

ان الشيخ عبد القدوس رجل يتقدم الى الشيخوخة بانتظام ، وكذلك الاديب محمد سعيد العامودي ، والشيخ حمد الجاسر .. فماذا قدمنا لهم .. متى سنكرم تاريخهم الادبي الكبير بكل ما فيه من عطاء ثر للثقافة وللعلم ؟!

هؤلاء الثلاثة مثال .. يوجد مثلهم من أدباء الشيوخ الذين استراح بهم العمر ، وما زال الجهد يتعبهم ويقلقهم . وأديب مثقف مثل عبد القدوس ما زال يكافح باصرار على أن تصدر ـ المنهل ـ كل شهر رغم كل الظروف . وعالم مثل حمد الجاسر تدمع عيناه وهو يحاول الان أن يعيد اصدار مجلته ـ العرب ـ وتتعثر محاولاته .. أحسب أنه من الوفاء لهما أن نعينهما ، وأن نقف معهما لخدمة الثقافة والمعرفة وهي أجل خدمة ، ومثل هؤلاء .. هم طراز جميل وفريد من السلوك الانساني الذي يأنف أن يستجدي عونا أو دعما من أجل فكرته .. ولكنهم بجهودهم وتعبهم يحاولون ولادة الجديد الذي يلهم ذهن الانسان فكرة ورؤية وشعورا .. فلا أقل من أن نتذكرهم بالوفاء ، وأن نتعلم منهم كيف تبدأ الحياة بالصداقة ، ولا تنتهي .. حتى لو كان هذا هو مبدأ الزمن القديم !!

انهم فكرنا الذي يخصب ، وتاريخنا الذي يعشق ، وتراثنا الذي يكبر بالوفاء !!

محمد المنصور الشقحاء

الهدوء الممل

كل شيء حوله يثير الملل . صوت آلات النسخ يقرع سمعه في رتابة والاوراق المتناثرة على مكتبه تشعره بالسأم حتى في الدار صورة طبق الاصل ..

فالقرف يلاحقه في كل مكان . وصداع عميق يحطم رأسه يملأ شرايينه بشعور مجهول الهوية . انهم يبحثون عن شيء يحطم كبرياءه .. توقف قليلا وهو يرتشف اخر قطرة في كوب الشاي الموضوع على مكتبه منذ أكثر من ساعة ..

وأخذ يتأمل فراش المكتب العجوز الذي أقبل ما أن لمحه يمد يده نحو الكوب كان أول شيء وجده في المكتب عند قدومه للعمل هو العم سعد قليل الكلام لا يتحدث كثيرا يسير أشبه بآلة يحتاج في بعض الاحيان الى تعبئة المفتاح انما يفي بكل مستخدمات المكتب من خدمات . بالاضافة الى اتقانه خلق الاعذار للمراجعين عندما لا يوجد أحد من موظفي المكتب في الغرفة .

أخذ صالح يحفر ذاكرته باحثا عن الزمن السحيق الذي التقى فيه بهذه التقاسيم ففي داخله احساس ان هذا الرجل رغم ان معرفته به لها ثلاث سنوات منذ استلم رئاسة هذا المكتب. لكن في داخله حوارا يقول ان معرفته به أقدم بكثير من ذلك التاريخ ..

تقول .. لقد حدث في مكان ما .. ؟ تعارف أولي وكل واحد شد على يد الاخر مقدما نفسه..

ارتشف بقايا الشاي ومد يده بالكوب لتناوله اليد المعروقة في هدوء وصمت .

كان يود أن يقول .. زدني كوبا اخر .. انما

توقفت الكلمات في حلقه وأخذ يتابع العم سعد الذي اتجه الى الطاولة حيث يقبع ابريق الشاي مع بقية الاكواب · ليستقر كوبه بجوار الاكواب · بينما تناول الابريق وخرج من المكتب في هدوء ·

ـ ماذا حدث هذا اليوم ·· ؟

وضرب رأسه بيده محاولا أن يتذكر ان يجد ما يبحث عنه انه يتذكر كل شيء في حياته حتى الصغائر · لقد عاش يتيما مع والدته وزوجها · ودرس حتى حصل على شهادة الكفاءة لكن الملل الذي تسرب الى أعماقه دفعه الى هجر مقاعد الدراسة والبحث عن وظيفة متنقـــلا من دائرة الى أخرى وقبل أن يصل الى هذه المحطة قـــرر الزواج ووجدها فتاة طيبة كان لوالدته الاثر الاكبر في اختيارها وتزوجها ·· وتزوج هذا العمل ··

ليجد العم سعد · لكن ماذا حدث هذا اليوم ·· حتى يصل الى نتيجة انه على معرفة به منذ زمن سحيق ·

ـ مساء الخير ·· العم سعد هنا ··

شاب في مقتبل العمر · وهز صالح رأسه موافقا · ثم دعا الشاب الى الجلوس وما أن هم بذلك حتى كان العم سعد داخلا فهب الشاب من مكانه وسارع الى تقبيل يد العجوز وأخذه جانبا ·

ـ تسمع الولد ·· صار له حادث اليوم وابغى أروح أشوف القصة ··

وخرج الاثنان بينما كان صالح يتلمض لمعرفة أخبار الحادث ومضاعفاته ونسي ما يعيش فيه من ملل وسأم ·

.. الوقت طويلا ·· اخذ المراجعون يزرعون فيه مساميرهم بقسوة وعناد لم يثيرا شيئا من هدوئه ومللـه ·

وقبل نهاية الدوام بدقائق وصل صالح ·· الى الحقيقة فجأة ·· كان ذلك منذ عشرين سنة وفي مدينة بعيدة حيث كان البحر يلطم الشاطىء بصورة يومية من غير أن يشعر بالملل وصالح في العاشرة من عمره · شب حريق كبير في الحي الذي تعيش أسرته فيه وطوقت النار دارهم ضمن الدور الاخرى ·· وتأخرت سيارات الاطفاء·

وأخذ يركض كان كل همه أن يعرف مصير كوثر رفيقة صباه والتي تكبره بعامين أو ثلاثة ·· انه لا يذكر الان ووجدها فوق اكتافه مستسلمة في هدوء وهو يعدو بها بعيدا عن النار لتصبح بعد شهرين زوجة له وتختفي لكن الوجه احتفر في اعماقه بقسوة رغم أنه لم يحاول أن يسأل عنها ·· يوما ما مع علمه بسكناها في ذات المدينة لكن في حي اخر ·· يجتازه كل يوم وهو في طريقه الى المدرسة ·

وترحل أسرته ويرحل··ويتنقلان الى أكثر من مدينة حيث اقتضت مصلحة عمل والده ثم زوج والدته ثم هو أخيرا بعد أن دخل المعترك · وليستقر أخيرا في الطائف ·

ـ عم سعد أين كنت قبل عشرين سنة ·

ـ في الطائف ·

ـ ألم تغادره ·· ؟

ـ أبدا من يوم كنت في العاشرة من عمري نزحنـا من قريتنا التي على طريق الجنوب والتي تبعد عن الطائف ثلاثين كيلو وأقمنا هنا ·· وأول ما اشتغلت بناء ·· وصبي عند احدى العوائل حتى توظفت منذ عشر سنوات·

ـ كوثر ··

ـ من ياوليدي ··

ـ زوجتك كوثر ··

ـ هداك الله تمزح علي ·· أنت اليوم مستأنس تدري أن ولدي فهد اليوم أخذ سيارة زميله في المدرسة وصدم بها لكن الحمد لله جت سليمة وصاحب السيارة سامحه ··

غادر صالح المكتب مسرعا لم يحاول أن يلتفت وراءه كان يفكر في أشيا ءكثيرة ·· لا يدري مصدرها تجعلـه يمد في خطاه ··

وهم الوحدة

ابراهيم ناصر الحميدان

أخيرا فركت يدي جذلا ·· لقد نلت ما أريد ··

اليست الوحدة ما ابحث عنه منذ سنوات ؟ لم يعد امامي اي تبرير للتقاعس هناك من يتربص بي ليكشف الخدعة ثم يشيع بين معارفي عن افلاسي ونضوب ما كنت اتظاهر به تكابرا · ومهما احسنت الظن فلا بد وان تتضخم الكلمة الصغيرة التي سرعان ما تنمو وتترعرع شأن كل الاشعاعات انها سنة الحياة ·· كشف الزيف والبقاء للحقيقة ·· هاهي اذن بين يدي ·· تحت تصرفي ·· حياتي وحريتي لم أعد العوبة لنزوات الاجساد وافتراسها لكل وقتي على مدار السنين ·· لم اعد مجرد حامل بليد للحشائش والكساء ، نادل في مقهى يلبي النداءات وهو صاغر ، جمل في صحراء التيه لا يعرف عن مصيره واتجاهه شيئا · كلا ·· اصبحت

وبعد ربع قرن من الزمان أملك حريتي بلا حدود · تخلصت من مسؤوليات الالتزام · الغيت الاحساس تماما بدنيا الاخرين وحيواتهم ·· اصبحت وحدي مع نفسي اصيخ الى صوت تنفسي المنتظم ·· واقرأ افكاري دون ان افتح كتابا · الجدران تلامس صوتي ولا تزدرده · تدعه يفتل لولبيا حتى يتمزق مشنوقا في الفراغ · الابواب موصدة لمنع اي تسرب من ذاتي · ·افكاري لن انثرها بعد اليوم على الرصيف · اريد احتكارها بين الجدران اللحمية لتعمل وفق مشيئتي · يكفي انها انتهت الى العدم · ذابت كالفقاعات ·· تلاشت محترقة مع انصهاري البطيء ·· سموم الصيف ايبست جذوعنا وامتصت رحيقها ··احسست بنسمات منعشة طرية فقفزت من مكاني بنزق · الدبيب تلاشى بمجرد ان تذكرت بان تقاليد رب الاسرة تأبى عليه ان يجاري صغاره في حركاتهم اليومية علي ان لا انسى عامل الزمن مهما اغدقت الحرية من العطايا ·· العجلة لا ضرورة لها ·· والوقت ملك يدي فلأحاول أن أكون أكثر حكمة · الزمن اصبح العوبتي ·· والمجتمع قطع شريان الصلة برغبتي منذ ان دفعت بالافواه خارج حدود مسئوليتي ··

وحدتي هي منتهى الحرية ·· قمة امتلاك النفس الملتاعة بالكبت ·· ذروة التخفف من قسوة الاخرين اذن عليّ أن أكون أكثر حرصا على تكريس تفكيري في حدود هذا العالم الصغير الذي رضيت ان اغوص في لجته ·· بين الجدران السميكة التي هي سياجي للعبث بأمان·· وانتبهت الى طنين ذبابة بالقرب من اذني فصدمني وجودها معي ، عليها أن ترحل من بين تلك الجدران والا فهي هالكة لا محالة ·· يستحيل ان ارضى بمن يقاسمني امتلاك الذات ·· ضربة واحدة ويتلاشى الطنين ·· وشردت خواطري هنيهة ·· هاجمني الصمت الهاجع فجأة · مات كل شيء خارج دائرة السمع والضوء ·· لينبع من العدم

ذلك الهمس الذي يستحيل ان توقف تياره ٠٠ دبيب الانهار وهي تنساب بصمت فتعزف لحن الهدوء ٠٠ حفيف الاشجار كسلى متثائبة ٠٠ صوت السكون الذي يرشح في اعمـاق الليل ذبذبات هامدة ٠٠ مثل ان تستيقظ في منتصف الليل فجأة وحولك بضعة اجساد صرعها الوسن فتسمع همسات أحلامهم طافية فوق رؤوسهم فتشعر بالرعب ليقظتـــك الفاجـرة ٠

التفت عدة مرات وكأنما خيل الي أن ثمة أجساما هلامية تتقافز بخفة بين حجرات المنزل ٠٠ انها تتشح بضبابية المكان فتزوغ من متناول بصري ٠ اقشعر جسدي في مبدأ الامر كأنما تعرضت لمس كهربي ٠٠ كادت الصيحة تفلت من بين شفتي ٠٠ فشعرت بالظمأ وبالاعياء وان قواي تخور حتى لا املك السيطرة على اعضائي ٠

استدعيت شحنات من العزيمة الهاربة واسلمتها امر قيادي شحنة صغيرة منها تكفي لان تجعل من الانسان الة جبارة رهيبة والعوبة حين يعصف به غضب مفاجيء ٠٠ التهب رأسي بالحرارة العاصفة حتى اوشكت على الاعتقاد بأن حالتي الصحية ليست على ما ينبغي ٠٠ احسست من جديد بأنني بين مجموعة من الناس بعد ان اغرقت نفسي بمشاعر الحضور ٠٠ رحلت بأفكاري لاسوح في دنياهم وخصوصياتهم ليعاودني الغثيان الذي جأرت بالشكوى منه في الشهور الاخيرة ٠٠ غضبت من هذه الالتحامة اللامجدية التي عزمت ان اتحاشاها بأي ثمن كان ٠ انفعلت بحقلانني أقتحم مالا يخصني وأتطفل كالمتسكع لاتلصلص الى مايجري خلف نوافذ البيوت الامنة ٠ مضيت استرق السمع من جديد وقد استدعيت مشاعر حضوري الذاتية الى طنين الصمت الصارخ من حولي وهو يغلو كالبركان ليتفجر ٠ ان الدنيا من حولي تعتصر نفسها بخجل ٠٠ انها لا تستطيع مطلقا ان تحس بلذة الهدوء انها تبيت للعاصفة فحسب ٠٠ تنسج لها بخيوط من نار لتجد لها على مهل ، تلقمها بأفواه الابالسة حتى يستعر ضرامها فتتوهج ٠٠ لا شيء ثابت على الاطلاق ٠٠ انها عملية النمو والتلاشي ٠٠ البقـــاء والعدم ٠

شعرت فعلا بأن ثمة من يفكر من حولي ٠٠ من يحوم في النطاق الذاتي لصالحه ٠٠ من يفرز وجـوده بالرغم مني ٠٠ يضع بصماته ٠ يسكب تأملاته لمستقبله الخاص في حدود الشعور بتعزيز خطوطه الدفاعية ان أصغر من جشرة مختبئة في فجوة أو شق غير مرئي تتصادم مع تخطيطي الذاتي ٠٠ مع تصوراتي اليومية والمستقبلية ٠٠ وهي لهذا سوف تقاوم بضراوة تخطي حـــدودها للعيش وبسرعة شعرت بأن خواطري تنطلق من الخيال الذهنـي الى مكان ما من الجدار المقابل لي ٠٠ رأيت كوة تنفتح فاذا ما يجول في ذهني يتحرك على الشاشة المقابلة لي ٠٠ رأيت من غادروني يتقافزون امامي ٠٠ انهم يتحدثون فيما بينهم ويرددون اسمي كثيرا ٠٠ بيد انهم البتة تجاهلوا وجودي معهم كأنني ميت فعلا يفكرون نيابة عنه ٠غضبت مرة اخرى وشعرت بالمرارة وبالدماء تغلي في عروقـــي فتلاشت الكوة وذابت الشاشة بيد ان هذا الاكتشـــاف اسعفني لان استدعي من اريد متى اشاء ٠ ٠ان تفكيري به يستحضره الخيال صورة ماثلة امامي ٠٠ ومن هنا ايقنت ان الانسان لا يستطيع ان يتخفف من احلامه ومنطلقاتـــه الذهنية فالعقل الباطن سيلهبه بسياط الاستدعاء الغائب في كل لحظة من تفكيره ٠

وقررت ان احزم امتعتي هربا من الوحدة الوهمية ٠